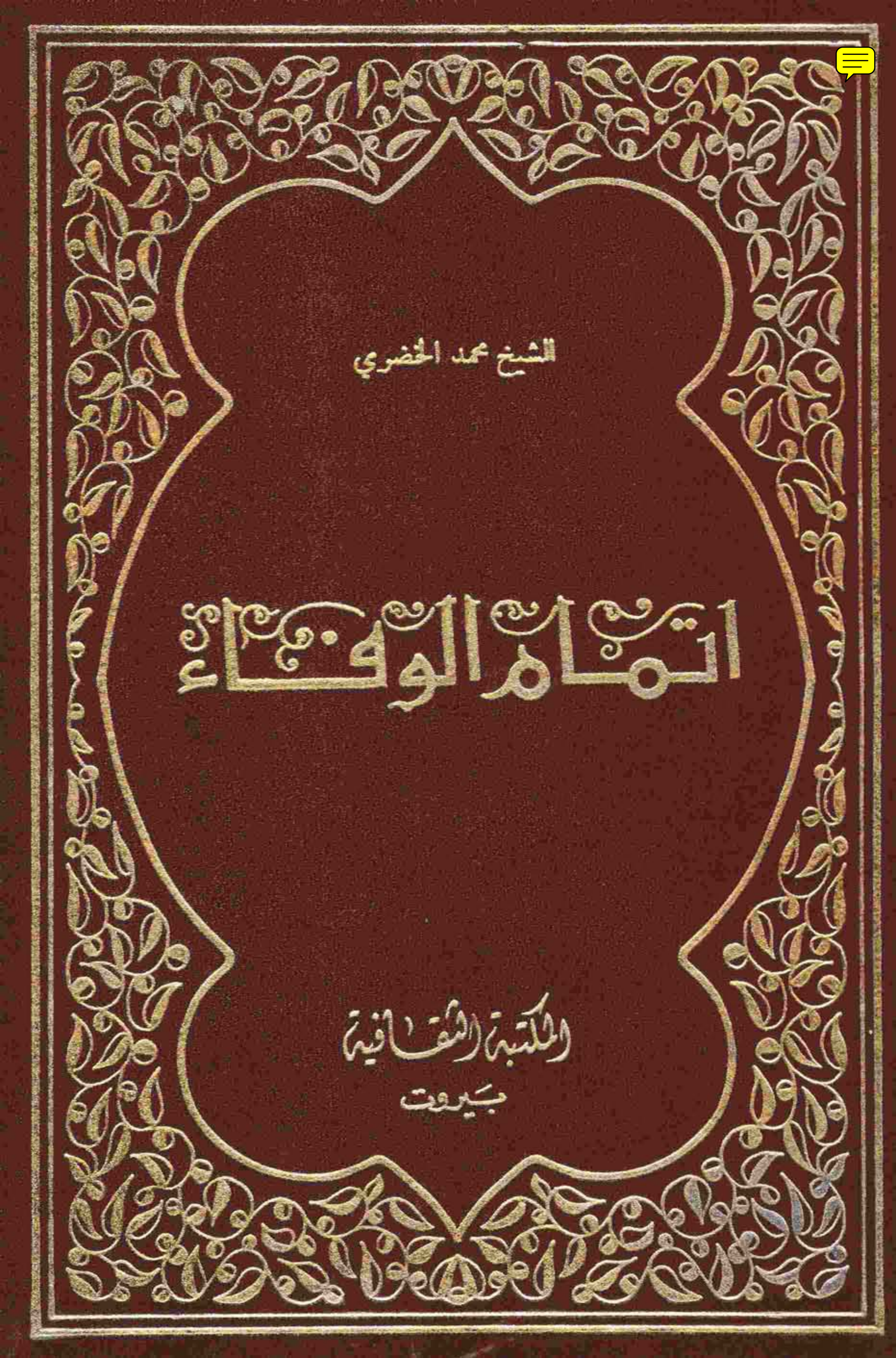

الشيخ محمد الخضري
اتمام الوفاء
المكتبة الثقافية
بيروت

# إتمام الوفاء

## في سيرة الخلفاء

تأليف المرحوم

الشيخ محمد الخضري بك المفتش بوزارة المعارف

ومدرس التاريخ الإسلامي بالجامعة المصرية

المكتبة الثقافية

بيروت - لبنان

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أوضح السبل . وبلغ الرسالة كما حمل ؛ والرضاء عن أصحابه الكرام البررة الذين اتبعوا نهجه القويم فدانت لهم الملوك وذلت لهيبتهم الأمم .

( أما بعد ) فيقول المرحوم محمد الخضرى بن المرحوم الشيخ عفيفى الباجورى سألتنى وفقنى الله وإياك أن أردف لك كتابى فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم الذى سميته « نور اليقين » بكتاب فيه تاريخ خلفائه الراشدين . إذ هم الذين ظهر الدين الإسلامى بأسمى مظاهره فى أيامهم وتجلى فى أجمل حليته بأقوالهم وأفعالهم طالباً منى أن أنهج على سنن الكتاب الأول فى سهولة التعبير . والاجتهاد فى جمع ما تشتت من تاريخ هؤلاء السادة فى مطولات الكتب التى يمل القارىء منهـــا ذاكراً أن من أعظم مايبث فى الأمة روح النشاط والاجتهاد فى أن تعكف على دراسة تاريخ كبارها حتى تعرف كيف تغلبوا على المصاعب الجمة التى كادت تحول بينهم وبين أمانيهم العظيمة وتعرف النتيجة التى تعود من اتباع الدين والسير على نظاماته ، فعلمت حسن قصدك وصحة إيمانك وغيرتك على أمتك ورأيت أن أساعدك على مقصدك وأتغلب على المصاعب التى تحول بينى وبين هذا العمل الجسيم مستعيناً بالله سبحانه وتعالى وهو نعم العون ، وقد جعلت الكتاب قسمين : ( القسم الأول ) فى اتحاد الكلمة وفيه الفتوحات الإسلامية فى عهد الخليفتين أبى بكر وعمر وزمن غير قليل من زمن عثمان ابن عفان رضى الله عنهم أجمعين . وأتبعت هـــذا القسم بنبذة فى نظامات الأمة الإسلامية إذ ذاك وسير المسلمين مع بعضهم من حسن الإخاء والسعى وراء

تتميم ما أنبأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعميم الدين الإسلامى فى مشارق الأرض ومغاربها . و ( القسم الثانى ) فى عصر الاختلاف والفتن وهو من أواخر مدة عثمان إلى أن قتل على بن أبى طالب وسلم ابنه الحسن الخلافة إلى معاوية رضى الله عنهم أجمعين وأتبعه بنبذة تظهر للمسلمين نتائج الاختلاف والفرقة ليكون الكتاب بعون الله درساً مفيداً لعامة المسلمين ( وقدمت ) أمام القسمين مقدمة صغيرة فى الخلافة وما يتعلق بها ولعل كتابى هذا يحل عند إخوانى المسلمين محل القبول فيقبلون عليه كما أقبلوا على سابقه وإنى بحمد الله واثق بحسن مسعاى لأنى قصدت به وجه الله سبحانه أسأل به حسن الذخر فى الآخرى وتوفيقاً للمسلمين حتى تقوى شوكتهم وينزل الله النصر عليهم .

وهذه هى الكتب التى استقيت منها فى جمع كتابى هذا ( ١ ) صحيح أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى الجعفى فى كثير من المواضع التى عنى فيها بأخبار الصحابة رضى الله عنهم ( ٢ ) صحيح أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى كذلك ( ٣ ) تاريخ الرسل والملوك لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى إلا ما كان من أمر صفين فإنى لم أعثر على الجزء الذى يحتوى عليها ( ٤ ) تاريخ أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد المعروف بابن الأثير الجزرى ( ٥ ) تاريخ عبد الرحمن بن خلدون المغربى ( ٦ ) تاريخ على ابن الحسين المسعودى من ولد عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ٧ ) إحياء علوم الدين لأبى حامد محمد بن محمد الغزالى ( ٨ ) سراج الملوك لأبى بكر محمد بن محمد الفهرى الطرطوشى : وقد التزمت أن أنص لك على موضع النقل عندما أرى ذلك لازماً لما رأيت من حرصك على ذلك والله الموفق .

# المقدمة فى الخلافة

## معنى الخلافة

أرسل الله سبحانه محمداً صلى الله عليه وسلم بدين قويم وصراط مستقيم : من اتبعه نجا ، ومن حاد عنه هلك وقد اشتمل هذا الدين على قوانين بها صلاح المجتمع الإنسانى فى الدنيا والأخرى فبلغ عليه الصلاة والسلام الرسالة كما حمل ثم لحق بربه راضياً مرضياً فكان لا بد للناس من إمام يخلفه فى حمل الكافة على اتباع هذا الدين ليقف كل إنسان عند حده فيتساوى القوى والضعيف والشريف والوضيع أمام الحق فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حراسة الدين وسياسة الدنيا .

## وجوب إقامة الخليفة

وقد أجمعت الأمة الإسلامية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجوب إقامة هذا الخليفة وتابعهم على ذلك من بعدهم من المسلمين ولم يشذ عن هذا الإجماع أحد ، اللهم إلا بعضاً من الخوارج والأصم من المعتزلة قالوا بالاستغناء عنه إذا صلحت الأمة بأن اتبعت الدين القويم فعملت بالكتاب والسنة ، والذى حملهم على ذلك إنما هو الفرار عن الملك ومذاهبه من الاستطالة والتغلب والاستمتاع بالدنيا لما رأوا الشريعة ممتلئة بذم ذلك والنعى على أهله ومرغبة فى رفضه .

## عدم تعدد الإمام

وكذلك أجمع المسلمون على أنه لا يصح أن يكون لهم فى عصر واحد خليفتان لما يجره ذلك من التنافس والتباغض اللذين هما سبب الخسران

والوبال وكفى بما حصل للمسلمين منذ تفرقت كلمتهم وتعدد سلطانهم مانعاً من ذلك فإن عدوهم تمكن من أن يتصنع لأحدهم ليستعين به على الآخر فكان ملوك الروم يتقربون من ملوك الأندلس ليكونوا لهم ردءاً مانعاً من تعدى العباسيين عليهم وصارت الحال تتقهقر من سيء إلى أسوأ حتى زمننا الذى نجتهد فيه للتقرب ممن يتمنون لنا الفناء والزوال ولو عرف ملوك الإسلام مصلحتهم وأزالوا الكبرياء من نفوسهم فتمسكوا بالدين ماوصلوا إلى هذا الدرك الأسفل ( إن فى ذلك لعبرة لأولى الألباب ) .

## صاحب الخلافة

منصب عظيم كمنصب الخلافة لا يستغرب تشعب الأفكار فيه واختلاف الأمة فى الأحق به فقد مضت القرون والأحقاب وهذه المسألة شاغلة أفكار العلماء من أكابر المسلمين وأول خلاف ظهر فيها كان عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان الأصحاب كانوا فى ذلك على ثلاثة مذاهب ( قوم ) قالوا إنها ترجع لرأى الأمة تختار من تشاء ليكون إماماً لها متى رأوا فيه القدرة على حراسة الدين وسياسة الدنيا لا فرق فى ذلك بين القرشى وغيره وكان هذا رأى أغلب الأنصار من سكان المدينة رضوان الله عليهم ولذلك طلبوها لأنفسهم وأرادوا أن يبايعوا سعد ابن عبادة سيد الخزرج . وأخذ برأيهم من بعدهم عامة المعتزلة وأكثر الخوارج والحجة فى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « إسمعوا وأطيعوا وإن ولى عليكم عبد حبشى ذو زبيبة » و ( قوم ) قالوا هى باختيار الأمة أيضاً ولكن لاتكون إلا فى قريش وكان هذا رأى أغلب المهاجرين رضوان الله عليهم . وأخذ برأيهم من بعدهم عامة أهل السنة ، والحجة فى ذلك ما رواه أبو بكر رضى الله عنه من قوله عليه الصلاة والسلام « الأئمة من قريش » و ( قوم ) رأوا أن الأولى بها قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقدم

فيهم على بن أبى طالب رضى الله عنه لسابقته بالإسلام وحسن بلائه فيه وقوله عليه السلام له حينما خلفه على أهله فى غزوة تبوك « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبوة بعدى » وكان هذا رأى أغلب بنى هاشم ومن شايعهم . وأخذ برأيهم من بعدهم عامة الشيعة والدليل على أن ذلك كان رأياً لعلى قوله لأبى بكر فى حديث مسلم الآتى « وكنا نحن نرى لنا حقا لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم » فلم يكن رضى الله عنه يرى لنفسه مرجحا سوى هذه القرابة ولو كان هناك وصاية له أو لغيره لما خفيت عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تغلب الرأى الأوسط على ما سواه عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ظهر لهذا الاختلاف فى مستقبل الأمة آثار لاتحمد من الشقاق العظيم والمصائب التى توالت على الأمة حتى فرقت كلمتها وأضعفت أمرها ولو روعى السر الذى من أجله خصصت قريش بالخلافة لما كان هناك خلاف ولا فرقة .

## السر فى تخصيص قريش بالخلافة

وإنما خص رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً بخلافته اعتباراً للعصبية التى تكون بها الحماية ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب فتسكن إليه الملة وأهلها وينتظم حبل الألفة فيها ولاشك أن قريشاً كان لهم العز والشرف على سائر مضر ، يعترف لهم بذلك سائر العرب . فلو جعل الأمر فى سواهم لتوقيع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم فتفترق الجماعة وتختلف الكلمة وهذا ماحذره الشرع أما إذا جعل فيهم فلا يحصل شىء من ذلك لأنهم قادرون على سوق الناس بعصا الغلب لما يراد منهم فلا يخشى من أحد اختلاف عليهم ولا فرقة لأنهم كفيلون حينئذ بدفعها ومنع الناس منها قال ابن خلدون فى مقدمة تاريخه بعد كلام لايخرج

عما ذكرناه ، فاذا ثبت أن اشتراط القرشية إنما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب وعلمنا أن الشارع لايخص الأحكام بجيل ولا عصر ولا أمة علمنا أن ذلك إنما هو من الكفاية فرددناه إليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهو وجود العصبية فاشترطنا فى القائم بأمور المسلمين أن يكون من قوم أولى عصبية قوية غالبة على من معها لعصرها ليستتبعوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية ولايعلم ذلك فى الأقطار والآفاق كما كان فى القرشية إذ الدعوة الإسلامية التى كانت لهم كانت عامة ، وعصبية العرب كانت وافية بها فغلبوا سائر الأمم وإنما يخص لهذا العهد كل قطر بمن تكون له فيه العصبية الغالبة ، وإذا نظرت سر الله فى الخلافة لم تعد هذا لأنه سبحانه وتعالى إنما جعل الخليفة نائبا عنه فى القيام بأمور عباده ليحملهم على مصالحهم ويردهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالأمر إلا من له قدرة عليه » اهـ .

أقول ولا نعلم الآن عصبية كافية لحماية الأمة أقوى من عصبية القائمين بأمور المسلمين الآن وهم بنو عثمان بالقسطنطينية وفقهم الله للعمل بدينه القويم والسير بسيره الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين .

## شروط الخليفة

لابد لمن يتولى هذا المنصب العظيم أن يكون جامعاً لشروط أربعة :

(١) العلم : لأنه منفذ لأحكام الله تعالى ومتى كان جاهلا بها لا يمكنه تنفيذها .

(٢) العدالة : لأن الإمامة منصب دينى ينظر فى سائر الأحكام التى تشترط فيها العدالة فكانت أولى باشتراطها ،

(٣) الكفاية : بأن يكون جريئاً على إقامة الحدود واقتحام الحروب

بصيراً بها ، كفيلا بحمل الناس عليها عالما بأحوال الدهاء قوياً على معاندة السياسة ليصلح له بذلك ماأسند إليه من حماية الدين وجهاد العدو وإقامة الأحكام وتدبير المصالح .

(٤) أن يكون سليم الحواس والأعضاء مما يؤثر فقدانه فى الرأى والعمل ويلحق بذلك العجز عن التصرف لصغر أو أسر أو غيرهما .

## انتخاب الخليفة

قال الله تعالى فى سورة آل عمران مخاطبا لنبيه الكريم ﴿ وشاوروهم فى الأمر ﴾ وهذا خطاب للأمة كلها فكانت الشورى بذلك أساساً للأعمال العظيمة التى يعملها المسلمون وأجلها تنصيب الخليفة فلا تنعقد إلا بشورى المسلمين ورضاهم والمعتبر فى ذلك أهل الحل والعقد منهم وهم كبار الصحابة رضوان الله عليهم الذين امتازوا بكثرة الصحبة فاستنارت بصائرهم وعرفوا من يصلح للأمة وهذا فى العصر الأول وينزل منزلتهم فيما بعده من العصور من له خير فى الإسلام ولا يلزم إجماع ذوى الحل والعقد على المنتخب بل المعتبر الأغلبية وهى مازاد على نصف المجتمعين والحجة فى ذلك عهد عمر فمتى تم الرضا على واحد بايعوه على السمع والطاعة وعلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبهذه البيعة تجب على المسلمين طاعته وتنفيذ أوامره لأوافق منها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وليست الطاعة للإمام فى حياته فقط بل وبعد وفاته فإذا عهد لأحد من المؤمنين بالخلافة انعقدت له ووجبت مبايعته فصار واجب الطاعة وقد فعل ذلك أبو بكر لعمر رضى الله عنهما فأجازه المسلمون وإذا حصر الشورى فى عدد مخصوص من ذوى الحل والعقد أجيز ذلك وصح انتخابهم كما فعل عمر مع عثمان رضى الله عنهما ، وهذه الكيفيات الثلاث فى انتخاب الإمام

وهى انتخابه بالشورى العامة أو الخاصة التى يختارها الإمام السابق أو ولاية العهد هى الكيفيات التى عمل بها فى العصر الأول وبقيت كيفية رابعة أقر العلماء بعد العصر الأول على انعقاد الإمامة بها وهى كيفية التغلب وتكون حينما لا يكون للمسلمين إمام واختلفوا فيما بينهم فلم يرضوا واحداً فيجوز لمن يعرف من نفسه القدرة على سياسة الأمة بدرايته وعصبيته أن يطلب هذا الأمر فيدخل الناس فى طاعته إما طوعا وإما كرهاً ومتى هدأت الأحوال وأجيب نداؤه صارت خلافته معمولا بها وصار واجب الطاعة .

## طاعة الإمام

قال الله تعالى فى سورة النساء ( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ) وقال عليه السلام ( من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ومن يعص الأمير فقد عصانى ) وقال عليه السلام لأبى هريرة ( عليك السمع والطاعة فى عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثره عليك ) والأثرة هى الاستئثار بالحقوق وقال عليه السلام ( لو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا له ) وقال أبو ذر رضى الله عنه ( أوصانى خليلى أن أسمع وأطيع وإن كان عبد مجدع الأطراف ) .

وفى حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه ( بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثره علينا وأن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كان لا نخاف فى الله لومة لائم ) وفى رواية ( بايعنا على السمع والطاعة فى منشطنا

ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثره علينا ولا ننازع الأمر أهله إلا إن تروا كفراً بواحا ) والبواح الظاهر المكشوف الذى لاتأويل فيه .

## مخالفة الامام

وهذه الطاعة محدودة بما حده الشرع فإذا أمر بما يطبق على قواعد الدين ولا يخالف صريح القرآن ولا السنة الظاهرة المكشوفة فأمره مطاع واجب التنفيذ وكذلك إذا كان باجتهاد من عنده استند فيه لكتاب أو سنة أما إذا أمر بما خالف صريح القرآن أو السنة فلا طاعة له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق ) وقال عليه السلام ( فإذا أمرت بمعصية فلا سمع ولا طاعة ) كما إذا أمر بشرب خمر أو ترك صلاة مثلا فيجب على المرء المسلم أن لاينفذ أمره بل ينفذ أمر الله ولايخاف فيه لومة لائم

## منابذة الامام

أما إذا خرج هو فى أعماله عن حد الشرع بأن ظلم أو استأثر بالحقوق أو فسق بشرب خمر أو ترك صلاة مثلا فالواجب على المسلمين القيام بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر لاتأخذهم فى ذلك لومة لائم عملا بحديث عبادة ( وعلى أن نقول الحق أينما كان لانخاف فى الله لومة لائم ) بشرط ألا يؤثر ذلك فى طاعته شيئاً فلا يجوز الخروج عليه وإشهار السلاح فى وجهه أبداً مهما استأثر أو فعل إلا إذا ظهر منه كفر صريح لاتأويل فيه ، ففى حديث عبادة ( ولا ننازع الأمر أهله إلا أن يروا كفراً بواحاً ) وهنا لا إمامة له ولا طاعة بل يجب على كل مسلم القيام ضده حتى يبوء بالخزى والنكال وقد كان أكثر الصحابه الذين فى عهد يزيد على هذا المبدأ فلما شهر يزيد بما شهر

به لم يجرؤ أحد منهم الخروج عليه إلا الحسين بن على رضى الله عنه فإنه رأى لنفسه ذلك لأهليته التى لا يمارى فيها وشوكته التى لم تكن بالحادة فلم يتمكن مما أراد رحمه الله وقد عذله على خروجه أخوه محمد بن الحنفية وابن عمه عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير فلم يرض لنصحهم لأمر إراده الله . وقد كان فى ذلك العصر كثير من الصحابة بالحجاز والشام والبصرة والكوفة ومصر وكلهم لم يخرج على يزيد لا وحده ولا مع الحسين ولم يقاتلوا مع يزيد أيضاً بل اعتزلوا هذه الفتنة . ولعل الحسين رضى الله عنه تأول قوله تعالى ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ وساعد على ذلك أن أرسل له سراة أهل العراق يطلبونه لمبايعته فرأى ذلك له مع قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان ما كان .

## جزاء المحاربين

الإمام خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن عصاه فقد عصى الرسول ومن عصى الرسول فقد عصى الله ومن حارب الإمام فقد حاربهما وأجدر بمن حارب الله ورسوله أن يبوء بإثم عظيم ، وقد بين الله سبحانه وتعالى جزاء المحاربين فى سورة المائدة قال تعالى ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم . إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم ﴾ فجعل المحارب أربعة أنواع محارب قتل فجزاؤه القتل ومحارب قتل وسرق فجزاؤه الصلب ومحارب سرق فجزاؤه القطع ومحارب أخاف السبيل فجزاؤه النفى . والذى حدد هذه الأنواع

السنة المطهرة . وقال بعض الفقهاء إنه لاتوزيع فى هذه العقوبات وللامام الخيار فى الحكم بأى واحدة منها حسبما يراه من المصلحة وإن كانت لهم فئة يرجعون إليها كانوا بغاة ولهم أحكام تذكر فى كتب الفقه ، ثم ذكر فى كتب الفقه ، ثم ذكر سبحانه أن من تاب من قبل القدرة عليه فقد عفا الله عنه ولذلك يلزم الإمام أن يدعوهم إلى طاعته قبل أن يبدأهم بالقتال ، وقد فعل ذلك على ابن أبى طالب مع من خرج عليه من الحروريين ؛ ورأى أن قليلا ممن خرج على الأئمة فى العصور السابقة لهم مقاصد دينية والغالب عليهم المقاصد الذاتية النفسانية ولذلك قلما رأينا منهم من نجح لأن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم هى النور الذى يستضىء به كل مسلم وهى قد حرمت الخروج تحريماً شديداً مخافة تفريق المسلمين وتشتيت كلمتهم

## واجبات الامام

قد علمنا أن وظيفة الإمام هى حراسة الدين وكفاية الأمة فالواجب عليه إذاً أن يكون الشرع قائده لاينحرف يمنة ولا يسرة عما جاء فى كتاب الله الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم العادلة الصحيحة وإجماع أئمة المسلمين فى العصر الأول ، فان فعل ذلك واهتدى بهدى من هو خليفة عنـــه وهدى خلفائه الراشدين كانت مرتبته مرتبة الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً وكان من الذين يظلهم الله يوم لاظل إلا ظله وأما إن انحرف وحاد واتبع شهواته النفسية فهناك يكون الوعيد الشديد والعقاب الأليم ، قال عليه الصلاة والسلام ( مامن أمير يلى أمور المسلمين ثم لايجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة ) وقال عليه السلام ( مامن عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة ) وقال عليه السلام ( من ولى من أمر المسلمين شيئاً

ثم لم يحطهم بنصحه كما يحوط أهل بيته فليتبوأ مقعده من النار ) إلى غير ذلك من الأحاديث التى كلها تحذير للأئمة كيلا تهوى بهم أعمالهم فى الدرك الأسفل من النار نعوذ بالله من ذلك . اللهم ألهم ولاة أمورنا الرشد وبين لهم السداد ليقتدوا بسيرة نبيك صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء وسيرة خلفائه الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين .

# القسم الأول من الكتاب

## خلافة أبي بكر

لما لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى اجتمع أصحابه من مهاجرين وأنصار فى سقيفة بنى ساعدة لإقامة خليفة له وكان الأنصار أهل المدينة يريدونها لأنفسهم لما لهم من نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيوائه بطيبتهم ولا يرون اختصاص قريش بالخلافة ، فلما حجهم أبو بكر رضى الله عنه بقوله عليه الصلاة والسلام «الأئمة من قريش» أصاخوا له وتركوا ما ذهبوا إليه من أحقيتهم بالخلافة لأن المخالف ما دام حائداً عن الهوى سهل إرجاعه إلى الحق ، وهؤلاء كانوا أجلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يهمهم إلا ضم كلمة المسلمين ولم شعثهم غير ناظرين إلى الدنيا وزخارفها (وكان) بنو هاشم يريدونها لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه لما يرون من أحقيته بالخلافة لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الرأى الغالب كان مع أبى بكر رضوان الله عليه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه فى الصلاة وقت مرضه فقال المؤمنون قد رضيه صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه لدنيانا ؟ فبويع بها لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة وأول من بايعه عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ولم يبايع على بن أبى طالب إلا بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها ، وفى مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى أبى بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك ( قرية بخيبر ) وما بقى من خمس خيبر فقال أبو بكر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركناه صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال وإنى والله لا أغير شيئاً

من صدقة رسـول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التي كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أعمل فيها إلا بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك قال فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي بن أبي طالب ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها وكانت لعلي من الناس وجهة حياة فاطمة فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ولم يكن بايع تلك الأشهر فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد كراهية محضر عمر ابن الخطاب فقال عمر لأبي بكر والله لا تدخل عليهم وحدك فقال أبو بكر وما عساهم أن يفعلوا بي، والله لآتينهم فدخل عليهم أبو بكر فتشهد علي ابن أبي طالب ثم قال إنا قد عرفنا يا أبا بكر فضيلتك وما أعطاك الله ولا ننفس عليك خيرا ساقه الله إليك ولكنك استبددت علينا بالأمر وكنا نحن نرى لنا حقا لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يكلم أبا بكر حتى فاضت عينا أبي بكر فلما بكى أبو بكر قال لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن أصل من قرابتي وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فإني لم آل فيها عن الحق ولم أترك أمراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه إلا صنعته فقال لأبي بكر موعدك العشية للبيعة فلما صلى أبو بكر صلاة الظهر رقى على المنبر فتشهد وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة وعذره بالذي اعتذر إليه ثم استغفر وتشهد علي بن أبي طالب فعظم شأن أبي بكر وأنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر ولا إنكار للذي فضله الله به ولكنا كنا نرى لنا في الأمر نصيباً فاستبد به فوجدنا في أنفسنا ، فسر بذلك المسلمون وقالوا أصبت وكان المسلمون إلى علي قريبا حين راجع الأمر بالمعروف . ولما قضى الأمر ببيعة أبي بكر صعد المنبر فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه ( أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني

وإن صدقت فقوموني ، الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله لايدع أحد منكم الجهاد فإنه لايدعه قـــوم إلا ضربهم الله بالذل أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله ) .

## ترجمة أبي بكر

هو أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر التيمى القرشى يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم فى مرة بن كعب وأمه أم الخير سلمى بنت صخر ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ولد رضى الله عنه لسنتين من ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشب على الأخلاق الفاضلة والسيرة الكريمة وكان ذا يسار يحمل الكل ويكسب المعدوم وكان مصاحباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة فلما شرف الله محمداً برسالته كان أبو بكر أول رجل أجابه حتى قال عليه السلام « ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كبوة غير أبي بكر » ثم قام بدعوة إخوانه وأصدقائه من قريش إلى هذا الدين فأجابه جمع منهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام وطلحة ابن عبيد الله وغيرهم ولما آذى المشركون من أسلم من عبيدهم كان لأبى بكر اليد الطولى فى شرائهم وعتقهم ابتغاء وجه ربه الأعلى منهم بلال بن رباح وعامر بن فهيرة وغيرهما . وقد أراد الهجرة إلى الحبشة مع من هاجر فمنعه من ذلك ابن الدغنة سيد القارة وقال مثل أبي بكر لايخرج وجعله فى حمايته فأقام أبو بكر على ذلك زمناً ثم ترك هذه الحماية راضياً بحماية الله سبحانه وتعالى إذ لايليق بالمسلم القوى الإيمان أن يرضى بحماية غير الله جل جلاله .

ولما أذن الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فى الهجرة إلى المدينة كان له شرف الصحبة بنص القرآن الشريف قال تعالى فى سورة التوبة « إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا » وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنته عائشة وسنها إذ ذاك سبع سنوات وبنى بها وهو فى المدينة وسنها تسع سنوات . وشهد أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهده كلها وكان يحمل رايته العظمى فى آخر غزواته وهى غزوة تبــوك وأمره عليه السلام أن يحج بالمسلمين فى السنة التاسعة ولما مرض عليه الصلاة والسلام أمره أن يصلى بالناس وهذه أعظم إشارة لاستحقاقه بالخلافة من بعده وكان له من الولد عبد الله الذى جرح بالطائف وتوفى فى أول خلافة أبيه وأسماء زوج الزبير ابن العوام وأم عبد الله بن الزبير وله عبد الرحمن وأم المؤمنين عائشة ومحمد الذى ولى مصر فى مدة على بن أبى طالب وقتل بها وأم كلثوم التى ولدت بعد وفاته . وكان رضى الله عنه أبيض خفيف العارضين أحنى لايتمسك إزاره معروق الوجه ، قليل لحمه ، نحيفاً أقنى غائر العينين يخضب بالحناء والكتم ولما تولى الخلافة كان منزله بالسنح ( وهو محلة خارج المدينة ) فكان يأتيها كل يوم ماشياً وربما ركب فرسه ثم انتقل إلى المدينة بعياله بعد ستة أشهر من خلافته وترك تجارته التى كان ينفق منها على عياله وقال ماتصلح الناس أمور التجارة وما يصلح لهم إلا التفرغ والنظر فى شأنهم وأنفق من مال المسلمين مايصلحه وعياله يوماً بيوم وكان يحج ويعتمر ثم فرضت له الأمة شيئاً معلوماً يقوم بكفايته وقدره ستة آلاف درهم سنوياً . ومن مآثره رضى الله عنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حقه « إن من أمن الناس على فى صحبته أو ماله أبا بكر ولو كنت متخذاً خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام ومودته لايبقين فى المسجد باباً إلا سد إلا باب أبى بكر » وجاءت امرأة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه قالت أرأيت إن جئت ولم أجدك — كأنها تقول الموت —

قال صلى الله عليه وسلم « إن لم تجدينى فائتى أبا بكر » وحدث أبو الدرداء قال كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما صاحبكم فقد غامر ( ألقى بنفسه فى الشدة ) فسلم وقال يارسول الله إنه كان بينى وبين ابن خطاب شيء فأسرعت فى الحال إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لى فأبى على فأقبلت إليك فقال يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثاً ثم إن عمر قدم فأتى منزل أبى بكر فسأل أثم أبو بكر ؟ فقالوا لا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعر « يتغير غيظاً » حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال يارسول الله والله أنا كنت أظلم مرتين فقال النبي صـــلى الله عليه وسلم « إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدق وواسانى بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لى صاحبي ؟ مرتين » فما أوذى بعدها .

## أعماله فى خلافته

أول عمل بدأ به أبو بكر تسيير جيش أسامة بن زيد الذى كان النبي صلى الله عليه وسلم جهزه إلى أبنى ولم يثنـــه عن ذلك ما حصل من الاضطرابات فى بلاد العرب عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طلب بعض كبار الأنصار على لسان عمر بن الخطاب من أبى بكر أن يولى إمارة الجيش رجلا أسن من أسامة فغضب أبو بكر حتى قام وقعد وقال ياعمر استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرنى أن أعزله ؟ ثم خرج رضى الله عنه وشيع الجيش بنفسه ماشياً وأسامة راكب فقال له أسامة ياخليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن فقال والله مانزلت ولاركبت وماعلى أن أغبر قدمى ساعة فى سبيل الله فان للغازى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له وستمائة سيئة تمحى عنه ثم وصاه هو

وأصحابه فقال ( لاتخونوا ولاتغدروا ولاتغلوا ولاتمثلوا ولاتقتلوا طفلا ولا شيخاً كبيراً ولاتعزقوا نخلا ولاتحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للأكل وإذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له وإذا لقيتم قوماً فحصوا أوساط رءوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاضربوا بالسيف ما فحصوا عنه فاذا قرب عليكم الطعام فاذكروا اسم الله . يا أسامة اصنع ما أمرك نبي الله ببلاد قضاعة ثم أنت قافل ولا تقصر من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ودعه من الجرف ورجع ( والجرف موضع قرب المدينة ) ورغب أسامة من عمر بن الخطاب التخلف عن هــــذا البعث والمقام مع أبي بكر شفقة من أن يدهمه أمر فأذن أبو بكر لعمر فى ذلك وسار أسامة حتى انتهى لما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث الجنود إلى بلاد قضاعة ( وكان لبنى قضاعة ملك مابين الشام والحجاز إلى العراق فى أيلة وجبال الكرك إلى مشارف الشام واستعملهم الروم على بادية العرب هنالك وكان أول الملك فيهم فى تنوخ منهم ثم غلبهم عليه بنو سليح وكانت رياستهم فى ضجعم بن معد منهم ثم غلبهم على هذا الملك بنو غسان الذين الذين جاءوهم من اليمن فصار ملك العرب بالشام لبنى جفنة الذين مدحهم حسان بن ثابت ) وأغار أسامة على أبنى فسبى وغنم ورجع إلى المدينة ظافراً بعد أن غاب عنها بعد أربعين يوماً وكان إنفاذ هذا الجيش من أعظم الأمور نفعاً للمسلمين فان العرب قالوا لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش . فكفوا عن كثير مما كانوا عزموا عليه .

## أخبار الردة

منى الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمصيبة عظمى لو لم تتداركها حكمة أبى بكر رضى الله عنه لضعف الدين وتشتت شمل المسلمين

فإن العرب مالبثت بعد أن علمت بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتدت ولم يبق أحد متمسكا بدينه منهم إلا قريشاً بمكة وثقيفاً بالطائف وقليلا من غيرهم وكان الناس فى ذلك على قسمين فمنهم التارك للدين بالمرة وهم بنو طيء وأسد ومن تبعهم من غطفان الذين اتبعوا طليحة بن خويلد الأسدى وبنو حنيفة الذين اتبعوا مسيلمة وأهل اليمن الذين اتبعوا الأسود العنسى وكثير غيرهم ومنهم المعطل للزكاة وهم بعض بنى تميم الذين يرأسهم مالك بن نويرة وبنو هوازن وغيرهم ، وكان من رأى أبى بكر رضى الله عنه قتال مانعى الزكاة كما يقاتل المرتدون لأن تعطيل الزكاة طعن على الصلاة بل على جميع منازل الدين فقال له عمر بن الخطاب يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله » ، قال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال عمر فو الله ماهو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبى بكر للقتال فعلمت أنه الحق ( رواه البخارى ) فشمر رضى الله عنه عن ساعد الجد غير مبال بهذه الأهوال الجسام مع قلة جيشه وكثرة عدوه واثقاً بوعده سبحانه وتعالى فى قوله « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » وها نحن نسوق لك حروب الردة لتعرف كيف ينجح الإنسان إذا اعتمد على ربه واستسهل المصاعب وليعلم المسلمون كافة فعل خليفتهم الأول عندما كان المسلمون كالغنم فى الليلة المطرة لقلتهم وكثرة عدوهم وإظلام الجو بفقد نبيهم .

## خبر عبس وذبيان

أقام أبو بكر ينتظر جيش أسامة فعاجلته عبس وذبيان ومنازلهم بنجد مما يلى وادى القرى وجبل طيء فنزل بعضهم بالأبرق ونزل آخرون بذى

القصة ( موضعان شمال المدينة الغربى جهة نجد ) واجتمع معهم جماعة من بنى أسد ومن انتسب إليهم من كنانة وقد بعثوا وفداً لأبى بكر يطلبون الاقتصار على الصلاة دون الزكاة فأبى أبو بكر وردهم خائبين وخشى على المدينة من البيات فحمل على أنقابها علياً وطلحة والزبير وعبد الله بن مسعود وأمر أهل المدينة بلزوم المسجد فلما رجع وفد مانعى الزكاة إلى قومهم أطمعوهم فى المدينة لقلة من فيها فأغاروا عليها فأرســـل من الأنقاب إلى أبى بكر فخرج بالمسلمين على النواضح « الابل التى يسقى عليها » فهرب العدو وتبعهم المسلمون إلى ذى خشب ( وادى بقرب المدينة ) فخرج عليهم رده للعدو بقرب فقد نفخوها وفيها الحبال ثم دهدهوها ( دحرجوها ) على الأرض فنفرت إبل المسلمين ورجعت بهم إلى المدينة ولم يصرع أحد منهم بفضل الله ثم خرج أبو بكر ليلا على بقية وبيت الأعداء فلم يشعروا إلا والمسلمون على رءوسهم ولم تطلع الشمس إلا وقد ولوا الأدبار فاتبعهم أبو بكر حتى وصل ذا القصة فترك بها النعمان بن مقرن ورجع إلى المدينة وحينذاك قدم أسامة بن زيد من غزوته فاستخلفه أبو بكر على المدينة وترك معه جنده ليستريحوا وخرج هو قاصدا ذا خشب وذا القصة ثم سار حتى نزل على أهل الربذة فقاتل من هناك من المرتدين وهزمهم ثم غلب على بلاد ذبيان وجعلها حمى لدواب المسلمين ثم رجع إلى المدينة حتى إذا استراح جيش أسامة وثاب من حوالى المدينة خرج إلى ذى القصة فعسكر بها وعقد أحد عشر لواء لأحد عشر قائداً .

## تسيير الجيوش إلى أهل الردة

( ١ ) سيف الله خالد بن الوليد ووجهه إلى طليحة بن خويلد الأسدى فاذا فرغ منه قصد مالك بن نويرة بالبطاح (٢) عكرمة بن أبى جهل ووجهه إلى مسيلمة باليمامة (٣) شرحبيل بن حسنة ووجهه فى أثر عكرمة (٤) المهاجر

ابن أبى أمية ووجهه إلى جنود العنسى ومعاونة الأبناء (قوم من الفرس سكنوا اليمن) ثم يمضى إلى كندة (٥) حذيفة بن محصن الغطفانى ووجهه إلى أهل دبا (٦) عرفجة بن هرثمة ووجهه إلى أهل مهرة وأمر هذا ومن قبله أن يجتمعا وكل واحد أمير على صاحبه فى عمله (٧) سويد بن مقرن ووجهه إلى تهامة اليمن (٨) العــــلاء بن الحضرمى ووجهه إلى البحرين (٩) طريفة ابن حاجز ووجهه إلى بنى سليم ومن معهم من هوازن (١٠) عمرو بن العاص ووجهه إلى قضاعة (١١) خالد بن سعيد بن العاص ووجهه إلى مشارف الشام .

## كتاب أبى بكر للأمراء

وكتب للأمراء عهداً هذه صورته :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هذا عهد من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام وعهد إليه أن يتق الله ما استطاع فى أمره كله سره وجهره وأمره بالجد فى أمر الله ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الإسلام إلى أمانى الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بدعاية الإسلام فإن أجابوه أمسك عنهم وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقرروا له ثم ينبئهم بالذى عليهم والذى لهم فيأخــــذ ما عليهم ويعطيهم الذى لهم لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم فمن أجاب إلى أمر الله وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله فاذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به ومن لم يجب إلى داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مرغمة لا يقبل الله من أحد شيئاً مما أعطى إلا الإسلام فمن أجابه وأقر قبل منه وأعانه ومن قاتله

فإن أظهره الله عليه عز وجل قتلهم فيه كل قتلة بالسلاح والنيران ثم قسم ما أفاء الله إلا الخمس فإنه يبلغناه ويمنع أصحابه العجلة والفساد وأن لا يدخل فيهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ما هم لئلا يكونوا عيوناً ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم فى السير والمنزل ويتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض ويستوصى بالمسلمين فى حسن الصحبة ولين القول » .

وكتب إلى المرتدين جميعهم كتباً صورتها واحدة وهذا نصها :

## كتب أبى بكر إلى المرتدين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بلغه كتابى هذا من عامة أو خاصة أقام على الإسلام أو رجع عنه . سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والهوى فانى أحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله وأومن بما جاء به ( أما بعد ) فان الله أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين يهدى الله للحق من أجاب إليه وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم باذنه من أدبر عنه حتى صار إلى الإسلام طوعاً أو كرهاً ثم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نفذ لأمر الله ونصح لأمته وقضى الذى عليه وكان الله قد بين ذلك لأهل الإسلام فقال ( إنك ميت وإنهم ميتون ) وقال ( وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ) وقال المؤمنين ( وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن

يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين ) فمن كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له فان الله بالمرصاد حى قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم حافظ لأمره منتقم من عدوه بحزبه وإنى أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله وما جاء به نبيكم وأن تهتدوا بهديه وأن تعتصموا بدين الله عز وجل فان من لم يهده الله ضل وكل من لم يعرفه مبتلى وكل من لم ينصره مخذول فمن هداه الله كان مهدياً ومن أضله كان ضالا ( من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ) ولم يقبل منه فى الدنيا عمل حتى يقربه ولم يقبل له فى الآخرة صرف ولا عدل وقد بلغنى رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به اغتراراً بالله عز وجل وجهالة لأمره وإجابة للشيطان وقال جل ثناؤه ( وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ) وقال جل ذكره ( إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ) وإنى قد أنفذت لكم خالد بن الوليد فى جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين باحسان وأمرته أن لا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله فمن استجاب وأقر وكف وعمل صالحاً قبل منه وأعانه عليه ومن أبى أن يقاتله على ذلك ولا يبقى على أحد منهم قدر عليه وأن يحرقهم بالنيران ويقتلهم كل قتلة ويسبي النساء والذرارى ولا يقبل من أحد إلا الإسلام فمن آمن فهو خير له ومن تركه فلن يعجز الله وقد أمرت رسولى أن يقرأ كتابى فى كل مجمع لكم والداعية الأذان فان أذن المسلمون فأذنوا كفوا عنهم وإن لم يؤذنوا فسألوهم بما عليهم فان أبوا عاجلوهم وإن أقروا قبل منهم وحملهم على ماينبغى لهم . وسير هذه الكتب قبل مسير الأمراء ثم خرجت الأمراء معهم العهود كل إلى وجهته والله ناصره .

# خبر طليحة

كان طليحة بن خويلد الأسدى رجلا كاهنا ادعى النبوة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبعه أفاريق من بنى إسرائيل ونزل سميراء من بلاد بنى أسد شرقى نجد مما يلى العراق فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرار بن الأزور الأسدى لمقاتلته فسار إليه ولما هم لمناجزته جاءت الأخبار بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستطار أمر طليحة واجتمعت إليه غطفان وهوازن وطيء فرجع ضرار إلى المدينة وحينئذ سير أبو بكر خالد بن الوليد لقتال طليحة ومن معه وكان فى جيش خالد عدى بن حاتم الطائى فاستأذن خالداً فى أن يتعجل حتى يدعو قومه بنى طيء إلى الرجوع لدين الله فسار إليهم ودعاهم فأجابوه لذلك وتركوا طليحة وانضموا إلى جيش المسلمين ودعا عدى أيضاً من مع طليحة من بنى جديلة فأجابوه ثم سار خالد حتى التقى بالمرتدين ببزاخة فقاتلهم قتالا شديداً ولما رأى طليحة أن لاقبل له بالحرب هرب هو وزوجته على فرسين كان قد أعدهما لذلك ولحق بالشام فانهزم جيشه . وقد اسلم طليحة بعد ذلك حينما علم بإسلام بنى أسد وغطفان وله ذكر جميل فى فتح العراق ثم اجتمعت قبائل غطفان إلى سلمى بنت مالك بن حذيفة بالحوأب وكانت سلمى هذه قد سبيت فى مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقتها أم المؤمنين عائشة وقال لها عليه السلام يوماً وقد دخل عليها وهى فى نسوة فى بيت عائشة إن إحداكن تستنبح كلاب الحوأب فكان فعلها هذا مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام ( عن ابن خلدون ) ولما علم بذلك خالد سار إليها وقاتل جيشها وهى راكبة على جمل قتل دونه نحو مائة رجل ثم قتلت هى أيضاً فانهزم جيشها .

أما بنو عامر فانهم لما رأوا ماحل بأسد وغطفان أتوا خالداً وقالوا

ندخل فيما خرجنا منه ونؤمن بالله ورسوله فقبل منهم وبايعهم على أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويبايعوا على ذلك أبناءهم ونساءهم . ثم طلب من أحدثوا حدثا فى الإسلام فأتى بهم وجازاهم بمثل مافعلوا . ( أما بنو سليم ) فقد كان الفجاءة بن عبديا ليل سار إلى أبى بكر وطلب منه المعونة ليقاتل أهل الردة فأعطاه أبو بكر وأمره فلما رجع إلى قومه ارتد وأرسل نجبة بن المثنى ليشن الغارة على المسلمين فسار إليه طريفة بن حاجز أحد أمراء جيوش الردة وقاتله فقتل نجبة وهرب الفجاءة فأدرك وأرسل إلى أبى بكر فقتله ورجعت بنى سليم للاسلام .

## خبرة مالك بن نويرة

كان رسول صلى الله عليه وسلم قد أمر على بنى تميم ستة أمراء وهم الزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم وصفوان بن صفوان وسبرة بن عمرو ووكيع بن مالك ومالك بن نويرة فلما توفى عليه السلام سير الزكاة إلى أبى بكر صفوان بن صفوان والزبرقان بن بدر ومنعها قيس بن عاصم ومالك بن نويرة فقام من بقى على إسلامه فى وجه من ارتد ومنع الزكاة وبينما هم على اختلافهم إذ جاءتهم امرأة اسمها سجاح من أرض الجزيرة ثم من بنى تغلب وكانت نصرانية فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعت النبوة فتبعها كثير من أوباش العرب فقصدت بهم غزو أبى بكر فلما وصلت بلاد تميم ( وكانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة ) أرسلت إلى مالك بن نويرة تطلب موادعته فوادعها وردها عن غزو المدينة وأغراها على المسلمين من تميم ففروا أمامها أما هى فسارت تريد المدينة حتى بلغت النباج ( قرية بالبادية ) فاعترضها قوم من تميم فحاربوها وأسروا بعض رجالها ثم تحاجزوا على أن تطلق أسراهم ويطلقوا أسراها وترجع فلا تجتاز عليهم فيئست بذلك من الذهاب إلى المدينة وانقلبت تريد اليمامة . أما بنو

تميم فانهم راجعوا الإسلام وندموا على مافعلوا إلا مالك بن نويرة فانه ظل متحيراً واجتمع إليه قومه بالبطاح فسار إليه خالد بعد أن انتهى من أمر طليحة فلما علم مالك بمسيرة أمر قومه فتفرقوا فى المياه فبعث خالد السرايا فى أثرهم فأتى بكثير منهم أسرى وبينهم مالك بن نويرة فأمر بقتلهم وتزوج امرأة مالك وقد نقم عليه عمر بن الخطاب قتل مالك وزوج امرأته لأن جماعة شهدوا عنده أن مالكا كان قدراجع الإسلام فطلب من أبى بكر أن يقتص منه فقال أبو بكر تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد فإنى لا أشيم سيفاً سله الله على الكافرين .

## خبر مسيلمة

كان بنو حنيفة ممن وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته وفيهم مسيلمة بن ثمامة أحد بنى عدى بن حنيفة فلما ورد المدينة جعل يقول إن جعل لى الأمر من بعده تبعته فأقبل إليه النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفى يد النبي صلى الله عليه وسلم قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه وقال لو سألتنى هذه القطعة ماأعطيته وان أتعدى أمر الله فيك وإن أبرت ليعقرنك الله وإنى لأراك الذى أريت فيك ماأريت وهذا ثابت يجيبك عنى ثم انصرف فسأل ابن عباس أبا هريرة عما رآه النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما أنا نائم رأيت فى يدى سوارين من ذهب فأهمنى شأنهما فأوحى إلى فى المنام أن أنفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان من بعدى فكان أحدهما العنسى صاحب صنعاء والآخرمسيلمة صاحب اليمامة (رواه مسلم) فلما رجع مسيلمة ومن معـــه إلى منازلهم ( وهى اليمامة بين نجد والبحرين كالحجاز بين نجد وتهامة ) ادعى مسيلمة النبوة وأنه أشرك مع محمد فى الأمرفاتبعه قومه وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله

سلام عليك فإنى قد أشركت فى الأمر معك وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولـكن قريش قوم لايعدلون . فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم « من محمد رسول الله إلى مسيلمة الـكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » قال الطبرى وذلك بعد منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع فلما توفى عليه السلام عقد أبو بكر لواء لعكرمة بن أبى جهل وسيره لقتال مسيلمة وسير على أثره شرحبيل بن حسنة مدداً له فلم ينتظر عكرمة مدده حتى يكون اجتماعهما أشد على عدوهما بل تعجل ليـكون له الفضل خاصة فتقدم ولاقى جيش مسيلمة فنـكب ولما علم بذلك أبو بكر غضب عليه ونهاه عن العودة إلى المدينة وأمره باللحاق إلى اليمن ليـكون مع حذيفة وعرفجة على قتال أهل مهرة فإذا انتهوا ساروا إلى المهاجر بن أبى أمية لقتال جنود الأسود العنسى . وبعث أبو بكر لخالد بن الوليد يأمره بالمسير إلى مسيلمة وأمده بجيش كثيف من المهاجرين والأنصار وأرسل إلى شرحبيل يأمره بانتظار خالد حتى يجتمعا على جنود مسيلمة التى تبلغ عدتها أربعين ألفاً فلما علم مسيلمة وبنو حنيفة بدنو خالد خرجوا فعسكروا فى منتهى ريف اليمامة واستنفروا الناس فنفر إليهم عدد كثير فتقدم خالد وعلى مقدمته شرحبيل ولما كان على ليلة من معسكر بنى حنيفة التقى بسرية منهم راجعة من بلاد بنى تميم وعامر لإدراك ثار لهم وعليهم مجاعة بن مرارة من سادات بنى حنيفة فأمر بهم خالد فقتلوا إلا مجاعة فانه استبقاه لشرفه ثم سار خالد حتى التقى بجيش المرتدين فتقاتل الفريقان قتالا شديدا ولمـــا حمى القتال انـكشف المسلمون بادىء الأمر حتى وصل المرتدون إلى فسطاط خالد وأرادوا أخذ زوجته فمنعهم من ذلك مجاعة وقال نعم الحرة هى . ثم تداعى المسلمون وأنزل عليهم سكينته فحمل خالد فى الناس حتى رد المشركين إلى أبعـد ما كانوا وتذامر بنو حنيفة وقاتلوا قتالا شديداً فعلم خالد

آن رحى الحرب تدور على مسيلمة فطلبه للبراز فبرز إليه فلما اشتد عليه الأمر أدبر وزال أصحابه فنادى خالد فى المسلمين فحملوا حتى هزموا المرتدين شر هزيمة فتحصنوا فى بستان لمسيلمة كان يسمى حديقة الرحمن فقال البراء بن مالك أحد شجعان الأنصار ألقونى عليهم فى الحديقة فألقوه عليهم فقاتل عن الباب حتى فتحه فدخله المسلمون وأكثروا القتل فى بنى حنيفة حتى قتل مسيلمة واشترك فى قتله وحشى قاتل حمزة بن عبد المطلب ورجل من الأنصار فانهزم بنو حنيفة وركبهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقال مجاعة لخالد والله ما جاءك إلا سرعان الناس وإن جماهيرهم لفى الحصون فهلم أصالحك على قومى وقد كان خالد التقط من دون الحصون من نساء وصبيان ومال فقال مجاعة أصالحك على ما دون النفوس وانطلق كأنه يشاورهم فافرغ السلاح على النساء ووقفهن بالأسوار ثم رجع إليه وقال أبوا أن يجيزوا ذلك فنظر خالد إلى الحصون فوجدها ممتلئة بالجيوش والمسلمون قد نهكتهم الحرب وقتل من الأنصار ماينيف على ثلاثمائة وستين من المهاجرين ومثلهم ومن التابعين لهم مثلهم أو يزيدون وقد فتشت الجراحات فيمن بقى فجنح للسلم فصالحه عل الصفراء والبيضاء ونصف السبى والسلاح وحائط ومزرعة من كل قرية فأبوا فصالحهم على الربع فصالحوه وفتحت الحصون فلم يجد بها خالد إلا النساء والمستضعفين فقال لمجاعة خدعتنى فقال قومى ولم أستطع إلا ما صنعت وبعد هذا الصلح جاءه كتاب من أبى بكر يأمره فيه بقتل كل محتلم فوفى لهم بصلحه ولم يغدر ثم أرسل وفدا منهم لأبى بكر باسلامهم فلقيهم وسألهم عن أسجاع مسيلمة فقصوها عليه فقال سبحان الله هذا الكلام ما خرج من إل ولا بر فأين يذهب بكم عن أحلامكم وردهم إلى قومهم .

# خبر البحرين

كانت أرض البحرين مقراً لكثير من قبائل ربيعة منهم عبد القيس ابن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسـد بن ربيعة ومنهم بنو بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى وكان أهل البحرين قد وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته وأسلموا فأمر عليهم المنذر بن ساوى فلما توفى عليه السلام توفى عقبه المنذر بن ساوى فارتد أهل البحرين فأما بكر فتمت على ردتها وأما عبد القيس فراجعت الإسلام بهمة الجارود بن المعلى العبدى فإنه جمعهم حينما قالوا لو كان محمد نبيا لم يمت فقال لهم أتعلمون أنه كان لله أنبياء فيما مضى قالوا نعم قال فما فعلوا قالوا ماتوا قال فإن محمداً قد مات كما ماتوا وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فاسلموا وثبتوا على إسلامهم فاجتمعت ربيعة بالبحرين على الردة إلا الجارود ومن تبعه وخرج الحطم بن ضبيعة من بكر بن وائل فاجتمع إليه كثير من المشركين والمرتدين حتى نزل القطيف وهجر وحصرا أصحـاب الجارود فأرسل أبو بكر العلاء بن الحضرم لأهل البحرين فلما كان بحيال اليمامة لحق به ثمامة بن أثال الحنفى فى مسلمة بنى حنيفة وقيس بن عاصم المنقرى فى قومه وأتاه كثير من أهل اليمن فسلك بهم الدهناء حتى إذا كانوا فى بحبوحتها « وسطها » نزل وأمرهم بالنزول فنفرت إبلهم بأصحابها فغموا لذلك غماً شديداً فقال لهم العلاء ماذا حل بكم فقالوا كيف نلام ونحن إن بلغنا غداً لم تحمى الشمس حتى نهلك فقال لن تراعوا أنتم المسلمون وفى سبيل الله وأنصار الله فابشروا فوالله لن تخذلوا فلما صلوا الصبح دعا العلاء ودعوا فلمع المـاء فمشوا إليه فشربوا واغتسلوا فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل تجمع من كل وجه فأناخوها وسقوها ثم أرسل العلاء إلى الجارود يأمره أن ينزل بالحطم مما يليه وسار وهو فيمن معه حتى نزل عليه ممـا يلى هجر فاجتمع المشركون إلى الحطم واجتمع المسلمون

إلى العلاء وخندق كل على نفسه وكانوا يتراوحون القتال فإذا أمسوا رجع كل إلى خندقه حتى إذا كانت ليلة سمع المسلمون فيها ضوضاء فى عسكر المشركين فأرسل العلاء من يستعلم الخبر فجاء بأنهم سكارى فبيتهم المسلمون شر بيات حتى هربوا فمن بين مقتول ومأسور وقتل الحطم ثم قصد فلهم دارين « جزيرة فى الخليج الفارسى قريبة من سواحل البحرين » فعبر خلفهم المسلمون خوضا وقاتلوهم هناك فظفروا بهم وأكثروا فيهم القتل ثم أرسل العلاء إلى أبى بكر بهذا الفتح المبين .

## خبر عمان

لما أسلم أهل عمان فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى عليهم الأخوين جيفر وعبد ابنى الجلندى ، وكان يسامى الجلندى فى الجاهلية : ذو التاج لقيط ابن مالك الأزدى من رؤساء عمان فلما توفى رسول الله صلى عليه وسلم ادعى لقيط النبوة فتبعه كثير من أهل عمان فخافه ابنا الجلندى فالتجآ إلى الجبال وكاتب جيفر أبا بكر فبعث إليه حذيفة بن محصن وعرفجة بن هرثمة الأول إلى عمان والثانى إلى مهرة وكل منهما أمير على صاحبه فى عمله فإذا قاربا عمان كاتبا جيفرا وأرسل فى أثرهما عكرمة بن أبى جهل بعـــد هزيمته فى اليمامة فلحقهما قبل أن يصلا عمان فلما قاربوها كاتبوا جيفراً فأتاهم وعسكروا بصحار (عاصمة عمان) أما لقيط فإنه جمع جموعه وعسكر بدبا فالتقى الفريقان واقتتلا قتالا شديداً كاد المسلمون ينهزمون فيه لولا أن من الله عليهم بمدد عظيم من بنى ناجية فاستظهروا بهم وهزموا المشركين بعد أن قتلوا منهم مقتلة عظيمة ثم سبوا الذرية وقسموا الغنيمة وبعثوا إلى أبى بكر بالخمس مع عرفجة وأقام حذيفة بعمان يسكن الناس أما عكرمة فسار ومعه جمع من بنى ناجية إلى مهرة ولما وصلها وجد أهلها قسمين مختلفين كل قسم رئيس فكاتب

رئيس أحد القسمين فأجابه وراجع الإسلام ولم يجب الآخر فقاتله حتى هزمه .

## أخبار الأسود

لما فتحت اليمن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى عليها بازان الفارسى الذى كان عاملا للأكاسرة على اليمن ثم دان بالإسلام وكان مركزه صنعاء فلما مات قسم عليه السلام عمله فولى على صنعاء ابنه شهر بن باذان وعلى مأرب أبا موسى الأشعرى . وعلى همدان — وكانوا يقيمون شرقى اليمن — عامر بن شهر الهمدانى وعلى عك والأشعريين الطاهر بن أبى هالة « بنو عك كانوا يقيمون بين زبيد ورمع ، وعك هو ابن عدنان والأشعريون كانوا يقيمون شمالى زبيد وينسبون إلى أشعر بن أدد بن زيد ابن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ، وعلى ما بين نجران ورمع وزبيد خالد بن سعيد بن العاص وعلى نجران عمرو بن حزم وعلى حضرموت زياد ابن لبيد البياضى وعلى السكاسك والسكون «وهما قبيلتان من كندة كانا شمالى حضرموت » عكاشة بن ثور وعلى بنى معاوية من كندة المهاجر بن أبى أمية أخا أم المؤمنين أم سلمة ولم يذهب إلى عمله حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمرض كان به وكان زياد بن لبيد يقوم بعمله وعلى الجند يعلى ابن أمية وكان معاذ بن جبل معلما ينتقل فى كل بلد فقبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثار باليمن رجل من عنس اسمه عبهله ولقبه ذو الخمار وشهرته الأسود فادعى للنبوة فأجابته مذحج ووثبوا على نجران فأخرجوا منها عاملها عمرو بن حزم وأخرجوا عمرو بن سعيد بن العاص فلحقا بالمدينة ثم توجه الأسود فى سبعمائة من قومه إلى صنعاء فقتل شهر بن باذان واستولى على المدينة وتزوج إمرأة شهر ثم استولى على ما بين صنعاء وحضرموت من الجنوب إلى أعمال الطائف من الشمال إلى البحرين من الشرق واستفحل

أمره فخرج معاذ بن جبل هارباً ومر بأبي موسى وهو بمأرب فخرج معه ولحقا بحضرموت فنزل معاذ فى قبيلة السكاسك ونزل أبو موسى فى قبيلة السكون وأقام الطاهر بن أبي هالة ببلاد عك فلما بلغ خبر ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إلى من باليمن من الأنبياء وأبي موسى ومعاذ والطاهر أن يقوموا بقتال الأسود وقتله إما غيلة أو مصادمة فقام بذلك من الأبناء فيروز وداذويه واهتموا بقتله وساعدتهم زوجه التى كانت تحت شهر ابن باذان فقتلوه ليلا ، قتله فيروز فلما أصبح الصبح نادوا بشعائر المسلمين وهو الأذان فماج الناس بعضهم فى بعض واختطف بعض أصحاب الأسود صبياناً من أبناء المسلمين وخرجوا من المدينة تاركين فيها كثيراً من صبيانهم ثم تراسل الفريقان فى أن يرد كل ما بيده وأقام أصحاب الأسود يترددون بين صنعاء وعدن لا يأوون إلى حد وتراجع عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أعمالهم واتفقوا على أن يصلى معاذ بالناس فى صنعاء لقتل عاملها شهر حتى يأتيهم أمر رسول الله صلى عليه وسلم وبعثوا إلى المدينة بالخبر فوصل البريد وقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت هذه أول بشارة أتت أبا بكر فلما شاع خبر الوفاة ارتد قيس بن عبد يغوث وكاتب المنهزمين من جنود الأسود فاجتمعوا إليه وأراد أن يتحيل فى قتـــل كبار الأبناء وهم فيروز وداذويه وخشنش فهيأ لهم طعاماً وجمعهم ليغدر بهم فظفر بداذويه ونجا الآخران فخرج فى أثرهما فامتنعا بقبيلة خولان فرجع قيس إلى صنعاء فاستأثر بها وعمد إلى عيالات الأبناء فغربهم وأخرجهم من اليمن فى البر والبحر وعرضهم للنهب فلما علم بذلك فيروز هم بحربه واستعد بنى عقيل ابن ربيعة وعك فساروا إليه واستخلصوا عيالات الأبناء التى سيرها قيس وقتلوا من معها من الرجال ثم توجهوا إلى فيروز فقاتل بهم قيسا ورجاله حتى هزموهم وحينذاك أتاهم المهاجر بن أبي أمية الذى عقد له أبو بكر لواء وسيره لقتال جنود الأسود ومعاوية الأبناء وجاء على أثره عكرمة بن أبي جهل

بعد أن انتهى من عمان ومهرة فساعدا الأبناء على قتال جنود قيس بن عبد يغوث حتى انهزموا وأسروا قيساً وعمرو بن معد يكرب الزبيدى الذى كان ارتد وتبع الأسود فسيراهما إلى أبى بكر فقال أبو بكر ياقيس قتلت عباد الله واتخذت المرتدين وليجة من دون المؤمنين فأنكر قيس أن يكون قارف من أمر دا ذويه شيئاً ولم يكن هناك دليل ظاهر على قتله لأن القتل كان خلسة فتجافى عن دمه وقال لعمرو بن معديكرب أما تستحى أنك كل مهـــزوم أو مأسور لو نصرت هذا الدين لرفعك الله فقال لاجرم لأقبلن ولا أعود ورجعا إلى عشائرهما مؤمنين ثم تتبع المهاجر بن أبى أمية بقية جنود الأسود بكل مكان وقتلهم بكل سبيل حتى لم تعد لهم قائمة وكانت مدة الأسود إلى أن هلك قريباً من أربعة أشهر .

## أخبار كندة

كانت كندة قد ارتدت فى عهد الأسود بسبب ما وقع بينهم وبين زياد فى أمر فريضة من فرائض الصدقة أطلقها بعض بنى عمرو بن معاوية من كندة بعد أن وقع عليهم ميسم الصدقة غلطاً فقاتلهم زياد وهزمهم فاتفق بنو معاوية من كندة على منع الصدقة إلا شرحبيل بن السمط وابنه فانهما قالا لبنى معاوية إنه لقبيح بالأحرار التنقل إن الكرام ليلزمون الشبهة فيتكرمون أن ينتقلوا إلى أوضح منها مخافة العار فكيف الانتقال من الأمر الحسن الجميل والحق إلى الباطل القبيح اللهم إنا لانمالىء قومنا على ذلك وانتقلا ونزلا مع زياد وقالا له بيت القوم فإن لم تفعل خشينا أن يتفرق القوم عنا فطرقهم فى محاجرهم فأصاب ملوكهم فقتلهم وهرب من قومهم من أطاق الهرب وعاد المسلمون بالغنائم والسبي فمروا على بنى الحارث بن معاوية فى محاجرهم وفيهم الأشعث بن قيس فنزل واستخلص السبي منهم فكتب زياد إن المهاجر يستحثه فاستخلف على جنده عكرمة وتعجل هو فى سرعان

الناس وقدم على زياد فالتقوا بالأعداء فانهزم بنو الحارث وتحصنوا بالنجير «وهو حصن لهم» فحصرهم المسلمون ولما اشتد عليهم الحصار خرجوا فقاتلوا قتالا لم يغنهم شيئاً فعادوا إلى الحصن ثم أرسل الأشعث فى طلب الصلح على تسليم الحصن بمن فيه مشترطاً الأمان لتسعة نفر من الرؤساء وكتب بذلك كتاباً ولكنه نسى نفسه فدخل المسلمون الحصن وقتلوا المقاتلة وسبوا وغنموا ثم عرضوا من أمنوا فإذا الأشعث ليس فيهم فأراد المهاجر قتله ولكن أشار عليه أصحابه أن يرسله إلى أبى بكر ليرى فيه رأيه فأرسله إليه فعفا عنه أبو بكر رضى الله عنه وهو ممن أبلى بلاء حسناً فى فتح العراق .

وإلى هنا انتهت أخبار أهل الردة ومنها يفهم المسلمون الذين يريدون الاقتداء بسلفهم الصالح أن المؤمن لاينبغى أن يهن مهما كثرت أعداؤه لأن المسلمين لايغلبون من قلة ولايخذلون إلا من اتباعهم الهوى وحيادهم عن الصراط السوى . هذا أبو بكر أول خليفة للسلمين كان العرب كلهم أعداءه فصار هو ومن معه كالشعرة البيضاء فى الثور الأدهم فلم يعقه ذلك عن إعزاز دين الله وقتاله من كفر بالله بمن معه من المسلمين بل وثق بوعد الله حيث قال ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ فجازاه الله على ذلك بالنصر العظيم والفتح المبين ودانت له أمم العرب ، فهكذا يكون الإسلام والإيمان .

تلك المكارم لاقعبان من لبن      شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

## أمر العراق

لما انتهى أبو بكر رضى الله عنه من حروب أهل الردة جمع العرب كلها للإسلام وألف الله الكلمة وجه همته لتعميم عدل الإسلام ومساواته بين الأمم الأخرى التى كان ملوكها يعتقدون فى أنفسهم أنهم أرقى درجة

من رعيتهم فتصوروهم عبيداً لهم ليس لهم فى أنفسهم شىء فيسومونهم الخسف ويعاملونهم بالجور والظلم وكانت الممالك العظمى المجاورة للإسلام إذ ذاك مملكة الفرس فى الشرق ومملكة الروم فى الشمال فابتدأ بأمر الفرس وأول ماحصل بين المسلمين وبين هذه الدولة العظمى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ابرويز يدعوه فيه إلى الإسلام فمزقه كسرى استكباراً وهذا يدلك على مقدار الجبروت والكبرياء الذين كانا شعاراً للملوك إذ ذاك وجاء الدين الحنيفى يهدمها وبلغ من استعظام أبرويز لهذا الكتاب أن أرسل لعامله باذان على اليمن أن يبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين جلدين يأتيان به فتوجها كما أمر فلما وصل الرجلان إلى المدينة كلمهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهما فى هذا اليوم قتل أبرويز قتله إبنه وكان الأمر كما أخبر عليه السلام فإن ابنه شيرويه ثار به بمساعدة كبار الفرس فقتله واستولى على ملك فارس فلما علم الرجلان صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلما وبعث شيرويه إلى باذان أن لايتعرض للنبى عليه الصلاة والسلام وفى عهده عليه السلام فتحت اليمن وأسلم باذان فولاه عليه السلام عليها فكانت أول بلاد تحت حماية الفرس انضمت للإسلام ثم انضم إليه أيضاً البحرين وعمان وكانتا تحت حماية الفرس أيضاً فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهى أبو بكر من حروب أهل الردة انتدب سيف الله خالد بن الوليد ليكون أول من يضع أساس الدين القويم بالبلاد الفارسية وذلك فى بدء المحرم من السنة الثانية عشرة من الهجرة وأمره أن يبدأ بالأبلة « ثغر من ثغور الفرس على الخليج الفارسى عند مصب دجلة » وأمده بالقعقاع بن عمرو وانتدب عياض بن غنم ليغزو الفرس من شمال العراق وأمره أن يبدأ بالمضيح « قرية على الفرات شمال العراق » وأمده بعبد يغوث الحميرى وأمرهما أن يستنفرا من قاتل أهل الردة وأن لايغزون معهما مرتد لان رأيه رضى الله عنه كان لايستعان بمن ارتد على غزو أبدا .

## وقعـــة الأبلة

فسار خالد بن الوليد حتى قارب الأبلة فقسم جيشه ثلاث فرق على الأولى المثنى بن حارثة الشيبانى وعلى الثانية عدى بن حاتم الطائى وجعل والثالثة تحت إمرته وسير الفريقين قبله وواعدهما الحفير ، موضع على طريق السائر من مكة إلى البصرة وهو قريب من الأبلة ، وكان صاحب هذا الثغر عظيما من عظماء الفرس إسمه هرمز وكان مبغضاً عند العرب لكثرة غزوه لهم فكلهم ناقم عليه ولما سمع بخبر خالد وأنه وعد طلائعه الحفير سبقه إليه فمال خالد بالناس إلى كاظمة فسبقه هرمز إليها فنزل جيش المسلمين غير ماء فقال خالد جالدوهم على الماء فان الله جاعله لأصبر الفريقين وتقدم هو وسط الصف يطلب البراز راجلا فبرز إليه هرمز ونزل عن فرسه فاحتضنه خالد فلما رأى ذلك الفرس أرادوا الغدر بخالد وهجموا عليه فلم يمنعه ذلك عن قتله ولما رأى ذلك القعقاع حمل بجيش المسلمين فأزال الفرس عن خالد وحمى القتال فانهزم المشركون وهذه أولى موقعة بين المسلمين والفرس ثم أرسل خالد البشارة وخمس الغنيمة إلى أبى بكر بعد أن قسم أربعة أخماسها على المقاتلين للراجل ثلث الفارس وأرسل المثنى بن حارثة فى أثر المنهزمين ولم يتعرضوا للفلاحين بأذى كما أوصاهم بذلك أبو بكر ولما وصل خبر هذه الهزيمة إلى ملك الفرس واسمه أزدشير ومقامه بالمدائن ، وهى مدائن كانت للأكاسرة على نهر الدجلة جنوبى بغـــداد وهى شرقية وغربية وكان فى الشرقية إيوان كسرى الشهير ، أرسل إلى المسلمين جيشاً آخر يقوده عظيم من عظماء الفرس إسمه قارن فجمع المنهزمين ورجع بهم حتى وصل الثنى منعطف النهر قرب البصره ، .

## وقعة الثنى

فنزل به فسار إليه خالد ولما التقى الجيشان خرج قارن يطلب البراز ليدرك ثأر هرمز فبرز إليه فارس مسلم فقتله وعندئذ حمل جمع المسلمين على جمع المشركين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة سوى من غرق منهم فى النهر ثم أخذ خالد الجزية من الفلاحين وصيرهم ذمة وأرسل بالفتح والخمس إلى أبى بكر ( أما ) ملك الفرس فإنه سير إلى المسلمين جيشاً آخر يقوده الأندرزعز وفى أثره آخر يقوده جاذويه فعسكر الجيشان كلاهما فى الولجة .

## وقعة الولجة

فسار خالد إليهما وقاتلهما المسلمون قتالا شديداً حتى هزم عسكر المشركين ومات القائد الأندرزعز فى هزيمته وأصاب خالد أبناء من بكر ابن وائل فقتلهم فغضب لهم قومهم من نصارى بكر فاجتمعوا باللليس وكاتبوا ملك الفرس ليمدهم بجيش يساعدهم على قتال المسلمين فكتب أزدشير إلى بهمن جاذويه المنهزم من الولجة يأمره بأن يسير إلى نصارى بكر ليكون معهم على قتال المسلمين فلما جاءته الرسالة سير أمامه جابان وذهب هو إلى أزدشير ليعلم الأخبار ويستشيره فوجده مريضاً فتوقف هناك .

## وقعة الليس

وأما جابان فإنه وصل إلى جيش البكريين وعسكر معهم باللليس « موضع على الفرات من قرى الأنبار » فاقبل إليهم خالد بكتيبة وتوسط الميدان طالباً البراز فبرز إليه رئيس من رؤساء بكر فقتله ثم حمل المسلمون على الإعاجم فثبت هؤلاء كثيراً لترقبهم قدوم بهمن وثبت المسلمون لتكون

كلمة الله هى العليا فما كان إلا ضحوة نهار حتى ولى الفرس الأدبار بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة فقسم خالد الغنائم وأرسل بالفتح والخمس إلى أبى بكر وكانت هذه المرقعة فى صفر من السنة الثانية عشرة .

## فتح الحيرة

( ثم ) سار قاصداً الحيرة ، هى عاصمة ملوك العرب من قبل الفرس وهى غربى الفرات على قرب من الكوفة ، وكان خالد يسير بحراً فى الفرات فخرج إليه مرزبان الحيرة وهو الازاذبة وعسكر بظاهرها وأرسل ابنه فقطع الماء عن سفن المسلمين فبقيت على الأرض ( وكانوا يقطعون الماء عن الفرات بإرساله فى الترع المتفرعة منه ) فسار خالد على خيل نحو بن الأزاذبه فقتله على فرات بادقلى ثم سار نحو الحيرة فهرب مرزبانها الأزاذبه فحاصر خالد قصورها وهى القصر الأبيض وقصر الغريين وقصر بن مازن وقصر بن بقيلة ودعا أمراءها إلى الإسلام وأجلهم يوماً وليلة فابوا وافتتح المسلمون الديور فصاح القسيسون والرهبان بأهل القصور يطلبون منهم مصالحة المسلمين فنادى أمراء القصور قد قبلنا واحدة من ثلاث الإسلام أو الجزية أو المحاربة فكف عنهم المسلمون ثم جاء الأمراء إلى خالد يتقدمهم ويتكلم عنهم عمر بن عبد المسيح فقال له خالد أسلم أنت أم حرب قال بل سلم فقال خالد ما هذه القصور قال بنيناها للسفيه نحبسه فيها حتى ينهاه الحليم فصالحهم خالد على الجزية وقدرت بمائة ألف وتسعين ألفاً وأهدوا له هدايا على عادتهم مع ملوك الفرس فأرسل خالد بالفتح والهدايا إلى أبى بكر فقبل الهدايا وعدها من الجزية وأمر خالداً أن يعدها منها ، فهكذا الدين دين الإسلام لم يرض خليفتنا الأول أن يأخذ شيئاً كانت الرعية تدفعه لملوكها ملاطفة بل لا يؤخذ منهم إلا ما فرض عليهم .

## ما بعد الحيرة

( فلما ) رأى دهاقين ما بعد الحيرة فعل خالد صالحوه على ما يلى : الحيرة من الفيلاليج إلى هر مزجرد على ألف ألف سوى جباية كسرى ثم أرسل خالد أمراءه فمخروا ما وراء ذلك إلى شاطىء دجلة ثم كتب إلى ملوك الفرس كتاباً هذه صورته :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ أما بعد ( فالحمد لله الذى حل نظامكم ووهن كيدكم وفرق كلمتكم ولو لم نفعل ذلك كان شراً لكم فادخلوا فى أمرنا ندعكم وأرضكم ونجوزكم إلى غيركم وإلا كان ذلك وأنتم كارهون على أيدى قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ) وكتب إلى المرازبة كتاباً هذه صورته :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ أما بعد ( فالحمد لله الذى فض حدتكم وفرق كلمتكم وجفل حرمكم وكسر شوكتكم فأسلموا تسلموا وإلا فاعتقدوا فى الذمة وأدوا الجزية وإلا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر ) وفى ذلك الوقت دهى الفرس أمر عظيم لا يزيدهم إلا وهناً ولا يزيد المسلمين إلا قوة وهو اختلافاتهم الداخلية بعد موت ملكهم ازدشير وعدم وجود من يولى من بيت كسرى فلما وصلتهم كتب خالد اتفق نساء كسرى على تولية أحد أمراء فارس وهو الفرخزاد بن البنذوان حتى يعثروا على صالح للملك من بيت كسرى .

## فتح الانبار

أما خالد فإنه سار من الحيرة قاصداً الأنبار ( مدينة على شاطىء الفرات شمال الكوفة ) وكان على جيشها شير زاد صاحب ساباط فأنشب معهم

المسلمون القتال ولما رأى شيرزاد مالا قبل له به طلب الصلح على أمر لم يرضه خالد فرد رسوله ونحر الضعاف من إبل الجيش ورماها فى خندق المشركين وعدى إليهم فلما رأى ذلك شيرزاد صالح خالداً على ما أراد فقبل منه خالد وسيره إلى مأمنه فلحق ببهمن .

## فتح عين التمر

ثم سافر خالد قاصدا عين التمر ( بلد فى برية العراق على ثلاثة مراحل من الأنبار ) بعد أن استخلف عن الأنبار الزبرقان بن بدر فوصل إلى عين التمر وبها جمع عظيم من الفرس عليهم بهرام بن بهرام جوبين ومعهم عدد عظيم من العرب من النمر وتغلب الذين يقيمون بتلك الجهات تحت حكم الأكاسرة فجعل الفرس فى المقدمة العرب لأنهم أدرى بقتال العرب فحمل خالد على رئيسهم وهو يسوى صفوفه فأسره فانهزم قومه من غير قتال ولما رأى ذلك بهرام هرب هو وجيشه أيضاً وترك الحصن فتحصن به المنهزمون واستأمنوا لخالد فلم يؤمنهم ثم بعث بالخمس والبشارة إلى أبى بكر .

## فتح دومة الجندل

ثم سار من عين التمر قاصدا دومة الجندل[1] ليعين عياض ابن غنم على فتحها وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد أرسل خالد بن الوليد إلى دومة الجندل فى حياته وكان بها أكيدر بن عبد الملك فأصابه خالد فى ليلة مقمرة فأسره وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحقن دمه وصالحه على الجزية ورده إلى قريته فلما كان فى عهد أبى بكر أرسل عياض

---

(١) يرى ياقوت أن دومة الجندل هذه ليست هى التى فتحت زمن النبى صلى الله عليه وسلم وإنما هى دومة أخرى أسسها أكيدر مثالها .

ابن غنم لفتح العراق من أعلاه فاجتمع عليه وهو بناحية دومة الجندل كثير من نصارى العرب فأرسل إليه خالد بن الوليد كتاباً يستحثه فيه لمساعدته فصادفه الكتاب وهو بعين التمر فأقبل حتى جعل دومة بينه وبين عياض فخرج الجودى الذى كان يشارك أكيدرا فى إمارة دومة إلى حرب خالد وأرسل فرقة تقاتل عياضا فهزم كل من القائدين من يليه وفتح الحصن عنوة وأقام به خالد . أما أكيدر فإنه قد فارق الجودى لأنه لم يتبع ما أشار عليه به من عدم قتال خالد فأرسل خالد وراءه من قبض عليه وقتله لأنه كان نقض ما عاهد عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من إعطاء الجزية .

## وقعة الحصيد والخنافس

أما عرب الجزيرة فإنهم ثارت حميتهم لمن قتل من العرب بعين التمر فكاتبوا الفرس يطلبون منهم إرسال الجيوش لتكون لهم عونا فخرج من الفرس عظيمان يريدان الأنبار وانتهيا إلى الحصيد والخنافس ( موضعان قرب الأنبار ) فسمع بالخبر القعقاع خليفة خالد على الحيرة فأرسل إليهما سريتين حالتا بينهما وبين الريف ثم قدم خالد راجعاً إلى الحيرة عند ما بلغه الخبر فسير القعقاع وأبا ليلى بن فدكى إلى لقاء جمع الفرس فسارا حتى التقيا بهم فقتل من الفرس مقتلة عظيمة وقتل القائدان وغنم المسلمون ما فى الحصيد وانهزمت الأعاجم إلى الخنافس وبها المهبوذان من الأساورة فسار أبو ليلى مقتفياً آثارهم حتى هزم المهبوذان إلى المضيح وكان به بعض عرب الجزيرة فكتب خالد إلى القعقاع وأبى ليلى أن يوافياه على المضيح فى ساعة عينها لهما لقتال من به من عرب الجزيرة ووافاها هو فى جيشه فلقاه بها وقاتلوا العرب وهزموهم شر هزيمة ثم توجه خالد إلى بجير التغلبي وهو متجمع فى جيشه بالثنى فبيتهم خالد بغارة شعواء حتى لم يفلت منهم أحداً ( ثم ) أرسل بالفتح والأخماس إلى أبى بكر .

## وقعة الفراض

وسار إلى الفراض وهى تخوم الشام والعراق والجزيرة وكان الحر شديداً والشهر رمضان من السنة الثانية عشرة فافطر بها هو والمسلمون وكان بها جمع عظيم من الفرس والروم والعرب اتفقوا جميعاً على حرب المسلمين وعبروا نهر الفرات فقاتلهم خالد وقاتل المشركون قتالا شديداً لكنهم لم يلبثوا أن انهزموا ﴿ أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾ ثم أمر خالد بالرجوع إلى الحيرة وتخلف هو مظهراً أنه فى الساقة ويقال إنه توجه إلى مكة فحج ولحق ساقة الجيش قبل أن تدخل الحيرة وهذا غريب جداً لبعد المسافة .

## صرف خالد إلى الشام

وفى ذلك الوقت صرف أبو بكر خالد بن الوليد عن حرب العراق وسيره إلى الشام مدداً لجيوش المسلمين هناك فاستخلف على جيش العراق المثنى بن حارثة الشيبانى فأقام بالحيرة وأذكى العيون ووضع المسلحة وكان ملك فارس بعد رحيل خالد شهربران بن أزدشير فوجه إلى المثنى جيشاً عظيما يقوده هرمز .

## وقعة بابل

فخرج إليه المثنى من الحيرة حتى أتى بابل ( بلدة قديمة شرقى الفرات أمامها مدينة الحلة الآن ) فأقام بها وهناك لاقاه هرمز فى جيش الفرس فقاتله جيش المسلمين قتالا شديداً حتى هزم وبعد هذه الهزيمة مات شهربران وكثرت الاختلافات الداخلية فى مملكة الفرس فشغلوا عن المسلمين وأبطأ خبر أبى بكر على المثنى فاستخلف على جيشه بشير بن الخصاصية وتوجه

إلى المدينة ليستأذن أبا بكر فى الاستعانة بمن حسنت توبته من المرتدين فوجده مريضاً فاستحضر أبو بكر عمر بن الخطاب وقال له إنى لأرجو أن أموت يومى هـــذا فإذا مت فلا تمشين حتى تندب الناس مع المثنى ولا تشغلكم مصيبة عن أمر دينكم ووصية ربكم فقد رأيتنى وقت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صنعته وما أصيب الخلق بمثله وإذا فتح الله على أهل الشام فاردد أهل العراق إلى عراقهم فإنهم أهله وولاة أمره وأهل الجرأة عليهم ، هذا ما انتهى إليه أمر فارس فى عهد الصديق رضى الله عنه تقلص ظل ملك الفرس عن كل الأراضى الخصبة التى فى غربى الفرات وهو مايعبر عنه بريف العراق فصار حد مملكة فارس هو نهر الفرات .

## بدء أمر الروم

مملكة الروم هى المملكة الثانية العظمى التى كانت تحد البلاد العربية من الشمال وأول ما كان بينها وبين المسلمين كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم يدعوه فيه إلى الإسلام ( والكتاب وحديث أبى سفيان عنه مذكوران فى كتابى نور اليقين صفحة ٢١١ وما بعدها من الطبعة الثانية ) ثم كتب صلى الله عليه وسلم إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك غسان بالبلقاء من أرض الشام وعامل قيصر على العرب يدعوه إلى الإسلام فأدركته العزة بالإثم فأراد أن يغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه أمر من قيصر ينهاه عن ذلك . وفى السنة الثامنة من الهجرة جهز عليه السلام جيشاً إلى الشام تحت إمرة زيد بن حارثة وهى غزوة مؤته فجمع لهم الروم جمعاً كثيراً مائة ألف أو يزيدون فاستشهد زيد وجعفر ابن أبى طالب وعبد الله بن رواحة واستلم سيف الله خالد إمرة الجيش فخلصه من الهلاك . والكلام فى هذه الغزوة مستوفى فى نور اليقين ؛ وفى

السنة التاسعة تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزو الروم فبلغ تبوك وأتاه صاحب أيلة يوحنا بن رؤبة وصاحب جرباء وأذرح وأعطوا الجزية فلما بلغ هرقل مافعله يوحنا أمر بقتله وصلبه عند قريته . وفى السنة التى توفى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم جهز سرية تحت إمرة أسامة ابن زيد بن حارثة لتتوجه إلى أبنى وقضاعة للقصاص من قتلة أبيه فتوفى عليه السلام ولم يخرج أسامة فلما استخلف أبو بكر جهز السرية فسار أسامة حتى وصل أبنى وأوقع بقبائل من قضاعة ثم رجع فائزاً : فلما عقد أبو بكر الألوية فى ذى القصة عقد منها لواء خالد بن سعيد بن العاص ووجهه إلى مشارف الشام ثم أمره أن يكون ردءاً للمسلمين بتيماء لا يفارقها إلا بأمره ولا يقاتل إلا من قاتله فبلغ خبره هرقل ملك الروم فجهز إليه جيشاً من العرب التابعين للروم من بهراء وسليح وكلب ولخم وجذام وغسان فسار إليهم خالد بن سعيد فلقيهم على منازلهم فافترقوا وأرسل هو لأبى بكر بالخبر فكتب إليه يأمره بالإقدام فتقدم ولقيه بطريق رومى إسمه ماهان فهزمه خالد وكتب، إلى أبى بكر يستمده فعند ذلك اهتم رضى الله عنه بأمر الشام وكان قد ورد إليه أوائل مستنفرى اليمن وقدم عكرمة بن أبى جهل فيمن معه من تهامة والبحرين وأرسل إلى عمرو بن العاص وكان والياً على صدقات سعد وهذيم من قضاعة كان أبو بكر سيره إليها يوم عقد الألوية فى ذى القصة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعده ولايتها فكتب إليه أبو بكر ( إنى كنت رددتك إلى العمل الذى ولاك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة ووعدك به أخرى إنجازاً لمواعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وليته وقد أحببت أن أفرغك لما هو خير لك فى الدنيا والآخرة إلا أن يكون الذى أنت فيه أحب إليك ) فكتب إليه عمرو ( إنى سهم من سهام الإسلام وأنت بعد رسول الله الرامى بها والجامع لها فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارم به ) فأمره فقدم عليه فجهز أبو بكر أربعة جيوش

على أحدها عمرو بن العاص ووجهه إلى فلسطين ( كورة بالشام فى جنوبه ) وعلى ثانيهما شرحبيل بن حسنة وكان قــدم عليه من العراق ووجهه إلى الأردن ( كورة بالشام سميت باسم نهر هناك يبتدىء من بحيرة طبرية وينتهى بالبحيرة الميتة ) وعلى الثالث يزيد بن أبى سفيان ووجهه إلى البلقاء ( بلد بالشام وأتبعه بأخيه معاوية وعلى الرابع أمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح ووجهه إلى حمص فسارت الأمراء على بركة الله وكان أبو بكر يودعهم ماشياً ويوصيهم بما فيه صلاح دنياهم وأخراهم . ومما يؤثر عنه رضى الله عنه وصيته العظيمة ليزيد وقد أحببت إيرادها برمتها لما فيها من النصائح التى يلزم كل أمير جيش اتباعها وهاهى : «إنى قد وليتك لأبلوك وأجربك وأخرجك فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك وإن أسأت عزلتك فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل مايرى من ظاهرك وإن أولى الناس بالله أشدهم تولياً له وأقرب الناس من الله أشدهم تقرباً إليه بعمله وقد وليتك عمل خالد ( هو ابن سعيد بن العاص الذى كان أبو بكر سيره إلى الشام أولا ) فإياك وعبية الجاهلية فإن الله يبغضها ويبغض أهلها وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم إياه وإذا وعظت فأوجز فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضاً وأصلح نفسك يصلح لك الناس وصل الصلاة لأوقاتها باتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون ولا تريهم فيروا خللك ويعلموا علمك وأنزلهم فى ثروة عسكرك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت المتولى لكلامهم ولا تجعل سرك كعلانيتك فيختلط أمرك وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبلك وأسمر بالليل فى أصحابك تأتك الأخبار وتنكشف عندك الأستار وأكثر حرسك وبددهم فى عسكرك وأكثر مفاجآتهم فى محارسهم بغير علم منهم بك فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه فى غير

إفراط وأعقب بينهم بالليل والنهار واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة فانها أيسرهما لقربها من النهار ولا تخف من عقوبة المستحق ولا تلحن فيها ولا تسرع إليها ولا تخذلها مدفعاً ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده ولا تجسس عليهم فتفضحهم ولا تكشف الناس عن أسرارهم واكتف بعلانيتهم ولا تجالس العباثين وجالس أهل الصدق والوفاء وأصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس واجتنب الغلول فانه يقرب الفقر ويدفع النصر وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له » ولم تزل الجيوش سائرة حتى وصلت الشام فنزل عمرو بن العاص العربة من فلسطين ونزل شرحبيل الأردن ونزل يزيد البلقاء ونزل أبو عبيدة الجابية فلما بلغ ذلك هرقل ملك الروم قال لقومه أرى أن تصالحوا المسلمين فوالله لأن تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقى لكم نصفه مع بلاد الروم أحب إليكم من أن يغلبوكم على بلاد الشام ونصف بلاد الروم فرفضوا رأيه حتى نزل حمص « مدينة شامية فى الشرق من نهر العاصى وعلى بعد قليل منه » وأمر بجميع الجيوش فاجتمع من الروم عدد عظيم فوجه لكل أمير جيشاً يفوق عدة من معه فأشار عمرو بن العاص على الأمراء بالاجتماع فأرسلوا إلى أبى بكر فى ذلك فأشار عليهم بمثل رأى عمرو وقال « إن مثلكم لا يؤتى من قلة وإنما يؤتون من الذنوب فاحترسوا منها » .

## وقعة اليرموك

فاجتمعوا باليرموك ( وهو واد فى الجنوب الشرقى من الشام ) وكل واحد من الأمراء أمير على جيشه والروم أمامهم وبين الفريقين خندق فكان الروم يقاتلون باختيارهم وإن شاءوا احتجزوا بخنادقهم وأقام الفريقان على ذلك صفراً والربيعين من السنة الثالثة عشرة من الهجرة فأرسل الأمراء إلى أبى بكر يستمدونه فكتب إلى خالد بن الوليد أمير جند

العراق يأمره أن يستخلف على جنده بعد أن يأخذ معه نصفه ويتوجه إلى الشام مدداً لأمرائه فسار خالد ينسف الأرض نسفاً حتى وصل إلى المسلمين فى ربيع الآخر وصادف وصوله وصول ماهان بجيش مددا للروم فتولى خالد قتاله وقاتل كل أمير من بإزائه متساندين فرأى خالد أن هذا القتال لا يجدى نفعاً ما دامت كل فرقة من الجيش لها أمير فجمع الأمراء وخطبهم وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه ( إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغى فيه البغى ولا الفخر اخلصوا جهادكم وأرضوا الله بعملكم فان هذا يوم له ما بعده ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبية وأنتم متساندون فان هذا لا يحل ولا ينبغى وإن من ورائكم من لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا فاعملوا بما لم تؤمروا فيه بما ترون أنه رأى من وإليكم ومحبته ) قالوا هات فما الرأى فأشار بأن يؤمر على الجيش كله أمير واحد ويتناوبوا الإمارة حتى يؤمر هو فى اليوم الأول فقبلوا مشورته وأمروه فخرج رضى الله عنه فى تعبية لم تعبها العرب قبل ذلك وليس تعبية أكثر فى رأى العين من الكراديس ( الفرق ) فجعل القلب كراديس وأقام فيه أبا عبيدة وجعل الميمنة كراديس وأقام فيها عمرا وشرحبيلا وجعل الميسرة كراديس وأقام فيها يزيد وجعل على كل كردوس رجلا من الشجعان وكان عدد الكراديس ستة وثلاثين كل كردوس ألف رجل ثم أمر القعقاع بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل أن ينشبا القتال فأنشباه والتحم الناس وتطارد الفرسان وأظهر خالد عجائب الشجاعة والحمية الإسلامية ثم إن الروم حملوا حملة أزالوا بها المسلمين عن مواقفهم فنهض خالد بالقلب حتى حال بين خيل المشركين ورجلهم فانهزم الفرسان وتركوا الرجالة فأفرج لهم المسلمون واشتدوا على الرجالة فهزموهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا لا سيما أناسا منهم قد اقترنوا فى السلاسل لئلا يفروا وقاتل نساء المسلمين فى ذلك اليوم قتالا شديدا وأبلين بلاء حسنا وممن أبلى فى ذلك اليوم بلاء حسنا أبو سفيان بن حرب بسعيه وتحريضه

وانتهت هذه الموقعة بهزيمة الروم شر هزيمة وفى أثنائها جاء بريد المدينة بموت الصديق وخلافة عمر بن الخطاب وتولية أبى عبيدة رئاسة الجيوش فلم يبلغ هذا الخبر الجيش إلا بعد أن انقضت الموقعة .

## وفاة الصـــديق

اسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة حم أبو بكر فلما اشتد عليه المرض جمع كبار الصحابة فاستشارهم فى العهد لعمر بن الخطاب فكلهم قال خيرا فدعا عثمان بن عفان وأملى عليه ( بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماعهد به أبو بكر خليفة محمد صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ويوقن فيها الفاجر إنى استعملت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيرا فإن صبر وعدل فذلك علمى به ورأيى فيه وإن جار وبدل فلا علم لى بالغيب والخير أردت لكل امرىء ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ) ثم أمر بالعهد فقرىء على المسلمين وقد أطل عليهم فقال لهم أترضون من استخلفت عليكم فإنى ما استخلفت عليكم ذا قرابة وإنى قد استخلفت عليكم عمر فاسمعوا له وأطيعوا فإنى والله ما ألوت من جهد الرأى فقالوا سمعنا وأطعنا ثم نادى عمر فقال له ( إنى قد استخلفتك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعمر إن لله حقاً بالليل ولا يقبله فى النهار وحقاً فى النهار ولايقبله فى الليل وإنه لايقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ألم تر ياعمر إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم وحق لميزان لايوضع فيه غدا إلا حق أن يكون ثقيلا ألم تر ياعمر إنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لايوضع فيه غدا إلا باطل أن يكون خفيفاً ألم تر ياعمر إنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغبا راهبا لايرغب رغبة يتمنى فيها على الله

بما ليس له ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه . الم تر يا عمر إنما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم فإذا ذكرتها قلت إنى لأرجو أن لا أكون منهم وإنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز لهم عما كان من سيء فإذا ذكرتها قلت أين عملى من أعمالهم فإن حفظت وصيتى فلا يكون غائب أحب إليك من حاضر من الموت ولست بمعجزه ) ثم توفى رضى الله عنه لثمان بقين من جمادى الآخرة فكانت خلافته رضى الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال توجها بأعماله الجليله وسيرته الحميدة ، فبه كان لم شعث المسلمين بعد فرقتهم برده الكثير من العرب وهو الذى ابتدأ تجريد الجيوش على الدولتين العظيمتين المجاورتين لبلاد الإسلام لدعوتها إلى الدين القويم أو الدخول تحت حكمه حتى يكون عدله ومساواته عامين لجميع الأمم الذين رزئوا بملوك يعدون أنفسهم آلهة ويعدون رعيتهم عبيدا ويسيرون وراء لذاتهم وشهواتهم مهما عاد من ضررها على الرعية ففازت جيوشه بالنصر فى جميع مواقعها وكان يقضى له عمر بن الخطاب وأمينه أبو عبيدة ويكتب له عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وزيد ابن ثابت . وكانت ولايات الإسلام فى عهده ( مكة ) وواليها عتاب بن أسيد الذى ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها عقب الفتح ( والطائف ) وعليها عثمان بن أبى الثقفى ( وصنعاء ) وعليهـــا المهاجر ابن أبى أمية ( وحضرموت ) وعليها زياد ابن لبيد ( وخولان ) وهى قبيلة عظيمة باليمن كانت تسكن فى جباله الشرقية وكان عليهم يعلى بن أمية ( وزبيد ) وعليها أبو موسى الأشعرى ( ونجران ) وهو موضع شمالى اليمن يقيم به قبائل من بنى الحارث بن كعب ابن علة من مذحج وبنى ذهل بن مزيقيا من الأزد وكانت رياسة نجران حين النبوة فى بنى الحارث بن كعب ابزيد بن عبد المدان بن الديان ووفد أخوه حجر ابن عبد المدان على النبى صلى الله عليه وسلم على يد خالد بن الوليد . والى نجران فى عهد أبى بكر جرير بن عبد الله البجلى ( والبحرين ) وهى شواطىء

بلاد العرب المطلة على الخليج الفارسى وواليها العــلاء بن الحضرمى ( وجرش ) وهو مخلاف باليمن . والمخلاف الكورة وواليها عبد الله ابن ثور ( ودومة الجندل ) وعليها عياض بن غنم وأمير جند العراق المثنى ابن حارثة الشيبانى وقاعدة أعماله الحيرة وأمير جند الشام خالد بن الوليد القرشى المخزومى . وكان آخر ما تكلم به أبو بكر ( توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين ) وغسلته زوجه أسماء بنت عميس وابنه عبد الرحمن وكفن فى ثوبيه كما أوصى وصلى عليه خليفته من بعده عمر بن الخطاب ودفن ليلا فى حجرة عائشة وجعل رأسه عند كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل قبره إبنه عبد الرحمن وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة ابن عبد الله .

# ترجمة عمر بن الخطاب

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله ابن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر العدوى القرشي يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كعب بن لؤى وكنيته أبو حفص ولقبه الفاروق وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة المخزومية بنت عم خالد بن الوليد : ولد رضى الله عنه فى السنة الثالثة عشرة من ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتربى على الشهامة والنجدة والحمية الجاهلية ولما جاء الإسلام كان من أكثر المعارضين له فلما هاجر المسلمون إلى أرض الحبشة خوف الفتنة من الله عليه بالإسلام ببركة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم أعز الإسلام بعمر » فأتى دار الأرقم ابن أبى أرقم عبد مناف بن أبى جند أسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفياً فيها ودان بالإسلام وأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بترك الاختفاء وإظهار الدين فخرج عليه السلام ومعه المسلمون صفين يقدم أحدهما عمر بن الخطاب ويقدم الآخر حمزة بن عبد المطلب ولا تسل عما نال مشركى قريش من الكآبة إذ ذاك حتى تعصبوا على عمر وأرادوا قتله فحماه العاصى بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم والد عمرو بن العاص وصار بعد ذلك عمر ينصر هذا الدين بما آتاه الله من قوة البطش حتى قال عبد الله بن مسعود ( ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر ) رواه البخارى فلما أذن الله بالهجرة إلى المدينة كان المسلمون يتسللون إلى الهجرة خفية إلا عمر رضى الله عنه فإنه لما عزم عليها جاء قريشاً فى ناديهم وأخبرهم بعزمه وقال من أراد أن تثكله ( تفقده ) أمه فليلقنى وراء هذا الوادى فلم يجسر أحد على اتباعه وحضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهده كلها من بدر إلى تبوك وزوجه ابنته

أم المؤمنين حفصة بعد أن توفى عنها زوجها خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى ابن سهم من جراحة أصابته بأحد ومن مآثره قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينا أنا نائم شربت - يعنى اللبن - حتى أنظر إلى الرى يجرى فى ظفرى أو أظفارى - ثم ناولته عمر قالوا فما أولته يارسول الله قال العلم » وقوله عليه السلام « رأيت فى المنام كأنى أنزع بدلو بكرة على قليب ( بئر ) فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً ( دلوا ) أو ذنوبين نزعا ضعيفاً والله يغفر له ثم جاء عمر فاستحالت غربا ( دلوا عظيمة ) فلم أر عبقريا ( سيدا ) يفرى فريه ( يأتى بالعجب فى عمله مثله ) حتى روى الناس بعطن » ( أى أناخوا حول الماء بعد السقى ) وفى هذا الحديث إشارة إلى مدة خلافة الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وقال عليه السلام مخاطباً لعمر « والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان سالكا فجاقط إلا سلك غير فجك » وقال عليه السلام « لقد كان فيما قبلكم محدثون ملهمون فإن يكن فى أمتى أحد فإنه عمر » وقال عليه السلام « بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا على وعليهم قمص فمنهما ما يبلغ الثدى ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض على عمر وعليه قميص اجتره قالوا فما أولته يارسول الله قال الدين » وكان عمر كثيراً ما يشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأشياء ينزل بها القرآن كمسألة أسرى بدر ومسألة الحجاب ولما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم جزع عمر جزعا شديداً على صلابته وشدته حتى قال والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت أم المؤمنين عائشة قال عمر والله ما كان يقع فى نفسى إلا ذاك وليبعثه الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم فلما جاء الصديق وذكرهم خشع ورجع إلى الصواب وكأن الله سبحانه وتعالى أراد ألا يكون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شىء ليس فيه فائدة فلقد خوف عمر الناس وإن فيهم لنفاقاً فردهم الله بذلك ثم لقد بصر أبو بكر الناس الهدى وعرفهم الحق الذى عليهم هكذا قالت أم المؤمنين من

رواية البخارى وكان لعمر فضل عظيم يوم السقيفة حيث سارع إلى بيعة الصديق قبل أن تحدث فرقة ولما ولى الصديق كان له عمر أعظم مشير حتى أن أبا بكر لم ير غيره أهلا للخلافة بعده فعهد له بها ونعما فعل . وكان رضى الله عنه طويلا أصلع أعسر أيسر يعمل بيديه كلتيهما وكان لطوله كأنه راكب شديد البياض تعلوه حمرة وكان أشيب يصفر لحيته ويرجل رأسه وكان له من الأولاد عبـــد الله وعبد الرحمن الأكبر وأم المؤمنين حفصة وعبيد الله وقتل بصفين مع معاوية ومن ولده فاطمة وعاصم ورقية وزيد وعبد الرحمن الأوسط وكان عمر رضى الله عنـه يلقب بالفارق : بويع بالخلافة صبيحة وفاة أبى بكر رضى الله عنه ولما بويع صعد المنبر وقال إنما مثل السرب مثل جمل أنف اتبع قائده فلينظر قائده أين يقوده أما أنا فورب الـكعبة لأحملنـكم على الطريق .

## امر العراق فى عهد عمر

توفى الصديق رضى الله عنه والمثنى بن حارثة أمير جيش العراق مقيم بالمدينة يطلب المدد فلما ولى عمر ندب الناس مع المثنى فـكان أول منتدب لذلك أبو عبيد بن مسعود الثقفى وسعد بن عبيد الأنصارى وسليط بن قيس فأمر عليهم أسبقهم انتدابا أبا عبيد ابن مسعود وقال له ( اسمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشركهم فى الأمر ولا تجتهد مسرعا بل اتئد فإنها الحرب لا يصلحها إلا الرجل المـكيث الذى يعرف الفرصة ولا يمنعنى أن أؤمر سليطا إلا سرعته إلى الحرب والسرعة إلى الحرب إلا عن بيان ضياع والله لولا سرعته لأمرته ) ثم قال ( إنك تقدم على أرض المـكر والخديعة والخيانة والجبرية تقدم على قوم تجرؤا على الشر فعلموه وتناسوا الخير فجهلوه فانظر كيف تـكون وأحرز لسانك ولا تفشين سرك فإن صاحب السر ما يضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكره وإذا لم يضبطه

كان بمضيعة ) ثم أمر المثنى أن يتقدم إلى أن يلحقه الجيش وأمره أن يستنفر من حسنت توبته من المرتدين فسار مسرعا حتى وصل الحيرة فى عشر وكان الفرس قد شغلوا عن المسلمين باختلافاتهم الداخلية على من يلى ملكهم ثم اتفقوا أخيرا على ولاية بوران بنت كسرى وأن يقوم بأمرها رستم حتى يجدوا رجلا من بيت كسرى يصلح للملك فاستعد رستم لقتال المسلمين وجهز لذلك الجيوش فأرسل جيشاً إلى فرات بادقلى وقائده جابان وجيشاً آخر إلى كسكر ( بلد على الشاطىء الغربى لدجلة بين بغداد والبصرة على آثارها الآن مدينة واسط ) وقائده ترسى وجيشاً آخر لمصادمة المثنى وأرسل إلى الفلاحين أن ينتقضوا على المسلمين ففعلوا ولما بلغت هـــذه الأخبار المثنى خرج من الحيرة حتى نزل خفان ( مأسدة قرب الكوفة ) وانتظر أبا عبيد حتى وصل بعد شهر من مقدم المثنى وكان قد اجتمع من الفرس جمع عظيم وعسكروا بالنمارق ( بلد شمالى واسط ) والزاب (نهر بين سوراء وواسط ونهر آخر بقربه وعلى كل منهما كورة وهما الزابان ويجمع بما حواليه من الأنهار فيقال الزوابى ونهر جور كذلك من الأنهر المتشعبة فى جنوبى الجزيرة ) فهزمت السرايا من تجمع فى هذه الجهات من الفرس وطلب أمراؤها الصلح فأجيبوا ودفعوا الجزاء معجلا ثم جاءوا إلى أبى عبيد بأنواع الأطعمة المحبوبة عند الفرس فقال لهم هل أكرمتم الجند بمثلها فقالوا لم يتيسر ونحن فاعلون فقال أبو عبيد (لاحاجة لنا فيه بئس المرء أبو عبيد إن صحب قوما من بلادهم استأثر عليهم بشىء ولا والله لا آكل ما أتيتم به ولا مما أفاء الله إلا مثل ما يأكل أوساطهم ) فليتأمل المسلمون كيف كان سلفهم رضى الله عنهم ثم سار حتى لقى الجالينوس بباقشياثا من باروسما فقاتله حتى هرب وانهزم جيشه فأرسل أبو عبيـــد إلى عمر بالبشارة والأخماس وفيها تمركان لترسى لا يأكله إلا ملوك الأعاجم أو من أكرموه بشىء منه أو لا يغرسه غيرهم وكتب إلى عمر ( إن الله أطعمنا مطاعم كانت

الأكاسرة تحميها وأحـينا أن تروها لتشكروا إنعام الله وإفضاله) ولما رجع الجالينوس إلى رستم منهزما جهز جيشاً عظيما تحت قيـادة بهمن جاذويه المعروف بذى الحاجب ومعه الراية العظمى لفارس واسمها (درفش كابيان) عرضها ثمانية أذرع فى طول إثنى عشر من جلود النمر فلما بلغ ذلك أبا عبيد رجع إلى الحيرة وأقبل الجالينوس حتى نزل قس الناطف على الفرات وأقبل أبو عبيد فنزل عدوته مقابلا لجيش الفرس وبين الفريقين نهر الفرات فنصب الفرس جسرا عليه .

## وقعة الجسر

وخير بهمن المسلمين فى أن يعبروا هم أو يعـبر الفرس إليهم فاختار أبو عبيد العبور فنهاه ذوو الرأى منهم فلم يقبل وقال لا يكون الفرس أجرأ على الموت منا فعبروا واشتد القتال وكانت الفيلة كثيرة فى جيش الفرس فهابتها خيل المسلمين واشتد الأمر عليهم فقال أبو عبيد احتوشوا الفيلة واقطعوا بطانها واقلبوا عنها أهلها ووثب هو على الفيل الأبيض ففعل به ذلك ولـكن الفيل خبطه بيده فوقع فوطئه الفيل حتى مات فأخذ الراية بعده ثقيف فقاتل عن جثته حتى تمكن من أخذها ثم قتل فتتابع الراية سبعة نفر من ثقيف كلهم يأخذ الراية ويقتل ثم أخذ الراية المثنى فرأى أن الأمر اشتد على المسلمين وابتدأ بعضهم بالهزيمة فرأوا الجسر مقطوعا قطعه أحد المسلمين لئلا يفروا فلم يعقبهم ذلك بل نزلوا فى الفرات فغرق بعضهم ونجا آخرون فنادى المثنى من عبر وأمرهم بعقد الجسر فعقدوه وأمر المسلمين بالعبور وقال اعبروا على هينتـكم فإنا دونـكم ولا تدهشوا ولا تغرقوا نفوسكم وبقى هو حتى عبر من عبر ثم عبر آخرهم وكان آخر من قتل على الجسر سليط بن قيس ومات من المسلمين فى هذه الوقعة ما ينيف على أربعة آلاف بين قتيل وغريق وقد ذهب كثير ممن عبر عن المثنى استحياء مما فعلوه

من الهزيمة فبقى المثنى جريحا فى قلة من جيشه ومنع الله بهمن عن العبور خلف المسلمين بما بلغه من اختلاف الفرس وانقسامهم قسمين قسم يريد رستم وقسم يريد الفيرزان فرجع عن قصده ولما بلغ عمر خبر هذه الهزيمة وأن كثيرا من الناس ذهبوا فى البلاد استحياء قال ( اللهم إن كل مسلم فى حل منى أنا فئة كل مسلم يرحم الله أبو عبيد لو كان انحاز إلى لكنت له فئة ) ثم أمد المثنى بجيوش كثيرة فيهم جرير بن عبد الله البجلى وقومه وعصمة ابن عبد الله الضبى وقومه واستنفر من حسنت توبته من المرتدين فكلما أتاه أحد منهم وجهه إلى المثنى ( أما ) رستم والفيرزان اللذان يتنازعان إمرة الفرس فإنهما لما علما بذلك وجها جيشاً بقيادة مهران الفارسى إلى الحيرة فكتب المثنى إلى جرير وعصمة ومن معهما أن يوافوه بالعذيب ( مما يلى الكوفة الآن ) وسار المثنى حتى التقى بهم هناك فلقوا جيش مهران وبينهما نهر الفرات فاختار المثنى أن يعبر إليه الفرس لأن المسلم لا يلدغ من جحر مرتين فأبلغ الفرس ذلك فعبروا أما المثنى فسوى صفوفه وصار يحرض المسلمين ويعظهم ويقول إنى لأرجو ألا تؤتى الناس من قبلكم اليوم والله ما يسرنى اليوم لنفسى شيء إلا وهو يسرنى لعامتكم وأنصف الناس من نفسه فى قوله وفعله وخلطهم فى المحبوب والمكروه وقال إنى مكبر ثلاثاً فإذا كبرت الرابعة فاحملوا فلما كبر الأولى أعجلتهم الفرس فرأى خللا فى صفوف بنى عجل فأرسل إليهم الأمير يقرئكم السلام ويقول لكم لا تفضحوا المسلمين اليوم فاعتدلوا فضحك فرحا ثم اشتد القتال وحمل المثنى على قلب المشركين وفيه مهران والمجنبتان تقتتلان لا تستطيع إحداهما أن تفرغ النصر لأميرها لا المسلمون ولا المشركون فتغلب قلب الإسلام على قلب الشرك وأوجع فيه حتى قتل مهران فلما رأى ذلك مجنبتا المسلمين مالوا على من أمامهم ميلة واحدة فردوهم على أعقابهم مدحورين فتسابقوا إلى الجسر يريدون العبور فسبقهم إليه المثنى وحال بينهم وبين مايشتهون فافترقوا

مصعدين ومنحدرين وكان المثنى رضى الله عنه يذكر هذا العمل من زلاته ويقول ( لاينبغى إحراج من لايقوى على امتناع ) ثم سير سرية لتعقب الفرس فبلغت ساباط ( موضع بالمدائن ) وافتتحها وصار بعد ذلك طريق المسلمين من الحيرة إلى شواطىء دجله آمنا ثم سار قاصداً سوق الخنافس ( موضع قرب الأنبار ) وسوق بغداد بعد أن خلف على الحيرة بشـــير ابن الخصاصية فأغار عليهما وسار حتى نزل نهر الساحين بالأنبار ثم سرح سرية لقتال جمع من العرب بصفين ( موضع غربى الفرات من جهة الشمال وهى الآن ولاية حلب الشهباء ) فسارت إليهم وهزمتهم وبذلك صار سواد العراق للسلمين يأخذون الجزية من أهل الذمة ويستغلون مافتحوه عنوة ولم تبق للفرس سلطة ماغربى الفرات وضعفت فى بلاد الجزيرة فتأثر من ذلك عامة الفرس ورأوا ملكهم آخذ فى الاضمحلال فالزوال إن لم يتلافوا الأمر فيسعوا أولا فى إزالة هذه الاختلافات التى كادت تقضى على حياتهم فاجتمع كبراؤهم عند رســـتم والفيرزان وقالوا لهما إنه لم يساعد العرب ويكسبهم الظفر علينا إلا تفرقكم وتخاذلكم فان لم تحسموا هذا النزاع وتلتفوا اعدوكم بدأنا بكم فاشتفينا قبل أن يضيع ملك فارس فانتهى الأميران إلى قول العظماء وبحثا عن رجل من آل كسرى يصلح لولاية الملك وبعد الجهد وجدوا إبنا له اسمه يزدجرد فتوجاه بتاج الملك وفرح به الأمراء وجميع الرعية وأطاعه الكل فسمى جيوشاً لحماية ثغور البلاد واسترداد مافقد منها فسير جيشاً للأبلة وجيشا للحيرة وجيشاً للأنبار وكانت هذه أعظم ثغورهم من الجهة الغربية فبلغت المثنى هذه الأخبار فأرسل لعمر بها فقال عمر والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب فلم يدع رئيساً ولا ذا رأى أو شرف وبسطة ولاخطيباً ولاشاعراً إلا رماهم به وكتب إلى المثنى يأمره بالإنسحاب من أرض العجم والتفرق فى المياه حتى تجتمع الجيوش وأمره ألا يدع فى ربيعة ومضر أحداً من أهل النجدات ولافارساً إلا أحضره طوعا أو كرها

فأنزل المثنى جيشه على حدود بلاد الفـــرس أولهم بالحلة وآخرهم بغضى ( وهو جبل البصرة ) متناظرين يغيث بعضهم بعضا وكتب عمر إلى عماله أن يبعثوا من كانت له نجدة أو فرس أو سلاح أو رأى وخرج إلى الحج سنة ثلاث عشرة فحج ورجع فجاءته أفواجهم إلى المدينة ومن كان أقرب إلى العراق انضم إلى المثنى فلما اجتمع عند عمر جيش عظيم خرج بهم من المدينة بعد أن استخلف عليها على بن أبى طالب ونزل بصرار ( موضع قرب المدينة ) فعسكر به والمسلمون لايعلمون قصده أيسافر إلى العراق أم يقيم فسأله عثمان بن عفان عن حركته فأعلمهم واستشارهم أيقيم ويولى قيادة الجيش غيره أم يقود الجيش بنفسه فقال العامة سر وسر بنا معك وأشار خاصة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمقام وتولية رجل من أهل الشهامة والنجدة أميراً على الجيش فتبع رأيهم وانتخب لقيادة هذا الجيش العظيم سعد بن أبى وقاص الزهرى القرشى خال رسول الله صلى الله عليه وسلم فولاه ووصاه وكان فيما قال له ( ياسعد بن أم سعد لايغرنك من الله أن يقال خال رسول الله وصاحب رسول الله فإن الله لايمحو السيء بالسيء ولكنه يمحو السيء بالحسن وليس بين الله وبين أحد نسب إلا بطاعته فالناس فى دين الله سواء وهم عباده يتفاضلون عنده بالعافية ويدركون ماعنده بالطاعة فانظر إلى الأمر الذى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه ) ثم سرحه بأربعة آلاف وأتبعه بمثلها وأرسل إليه عهداً هذه صورته .

( بسم الله الرحمن الرحيم ) أما بعد فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة فى الحرب وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً منكم من عدوكم فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم وإنما ينصر المسلمون

بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم وعدتنا ليست كعدتهم فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ماتفعلون فاستحيوا منهم ولاتعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ولاتقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا فرب قوم سلط عليهم من هو شر منهم كما سلط على بنى إسرائيل لما عملوا بالمعاصى كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا وسلوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم وأسأل الله ذلك لنا ولكم . وترفق بالمسلمين فى سيرهم ولاتجشمهم مسيرا يتعبهم ولاتقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص من قوتهم فإنهم سائرون إلى عدو مقيم حامى الأنفس والكراع وأقم بمن معك فى كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون بها الأنفس ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ولايرزأ أحد من أهلها شيئاً فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها فما صبروا فتولوهم خيراً ولاتنتصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح وإذا وطئت أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم ولايخف عليك أمرهم وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه فإن الكذوب لاينفعك خبره وإن صدقك فى بعض والغاش عين عليك وليس عيناً لك وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم وتتبع الطلائع عوراتهم واختر للطلائع أهل البأس والرأى من أصحابك وتخير لهم سوابق الخيل فإن لقوا عدواً كان أول ماتلقاهم القوة واجعل أهل السرايا من أهل الجهاد والصبر على الجلاد لاتخص بها أحد بهوى فتضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك ولاتبعث طليعة ولا سرية فى وجه

تتخوف فيه غلبة أو ضيعة ونكاية فإذا عاينت العدو فاضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك واجمع إليك مكيدتك وقوتك ثم لا تعاجلهم بالمناجزة مالم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها فتصنع بعدوك كصنعه بك ثم أذك حراسك على عسكرك وتيقظ من البيات جهدك ولا تأت بأسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه لترهب به عدو الله وعدوك والله ولى أمرك ومن معك وولى النصر لكم على عدوكم والله المستعان ) ولما وصل سعد زرود بلغه أن المثنى توفى من أثر جراحة أصابته وأنه ولى على جيشه بشير بن الخصاصية فجمع سعد إليه جيش المثنى وكان ثمانية آلاف وعسكر بشراف وعبى الجيش وأمر الأمراء وعرف على كل عشرة عريفاً وجعل على الرايات رجالا من أهل السابقة أيضاً ورتب المقدمة والساقة والمجنبات والطلائع فجعل على المقدمة زهرة ابن الحوية فانتهى إلى العذيب وعلى الميمنة عبد الله بن المعتم وعلى الميسرة شرحبيل بن السمط الكندى وخليفته خالد بن عرفطه وعلى الساقة عاصم بن عمرو وعلى الطلائع سواد بن مالك وعلى المجردة سلمان بن ربيعة الباهلى وعلى الرجالة جمال بن مالك الأسدى وعلى الركبان عبد الله بن ذى اليمنين الحنفى وعلى القضاء بينهم عبد الرحمن ابن ربيعة الباهى وكاتب الجيش زياد ابن أبى سفيان ورائده وداعيه سلمان الفارسى وكل ذلك بأمر من عمر ثم سار حتى نزل القادسية ( قرية قرب الكوفة ينزل بها حاج الكوفة الآن ) بين العتيق والخندق ( هو حفير لسابور ملك الفرس ببرية الكوفة ) والعتيق من فروع الفرات بحيال القنطرة ( وهى قرية بها قنطرة على فرع من فروع الفرات فعرفت القرية بها ) وكتب عمر إلى سعد ( إنى ألقى فى روعى أنكم إذا لقيتم العدو غلبتموهم فمتى لاعب أحد منكم أحداً من العجم بأمان أو إشارة أو لسان كان عندهم أماناً فأجروا لهم ذلك مجرى الأمان والوفاء فإن الخطأ بالوفاء بقية وإن الخطأ بالغدر هلكة وفيها وهنكم وقوة عدوكم ) وأقام سعد

بالقادسية شهراً لا يأتيه من الفرس خبر فبث سراياه بين كسكر والأنبار فأغارت على من ليس لهم ذمة ومن غدر من أهلها فأرسل أهل السواد إلى يزدجرد ملك الفرس يخبرونه بما صنع المسلمون وأعلموه إن تأخر ألقوا بأيديهم فأرسل يزدجرد إلى رستم وأمره بالاستعداد والتأهب ليكون قائداً لجيش عظيم يحارب المسلمين فامتثل كرهاً لأنه كان من رأيه مطاولة المسلمين حتى يهنوا وخرج فعسكر بساباط وبلغ خبره سعداً فبلغه عمر فأرسل إليه عمر ( لا يكربنك ما يأتيك عنهم واستعن بالله وتوكل عليه وابعث رجالا من أهل المناظرة والرأى والجلد يدعونه فان الله جاعل دعاءهم توهينا لهم ) فأرسل سعد جماعة من الأشراف دعاة إلى يزدجرد منهم النعمان بن مقرن وقيس بن زرارة والأشعث بن قيس وفرات بن حيان وعاصم بن عمر وعمرو بن معد يكرب والمغيرة بن شعبة فلما وصلوا المدائن أدخلوا على يزدجرد فسألهم بواسطة ترجمانه ماجاء بكم ودعاكم إلى غزونا والولوغ ببلادنا أمن أجل أنا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا فتكلم عنهم النعمان بن مقرن فقال ( إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ووعدنا على إجابته خيرى الدنيا والآخرة فلم يدع قبيلة إلا قاربه منها فرقة وتباعد عنه منها فرقة ثم أمر أن نبتدىء بمن خالفه من العرب فبدأنا فدخلوا معه على وجهين مكره عليه فاغتبط وطائع فازداد فعرفنا جميعاً فضل ماجاء به على الذى كنا عليه من العداوة والضيق ثم أمر أن نبتدىء بمن جاورنا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح كله فإن أبيتم فأمر من الشر أهون من آخر شر منه الجزية فإن أبيتم فالمناجزة فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمنا على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وإن بذلتم الجزاء قبلنا منكم ومنعناكم وإلا قاتلناكم ) فقال يزدجرد إنى لا أعلم أمة فى الأرض كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم فقد كنا نوكل بكم قرى

الضواحي فيكفونا أمركم ولا تطمعوا أن تقوموا لفارس فإن كان غرور لحقكم فلا يغرنكم منا وإن كان الجهد فرضنا لكم قوتا إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم فقام قيس ابن زرارة فقال أما ما ذكرت من سوء الحال فكما وصفت وأشد ثم ذكر من عيش العرب ورحمة الله بهم بإرسال النبي صلى الله عليه وسلم مثل مقالة النعمان ثم قال ( اختر إما الجزية عن يد وأنت صاغر أو السيف وإلا فنج نفسك بالإسلام ) فقال يزدجرد لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم لا شيء لكم عندي ثم استدعى بوقر من تراب وقال لقومه احملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن فقام عاصم بن عمر وقال أنا أشرفهم وأخذ التراب فحمله وخرج إلى راحلته فركبها ولما وصل إلى سعد قال له أبشر فوالله لقد أعطانا الله أقاليد ملكهم ثم إن رستم خرج بجيشه الهائل مائة ألف أو يزيدون من ساباط فلما مر على كوثى ( قرية بين المدائن وبابل) لقيه رجل من العرب فقال له رستم ما جاء بكم وماذا تطلبون منا قال جئنا نطلب موعود الله بملك أرضكم وأبنائكم إن أبيتم أن تسلموا قال رستم فإن قتلتم قبل ذلك قال من قتل منا دخل الجنة ومن بقى أنجزه الله وعده فنحن على يقين قال رستم قد وضعنا إذا فى أيديكم قال العربى أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها فلا يغرنك ما ترى حولك فإنك لست تجادل الإنس وإنما تجادل القدر فغضب منه رستم وقتله فلما مر بجيشه على البرس ( قرية بين الكوفة والحلة ) غصبوا أبناء أهله وأموالهم وشربوا الخمور ووقعوا على النساء فشكى أهل البرس إلى رستم فقال لقومه والله لقد صدق العربى والله ما أسلمنا إلا أعمالنا والله إن العرب مع هؤلاء وهم لهم حرب أحسن سيرة منكم ثم سار حتى نزل الحيرة فعنف عظماءها على الاستسلام للمسلمين فقال له ابن بقيلة لا تجمع علينا أن تعجز عن نصرتنا وتلومنا على الدفع عن أنفسنا ( ولما ) علم سعد أمير جيش المسلمين خبر رستم أرسل عمرو ابن معد

يكرب الزبيدى وطليحة بن خويلد الأسدى يستكشفان خبر الجيش مع عشرة رجال فلم يسيروا إلا قليلا حتى رأوا سرح العدو منتشراً على الطفوف فرجعوا إلا طليحة فإنه ظل سائرا حتى دخل جيش العدو وعلم ما عليه فرجع إلى سعد وأخبره خبره .

## وقعة القادسية

ثم إن رستم سار بجيشه من الحيرة حتى نزل القادسية على العتيق ( جسر القادسية ) أمام عسكر المسلمين يحول بينهم وبينهم النهر ومع الفرس ثلاثة وثلاثون فيلا ولما نزل أرسل إلى سعد أن ابعث إلينا رجلا نكلمه فأرسل إليه ربعى بن عامر فجاءه وقد جلس على سرير من ذهب وبسط النمارق والوسائد منسوجة بالذهب فأقبل ربعى على فرسه وسيفه فى خرقة ورمحه مشدود بعصب فلما انتهى إلى البساط وطئه بفرسه ثم نزل وربطها بوسادتين شقهما وجعل الحبل فيهما ثم أخذ عباءة بعيره فاشتملها فأشاروا عليه بوضع سلاحه فقال لو أتيتكم فعلت ذلك بأمركم وإنما دعوتمونى ثم أقبل يتوكأ على رمحه ويقارب خطوه حتى أفسد مامر عليه من البسط ثم دنا من رستم وجلس على الأرض وركز رمحه على البساط وقال إنا لا نقعد على زينتكم فقال له رستم ماجاء بكم قال ( الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسل رسوله بدينه إلى خلقه فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه ومن أبى قاتلناه حتى نفضى إلى الجنة أو الظفر . فقال رستم قد سمعنا قولكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه فقال نعم ( وإن مما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا نمكن الأعداء أكثر من ثلاث فنحن مترددون عنكم ثلاثاً فانظر فى أمرك واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل : الإسلام وندعك وأرضك أو الجزاء فنقبل ونكف عنك

وإن احتجت إلينا نصرناك أو المنابذة فى اليوم الرابع إلا أن تبدأ بنا وأنا كفيل بذلك عن أصحابى ) فقال رستم أسيدهم أنت قال ( ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يجير أدناهم على أعلاهم ) ثم انصرف فخلا رستم بأصحابه وقال رأيتم كلاماً قط مثل كلام هذا الرجل ( فأروه الاستخفاف بشأنه فقال رستم ويلكم إنما أنظر إلى الرأى والكلام والسيرة والعرب تستخف اللباس وتصون الأحساب فلما كان اليوم الثانى من نزوله أرسل إلى سعد أن ابعث إلينا هذا الرجل فأرسل إليه حذيفه بن محصن الغطفانى فلم يختلف عن ربعى فى العمل والإجابة ولا غرابة فهما مستقيان من إناء واحد وهو دين الإسلام فقال له رستم ما قعد بالأول عنا قال ( أميرنا يعدل بيننا فى الشدة والرخاء وهذه نوبتى ) فقال رستم والمواعدة إلى متى قال إلى ثلاث من أمس وفى اليوم الثالث أرسل إلى سعد أن أبعث إلينا رجلا فأرسل إليه المغيرة بن شعبة فتوجه إليه ولما كان بحضرته جلس معه على سريره فأقبلت إليه الأعوان يجذبونه فقال لهم ( قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام ولا أرى قوماً أسفه منكم إنا معشر العرب لايستعبد بعضنا بعضاً إلا أن يكون محارباً لصاحبه فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى وكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب بعض وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم وإنى لم آتيكم ولكنكم دعوتمونى اليوم علمت أنكم مغلوبون وأن ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول ) فقالت السوقة صدق والله العربى وقالت الدهاقين ( زعماء الفلاحين ) لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا تنزع إليه قاتل الله سابقينا حيث كانوا يصغرون أمر هذه الأمة ثم تكلم رستم بكلام عظم فيه شأن الفرس وصغر فيه شأن العرب وذكر ما كانوا عليه من سوء الحال وضيق العيش فقال المغيرة ( أما الذى وصفتنا به من سوء الحال والضيق والاختلاف فنعرفه ولا ننكره والدنيا دول والشدة بعدها الرخاء ولو شكرتم ما آتاكم الله لكان شكركم

قليلا على ما أوتيتم وقد أسلمكم ضعف الشكر إلى تغير الحال وإن الله بعث فينا رسولا ثم ذكر مثل ماتقدم وختم كلامه بالتخيير بين الإسلام أو الجزية أو المنابذة ثم رجع فخلا رستم بأهل فارس وقال أين هؤلاء منكم ألم يأتكم الأولان فحسراكم واستخرجاكم ثم جاءكم هذا فلم يختلفوا وسلكوا طريقاً واحداً ولزموا أمراً واحداً هؤلاء والله الرجال صادقين كانوا أم كاذبين والله لئن بلغ من أدبهم وصونهم لسرهم أن لايختلفوا فما قوم أبلغ فيما أرادوا منهم لئن كانوا صادقين فما يقوم لهؤلاء شيء فلجوا ولم تنتفع الفرس بهذه الدعوة بل تمادوا فى غيهم ليقضى الله أمراً كان مفعولا فأجمع القائدان على المناجزة وأقرا على أن يعبر الفرس نهر العتيق فعبروا وعبأ رستم جيشه العرمرم وجعل بينه وبين يزدجرد بريداً يخبره بالحوادث فى أوقاتها وعبأ أمير المسلمين جيوشه وكانت صفوفهم مع حائط قديس والخندق فكان الجيشان بين العتيق والخندق وأرسل سعد رجالا من ذوى المنطق الفصيح يحرضون على الجهاد وأمر القراء بقراءة سورة الأنفال فقرئت ولما أتموا قراءتها شهت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة بقراءتها ثم قال لهم سعد الزموا مصافكم فإذا صليت الظهر فإنى مكبر فإذا كبرت الأولى فكبروا واستعدوا وإذا كبرت الثانيـــة فكبروا والبسوا عدتكم وإذا كبرت الثالثة فكبروا ونشطوا الناس فإذا كبرت الرابعة فازحفوا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا ( لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ) وكان ذلك فى المحرم من السنة الرابعة عشرة فلما كبر سعد تكبيرته الأخيرة خرج أهل النجدات فأنشبوا القتال ثم حمل الجيشان ولم يكن أشد على المسلمين من الفيلة وكادت بجيله أن تهلك لنفار خيلها فأرسل سعد إلى بن أسد أن دافعوا عن بجيله فقام رئيسهم طليحة بن خويلد بما عهد إليه خير قيام فلما رأى الأشعث ابن قيس مايفعله بنو أسد قال لقومه يابنى كندة لله در بنى أسد أى فرى يفرون وأى هذ يهذون أغنى كل قوم مايليهم وأنتم تنتظرون من يكفيكم

أشهد ما أحسنتم أســوة قومكم من العرب ثم نهد فنهدوا معه وأزالوا من بإزائهم ووجه الفرس قوتهم إلى بنى أسد لما رأوا من شدتهم على الفيلة فدارت رحى الحرب على بنى أسد والفيلة تضربهم كثيراً فأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو زعيم بنى تميم أن ينظر حيلة للفيلة فنادى رماة قومه وقال لهم ذبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل وقال لآخرين استدبروا الفيلة فقطعوا وضنها (الوضين بطان عريض منسوج من سيور أو شعر والبطان حزام القتب) ففعلوا فعوت الفيلة وقتل أصحابها فنفس عن أسد بعد أن قتل منهم خاصة فى هذه الموقعة نحو خمسمائة ولم يزل القتال نارا تلظى إلى أن غربت الشمس فانفصل الجيشان وهذا هو اليوم الأول من أيام القادسية ويسمى يوم أرماث وتسمى ليلته ليلة الهدأة لأنه لم يحصل فيها قتال فلما أصبحوا وكل سعد بالجرحى من يداويهم وبالقتلى من يدفنهم وعبى الجيش كما كان بالأمس وبينما هم مصطفون إذ قدم على المسلمين مدد من الشام بعثه بأمر عمر أبو عبيدة عامر بن الجراح وعليه هاشم بن عتبة بن أبى وقاص الملقب بالمرقال (لقبه بذلك على بن أبى طالب يوم صفين لأنه أعطاه الراية فصار يرقل بها أى يسرع) وكان على مقدمته القعقاع بن عمرو فوصل أولا لأنه تعجل فقدم صبيحة اليوم الثانى من أيام القادسية فقويت به قلوب المسلمين ولم يلبث حتى خرج يطلب البراز فبرز إليه ذو الحاجب صاحب وقعة الجسر فعرفه القعقاع ونادى يالثارات أبى عبيد وسليط وأصحاب الجسر ثم تضاربا فقتل ذا الحاجب وأفرح قتله المسلمون بقدر ما أحزن المشركين ثم حمى القتال وفى هذا اليوم شعر المسلمون بالظفر لأن الفيلة كانت تكسرت توابيتها فاشتغل الفرس بإصلاحها وحملى بنو عم القعقاع عشرة عشرة على إبل قد ألبسوها وهى مجللة مبرقعة وأطافت بها خيولهم تحميهم وأمرهم القعقاع أن يحملوها على خيل الفرس يتشبهون بالفيلة فلقيت منها خيل الفرس أعظم مالاقت خيل المسلمين بالأمس وأظهر القعقاع فى هذا اليوم شجاعة عظمى

واستمر القتال إلى نصف الليـــل فانفصل الجيشان ويسمى هذا اليوم يوم أغواث وهو اليوم الثانى من أيام القادسية ونسمى ليلته ليلة السواد ثم أصبحوا هم اليـوم الثالث وهو يوم عماس على مصافهم وبين الصفين من جرحى المسلمين وقتلاهم ألفان فنقلهم إخوانهم الجريح للمداواة والقتيل للدفن وكان النساء هى اللاتى يداوين الجرحى أما قتلى المشركين الذين يزيدون على عشرة آلاف فلم يعتن قومهم بنقلهم وفى هذا اليوم أقبل هاشم المرقال فى بقية جيشه وقد احترس الفرس فى هذا اليوم على الفيلة فجعلوا وراءها رجالا يحمونها لئلا تقطع وضنها ولـكن خيل المسلمين لم تنفر منها لأن الفيل إذا كان وحده كان أوحش وإذا أحاط به الرجال كان آنس ولأن الخيل أيضا تعودت رؤيتها ثم ابتدأ القتال وحمى وطيسه فانتدب سعد القعقاع ومعه آخر لقتل الفيل الأبيض وهو كبير الفيلة وانتدب آخرين لقتل الفيل الأجرب فذهب القعقاع ورفيقه وأشرع كل منهما رمحه فوضعه فى عين الفيل فوقع لجنبه ثم قتلا ساسته وذهب الآخران فطعن أحدهما الفيل فى عينه فأقعى (تساند إلى ماوراءه) ثم استوى فضربه الثانى فأبان مشفره فولى الفيل لا يلوى على شيء حتى رمى نفسه فى العتيق وتبعه الفيلة فخرجت صفوف الأعاجم وعبرت العتيق وظل القتال مستمراً حتى جاء المساء فانفصل الجيشان قليلا ثم أمر سعد بمعاودة القتال متى أعلن بشعار القتال وهو (الله أكبر) فأعجلتهم الفرس عن انتظار تـكبير سعد فحمل القعقاع ولم ينتظر فقال سعد اللهم اغفر له وانصره فقد أذنت له وإن لم يستأذن لأن المسلمين قد جروا نتائج العصيان فى وقعة أحد فى عهد رســـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخاف سعد أن يعاقبوا فأذن فى القتال وإن لم يستأذنوه ثم حمل بنو أسد فقال سعد اللهم اغفر لهم وانصرهم فقد أذنت لهم وهكذا كان يقول رضى الله عنه كلما حمل قوم قبل إعلانه التـكبير فلما صلى العشاء كبر فحمل المسلمون كلهم وكانت ليلة ليلاء صوت الحديد فيها وكان كصوت القيون وترك

المسلمون الكلام وإنما كانوا يهرون هريراً ولذلك سميت هذه الليلة ليلة الهرير رأى فيها العرب والفرس ما لم يروا مثله قبلها فالمسلمون يحامون عن دينهم والفرس يحامون عن دولتهم ولكن أين من يحارب عن الدنيا ممن يحارب لتكون كلمة الله هي العليا ؟ واستمر القتال إلى الصباح فقال القعقاع إن الدائرة تكون لمن صبر ساعة فاصبروا ساعة فإن النصر مع الصبر فانضم إليه جماعة من الرؤساء واستمروا يقاتلون حتى قام قائم الظهيرة فابتدأ الفرس بالتقهقر وكان أول من زال الفيرزان والهرمزان فتأخرا عن مواقفهما ثم حمل هلال بن علفة أحد فرسان المسلمين فقتل رستم فلما رأى ذلك الفرس ابتدأوا بالإنهزام فقام الجالينوس على الردم وأمر الجيش بالعبور فعبر من نجا منهم فتبعهم زهرة بن الحيوية وأدرك الجالينوس وهو يجمع المنهزمين فقتله وأخذ ضرار بن الخطاب الفهري الراية العظمى لفارس وهي ( درفش كابيان ) ويسمى هذا اليوم يوم القادسية وبعد تمام الهزيمة أمر سعد بجمع الأسلاب والغنائم وكانت شيئاً كثيراً فقسمها كما أمر الله سبحانه وتعالى وهنأ جنوده بهذا النصر المبين وبعث بالخمس والبشارة إلى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب وكان رضي الله عنه يخرج كل يوم من المدينة يتنسم الأخبار حتى يرده حر الظهيرة فلما جاء البشير لاقاه عمر وهو يسير سيراً حثيثاً فسأله عمر من أين فأخبره الرجل أنه آت من قبل سعد فقال ياعبد الله حدثني قال هزم الله المشركين وعمر يخطب وراءه والرجل لايعرفه حتى دخل المدينة فإذا الناس يسلمون عليه بإمرة المؤمنين فقال البشير هلا أخبرتني رحمك الله فقال عمر لابأس عليك ياأخي .

وهذه الموقعة كانت أعظم وقعات المسلمين مع فارس قتل فيها مشاهير الفرس وكبار قوادهم وقتل من الجيش كثير غرقاً وقتلا وقاتل فيها أغاب رؤساء العرب لأن عمر لم يترك أحداً من ذوي النجدات يتأخر عنها وكان

المسلمون لايذكرون مابعدها من الوقائع وأقام سعد بالقادسية شهرين ينتظر أمر عمر حتى جاءه بالتوجه لفتح المدائن وتخليف النساء والعيال بالعتيق مع جند كثيف يحوطهم وعهد إليه أن يشركهم فى كل مغنم ماداموا يخلفون المسلمين فى عيالاتهم ففعل وسار بالجيش لأيام بقين من شوال وكان فل المنهزمين لحق ببابل وفيهم بقايا الرؤساء مصممين على المدافعة .

## فتح البرس

فلما وصلت مقدمة المسلمين برس قابلهم فيها بعض عساكر الفرس فقاتلوا ثم انهزموا ولما أدركهم سعد أخبروه الخبر فسر واستمر سائرا حتى وصل بابل .

## فتح بابل

وهناك عبر الفرات وقاتل من تجمع ببابل فلم يلبث الفرس إلا ساعة من نهار وانهزموا مدحورين فى أسرع من لفت الرداء وناهيك بقتال من ملىء قلبه رعباً وهذا مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ( نصرت بالرعب ) وهرب الفيرزان إلى نهاوند وهرب الهرمزان إلى الأهواز ( إقليم بالجنوب الغربى من بلاد فارس بين البصرة وإقليم فارس وهى تسع كور وقاعدتها السوس ومن مدنها تستر ) وقصد بقية المنهزمين المدائن ( مدينة كسرى جنوبى بغداد على الدجلة وسميت المدائن لكبرها وهى غربية وشرقية وفى هذه إيوان كسرى وهى قاعدة الملك ) وتبع زهرة المنهزمين فلحقهم بين الدير وكوثى فطردهم وقتل منهم جمعاً عظيما .

## فتح كوثى

ثم سار حتى وصل كوثى فخرج إليه أميرها مقاتلا فقتل وانهزم جيشه وانتظر زهرة هناك سعداً .

# فتح ساباط

وبعد أن وصل سعد سار زهرة حتى ورد ساباط فصالحه أهلها على الجزية وانتظر سعداً فلما جاء سار الجيش كله قاصداً بهرسير وهى المدينة الغربية فرأى المسلمون إيو أن كسرى أمامهم وتذكروا وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ روى مسلم عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ( عصيبة من المسلمين يفتتحون البيت الأبيض بيت كسرى أو آل كسرى ) فقويت قلوبهم وعظمت همتهم وهؤلاء جديرون بنصر الله لهم لأنهم على يقين من دينهم فكلما سنحت لهم فرصة تقربهم إلى الله بادروا إليها ﴿ إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ ونادى ضرار بن الخطاب : الله أكبر هذا أبيض كسرى هذا وما وعد الله وصدق رسوله وكبر وكبر معه المسلمون وحاصر سعد المدينة فى ذى الحجة من السنة الرابعة عشرة وأرسل الخيل لفتح القرى المجاورة واستشار سعد عمر فى أسرى الفلاحين فجمع عمر أصحاب شوراه وخطبهم فقال ( إنه من يعمل بالهوى والمعصية يسقط حظه ولا يضر إلا نفسه ومن يتبع السنة وينته إلى الشرائع ويلزم السبيل النهج ابتغاء ما عند الله لأهل الطاعة أصاب أمره وظفر بحظه وذلك بأن الله عز وجل يقول ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾ وقد ظفر أهل الأيام والقوادس بما يليهم وجلا أهله وأتاهم من أقام على عهدهم فما رأيكم فيمن زعم أنه استكره وحشر ، وفيمن لم يدع ذلك ولم يقم وجلا ، وفيمن أقام ولم يدع شيئاً ولم يجل ، وفيمن استسلم ) فأجمعوا على الوفاء لمن أقام وكف لم يزده غلبه إلا خيراً وأن من ادعى فصدق أو وفى فبمنزلتهم وإن كذب نبذ إليهم أو أعادوا صلحهم وأن يجعل أمر من جلا إليهم فإذا شاؤا دعوهم وكانوا لهم ذمة وإن شاءوا تموا على منعهم من أرضهم ولم يعطوهم إلا القتال وأن يخيروا من أقام واستسلم بين الجزاء

والجلاء فكتب عمر إلى سعد بما أقر عليه علماء المسلمين ورجال شوراهم فخلى سعد عن الفلاحين وأرسل إلى الدهاقين ودعاهم إلى الإسلام أو الجزية ولهم الذمة فتراجعوا ولم يبق غربى دجلة سوادى إلا دخل فى ذمة المسلمين واغتبط بملكهم ؛ كيف لا وقد رأوا قوما أساس دينهم المساواة فأميرهم كأصغر الرعية أمام الحق . لا كبر . لا ظلم ، لا فساد فى الأرض ، خفت عنهم وطأة الكبرياء والعبودية التى كانوا يسامونها فصاروا عباد الله وحده (ولما) اشتد الحصار على المدائن الغربية ترك يزدجرد المدينة وعبر إلى المدينة الشرقية فعزم سعد على العبور ولكن الفرس كانوا أجمعوا المعابر فدله فارسى على مخاضة تصلح للعبور فقال سعد لرؤساء الجيش إنى قدعزمت على قطع هذا البحر فقالوا جميعاً عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل فانتدب منهم من يعدى أولا ويحمى الفراض حتى يعبر المسلمون فأجابه لذلك ذو البأس والنجدة عاصم بن عمرو سيد بنى تميم فعبر فى ستين فارساً من قومه فلما رآهم الأعاجم تصدوهم فشرعوا نحوهم الرماح فلم يصبر الفرس ولما رأى سعد أن الفراض محمية أمر المسلمين بالعبور فعبروا وهم يقولون نستعين بالله ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وكان يساير سعداً سلمان الفارسى فعامت بهم خيولهم وسعد يقول حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه وليهزمن عدوه إن لم يكن فى الجيش بغى أو ذنوب تغلب الحسنات فقال له سلمان : الإسلام جديد ذللت لهم البحور كما ذلل لهم البر أما والذى نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجا كما دخلوا فأبر الله قسمه وخرجوا ولم يفقد أحد منهم شيئاً ، ولم يغرق منهم أحد غير أن رجلا زال عن ظهر فرسه فثنى القعقاع عنان فرسه إليه فأخذه بيده وأخرجه سالما فانظر رعاك الله كيف لم تشغل القعقاع نفسه وهو فى أحرج المواقف بل آثر رفيقه على نفسه وبذلك تتجلى لك مظاهر الإسلام والإخوة الإسلامية فى أعلى درجاتها وكان هذا اليوم

يسمى يوم الجراثيم لا يعي أحد إلا تبينت له جرثومة يريح عليها (ولما)
رأى الفرس عبور المسلمين سقط فى أيديهم ورأوا أن لا قبل لهم بالمدافعة
فترك يزدجرد المدينة وهرب قاصداً حلوان ( بلدة بينها وبين بغداد أربعة
مراحل وهى منتهى العراق من جهة الشرق وتعد من كور الجبل وهى مبنية
على شاطىء نهر متفرع من دجلة وتقابل طبرستان ) وكان قد قدم إليها أهله
وولده فدخل المسلمون المدينة من غير معارض ونزل سعد القصر الأبيض
واتخذه مصلى وقرأ قوله تعالى ﴿ كم تركوا من جنات وعيون وكنوز ومقام
كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين ﴾ وابتدأ
بجمع الغنائم والأسلاب وكانت شيئاً عظيما وأرسل وراء الهاربين بالأموال
والذخائر فأتى بهم ولم يفلت منهم أحد وكان أول من دخل المدائن من
جيوش المسلمين كتيبة القعقاع بن عمرو وتسمى الخرساء وبعدها كتيبة
عاصم بن عمرو وتسمى كتيبة الأهوال ثم قسم سعد الغنيمة فأصاب الفارس
إثنا عشر ألفاً وقسم المنازل بين الناس وأحضر العيالات من العتيق فأنزلهم
الدور وصارت المدائن قاعدة لأعمال العراق يقيم بها أميره وكانت أول
جمعة جمعت بالمدائن فى صفر من السنة السادسة عشرة وأرسل سعد الأخماس
إلى عمر ومعها كل شيء أراد أن يعجب منه العرب وكان فتح المدائن فى
أواخر السنة الخامسة عشر ولما قدم البشير على عمر بذخائر كسرى قال إن
قوماً أدوا هذا لذوو أمانة فقال له على ( إنك عففت فعفت الرعية ) ومما
بعث به إليه بساط لكسرى يسمى القطف وكان ستين ذراعا فى ستين
فاستشار عمر أصحابه فيما يفعل به فكلهم أشار عليه بأخذه لنفسه إلا عليا فإنه
قال له يا أمير المؤمنين الأمر كما قالوا ولم يبق إلا التروية إنك إن تقبله
على هذا اليوم لم تعدم فى غد من يستحق به ما ليس له قال صدقتنى ونصحتنى
فقسمه بينهم وولى عمر سعد بن أبى وقاص صلاة ماغلب عليه وحربه وولى
على الخراج النعمان بن مقرن على ماسقت دجلة ، وسويدا أخاه على ماسقى

الفرات ثم استعفيا فولى عملهما حذيفة بن أسيد وجابر بن عمرو المزنى ثم ولى عملهما بعد حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف .

## فتح جلولاء

ولما انهزم الفرس ورحلوا عن المدائن اتجهوا شمالا حتى وصلوا جلولاء شرقى دجلة ( بلدة على شاطىء دجلة شمال المدائن وهى من أعمال بغداد فافترقت بهم الطرق ، أهل أذربيجان يريدون الشمال وأهل أقليم فارس يريدون الجنوب فقالوا إن افترقنا لم نجتمع فهلم فلنحتشد لحرب العرب هنا فإن كانت لنا كان ما أردنا وإن كانت علينا كنا شفينا أنفسنا وولوا أمرهم مهران الرازى وحفروا حولهم خندقا أحاطوه بحسك الحديد إلا طرقهم فبلغ ذلك سعدا فسرح إليهم ابن أخيه هاشم بن عتبة فى إثنى عشرة ألفا وجعل على مقدمته القعقاع حسبما أمر عمر فساروا فى صفر من السنة السادسة عشرة حتى أتوا جلولاء فانحصر الفرس فى خنادقهم ثمانين يوما ولا يقدر عليهم المسلمون وبعد هذه المدة انكشف لهم طريق من الخندق كان المشركون أعدوه لسير خيلهم فهجموا منه وقاتلوهم قتالا شديدا شبيها بقتال ليلة الهرير إلا أنه كان أسرع فقتل من المشركين مقتلة عظيمة وانتهى القتال بهزيمتهم إلى خانقين فتبعهم إليها القعقاع والمسلمين وهزمهم منها . أما يزدجرد فإنه لما بلغه امتلاك جلولاء ترك حلوان وتوجه إلى الرى فسار القعقاع إلى حلوان وامتلكها ثم أرسل سعد إلى عمر يخبره بهزيمة الفرس ويستأذنه فى اتباعهم إلى داخل بلادهم فلم يرض عمر وقال وددت أن بين السواد والجبل سداً حصيناً من ريف السواد فقد آثرت سلامة المسلمين على الفىء والأخماس ولما قدمت عليه الأخماس قال والله لا يجنها سقف حتى أقسمها فبات عبدالرحمن بن عوف وعبد الله بن الأرقم يحرسانها فى المسجد فلما أصبح الصبح جاء عمر فنظر إلى مافى الأخماس من جوهر ودر فبكى

فقال عبد الرحمن ما يبكيك يا أمير المؤمنين فو الله إن هذا لموطن شكر فقال عمر والله ما ذلك يبكيني وبالله ما أعطي الله هذا قوما إلا تحاسدوا وتباغضوا ولا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم ومنع عمر من قسمة السواد وهو ما بين حلوان شرقا إلى القادسية غربا وكان فتح جلولاء فى ذى القعدة من السنة السادسة عشرة وفى جمادى الأولى من السنة السادسة عشرة بلغ سعداً أن الإنطاق ملك الموصل سار منها إلى تكريت ( بلد على شاطىء دجلة الشرقى شمال بغداد ) ومعه جمع كثير من الروم والعرب فسير إليه عبد الله بن المعتم حسبما أمر عمر فسار عبد الله إلى تكريت وحصرها أربعين يوما وفى نهايتها أرسل إلى العرب الذين مع الإنطاق يستميلهم إليه ويدعوهم لنصرته وخذلان الفرس والأروام الذين ليسوا من جنسهم فأجابوه لذلك وانهم معه فأرسل إليهم إن كنتم صادقين فأسلموا فهداهم الله للدين القويم وأسلموا فأرسل إليهم إذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أنا قد أخذنا أبواب الخندق فخذوا الأبواب التى تلى دجلة وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه ثم حمل عبد الله وكبر فكبر العرب فظن المشركون أن المسلمين جاؤهم من خلفهم مما يلى دجلة فقصدوا أبواب الخندق فأخذتهم سيوف المسلمين فلم يستطيعوا مدافعة وهرب منهم من أطاق الهرب ودخل المسلمون المدينة .

## فتح نينوى والموصل

ثم أرسل عبد الله سرية لفتح نينوى والموصل ( بلدان على دجلة بعد الدرجة السادسة والثلاثين من خط العرض الشمالى الأولى على الشاطىء الشرقى والأخرى على الغربى ) وأرسل فى هذه السرية جمعا من العرب الذين كانوا مع الفرس فسبقوا إلى البلدين أخبروا بفتح وظفر على الفرس ففتحت لهم الأبواب ولم يلبث المسلمون أن جاؤا من غير معارض فطلب أهلها الأمان على الجزية فأمنوا وصاروا ذمة ثم قسم عبد الله الغنائم وأرسل الخمس إلى عمر .

## فتح ماسبذان

ثم بلغ سعداً أن جمعاً عظيما من الفرس تجمعوا بسهل ماسبذان فأرسل إليهم ضرار بن الخطاب الفهرى فشتت شملهم وقام بماسبذان مرابطاً لأنها كانت ثغراً تؤتى المدائن من قبلها .

## فتح هيت

ثم أرسل سعد عمر بن مالك بجيش إلى هيت ( ناحية من نواحى بغداد ) لفتحها فجاء وقد خندق حولها المشركون فحاصرها وفى أثناء الحصار فتح قرقيسياء ( بلد على شاطىء الفرات شمالى الأنبار بينها وبين الرقة وهذه واسطة ديار ربيعة التى مركزها نصيبين ) ولما رأى أهل هيت أن لا قبل لهم بالحرب أجابوا إلى دفع الجزية وصاروا ذمة .

## تخطيط الكوفة

مكثت المدائن قاعدة أعمال العراق منذ فتحت إلى السنة السابعة عشرة فرأى عمر بن الخطاب فى وجوه العرب الذين نزلوا بها تغيراً فى ألوانهم وضعفاً فى أبدانهم فكتب إلى سعد أن أبعث سلمان الفارسى وحذيفة ابن اليمان رائدين فليرتادا منزلا بريا بحريا ليس بينى وبينكم فيه بحر ولا جسر فارسلهما سعد كل واحد من جهة فاجتمعا بالكوفة - ومعناها الرملة الحمراء المستديرة أو كل رملة تخالطها حصباء - فاستحسناها وصليا بها ودعوا الله أن يجعلها منزل الثبات ثم رجعا إلى سعد وأخبراه فأرسل إلى القعقاع وعبد الله بن المعتم أن يستخلفا على جيوشهما ويحضرا ثم سار من المدائن حتى وصل أرض الكوفة فعسكر بها فى المحرم من السنة السابعة عشرة ثم استشاروا عمر فى البناء بالقصب فأذن لهم ولما حصل فيها الحريق

عقب تخطيطها استأذنوه فى البناء باللبن فقال افعلوا ولا يزيدن أحدكم عن ثلاثة أبيات ولا تطاولوا فى البنيان وألزموا السنة تلزمكم الدولة . وكان مخطط الكوفة أبو هياج ابن مالك فجعل النهج ( الشارع الأعظم ) أربعين ذراعا وما يليه ثلاثين وما بين ذلك عشرين والأزقة سبعة أذرع ليس دون ذلك شيء وجعل القطائع ستين ذراعا وأول شيء أسس فيها المسجد وبنى بحياله داراً لسعد وهى قصر الكوفة والمدينة مبنية على الشاطىء الغربى لنهر الفرات بينها وبينه نحو نصف فرسخ كله حدائق نخل ملتفة يمتد سوادها امتداد البصر والمسافة بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخاً أى عرض الجزيرة من هناك ، وبعد أن تم تخطيطها نقل إليها العرب الذين بالمدائن بعد أن خيرهم فمن شاء الإقامة بالمدائن تركه ومن شاء الرجوع إلى الكوفة رجع وصارت قاعدة أعمال العراق من ذلك الحين . وفى هذه السنة على ما عليه أكثر المؤرخين أسست مدينة البصرة وهى قريبة من خليج فارس على مجتمع الدجلة والفرات أسسها عتبة بن غزوان بأمر عمر وصارت قاعدة ثانية للعراق لأن عمر قسمه قسمين أعلى وقاعدته الكوفة وواليها سعد وأسفل وقاعدته البصرة وواليها عتبة فقد كان يتبع الكوفة من ولايات الفرس بعد افتتاحها الباب وأذربيجان وهمذان والرى وأصبهان وماه والموصل وقرقيسياء وكلها فى الجهة الشمالية وكان يتبع البصرة خراسان وسجستان ومكران وكرمان وفارس والأهواز .

## غزو الفرس من البحرين

كان المسلمون فى العصر الأول يتنافسون فيما يقربهم إلى الله فلما رأى العلاء بن الحضرمى أمير البحرين نكاية سعد فى الفرس أراد أن يؤثر فيهم أثراً مثله فانتدب أصحابه لذلك فأجابوه فقسمهم ثلاث فرق على إحداها الجارود بن المعلى العبدى وعلى الثانية سوار بن همام وعلى الثالثة خليد

ابن المنذر بن ساوى وهو الرئيس العام وأجازهم الخليج الفارسى لفتح تلك الجهات ولكن مما يؤسف له أن هذا العمل كان بغير استشارة أمير المؤمنين وخصوصاً أن الغزو من البحر كان مما لا يراه عمر بن الخطاب وكثيراً ما كان ينهى عنه خوف الغرق فعبر جيش العلاء البحر وسار حتى أتى اصطخر ( وسط أقليم فارس وهى المدينة العظمى فيه ) فخرج إليهم جمع عظيم من الفرس وحالوا بينهم وبين مراكبهم فلما علم بذلك خليد خطب أصحابه فقال ( أما بعد فان القوم لم يدعوكم إلى حربهم وإنما جئتم لهم السفن والأرض لمن غلب فاستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشمين ) ثم عبأ جيشه وحمل فقتل من المسلمين الجارود وسوار وقتل من الفرس كثير .
ولما رأى المسلمون أن مكثهم قليلون وسط بلاد الفرس تغرير بهم أرادوا الرجوع إلى البصرة من طريق البر لأنه لا سبيل لهم إلى السفن فأخذ الفرس عليهم الطريق فعسكروا وامتنعوا لما بلغ عمر فعلة العلاء وحصر المسلمين أرسل لعتبة بن غزوان أمير البصرة أن يجهز جيشاً كثيفا لتخليص المحصورين قبل أن يهلكوا فجهز لهم جيشاً فيه إثنا عشر ألف مقاتل فساروا حتى التقوا بالمسلمين إخوانهم من شر عمل لم يستشر فيه أمير المؤمنين وهذه أول غزوة شرفت بها نابتة البصرة وكان عقاب عمر للعلاء أن صرفه عن إمارة البحرين وسيره إلى الكوفة ليكون تحت إمرة سعد .

## فتح الأهواز

قدمنا أن الهرمزان لما انهزم من القادسية قصد الأهواز وملك خوزستان ( من كور الأهواز وهى الآن اسم لأقليم فى بلاد الفرس قاعدته تستر وكان يغير على أهل ميسان ( كورة بين البصرة وواسط ) يأتى إليها من مناذر ونهر تيرى ( من ثغور الأهواز فارسل عتبة بن غزوان إلى عمر يخبره بخبر الهرمزان فأرسل عمر إلى سعد أمير الكوفة أن يمد عتبة فأمده

بنعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود وأمرهما أن يأتيا أعلى ميسان حتى يكونا بين البصرة وثغور الأهواز وأرسل عتبة بن سلمى بن القين وحرملة بن مريط فنزلا على ثغور البصرة بميسان ودعوا من يقيم هنالك من العرب ليكونوا مع المسلمين على قتال الفرس فأجابهم بنو العم وكانوا ينزلون قبل الإسلام بخوزستان فاتعد الأميران مع رئيسين من هؤلاء العرب على أن يثور أحدهما بمناذر والآخر بنهر تيرى فى يوم عيناه لهما فلما كان هذا اليوم أنشب جيشا البصرة والكوفة القتال مع الهرمزان وبينما هو يقاتل إذ جاءه الخبر بأخذ مناذر ونهر تيرى فانكسرت نفسه وانهزم جيشه فاتبعهم المسلمون إلى شاطىء دجيل ( شعب من دجلة بالأهواز ) وعبر الهرمزان جسر سوق الأهواز وطلب الصلح فصولح على مادون مناذر ونهر تيرى المأخوذين عنوة وأقيمت فيها حامية وكان فتح الأهواز فى السنة السابعة عشرة ورجع باقى المسلمين إلى البصرة ومعهم بنو العم الذين هدوا للإسلام فأرسل عتبة وفداً منهم إلى عمر وفيهم الأحنف بن قيس فلما وصلوا إليه طلب من كل منهم أن يرفع إليه حاجة فطلب كل واحد منهم خاصة نفسه إلا الأحنف بن قيس فإنه قال ( يا أمير المؤمنين لقد يعزب عنك ما يحق لنا إنهاؤه إليك مما فيه صلاح العامة وإنما ينظر الوالى فيما غاب عنه بأعين أهل الخبر ويسمع بآذانهم ) ثم ذكر حال البصرة وحال الكوفة وبين ما امتاز به الكوفيون عن إخوانهم البصريين وقال فى آخر كلامه ( وقد وسع الله علينا وزادنا فى أرضنا فوسع علينا أمير المؤمنين وزدنا طبقة تطوف علينا ونعيش بها ) فلما سمع قوله أحسن إليهم وأقطعهم مما كان لأهل كسرى ثم قال إن هذا الفتى سيد قومه وكتب إلى عتبة أمير البصرة أن يسمع منه ويرجع إلى رأيه .

## انتقاض الهرمزان

( ثم ) إن الهرمزان انتقض بعد الصلح لخلاف حصل بينه وبين حامية مناذر ونهر تيرى فى تحديد التخوم واستعان بالأكراد فكتب عتبة إلى عمر

يخبره بذلك فأجابه بأن يقصده وأمد المسلمين بحرقوص بن زهير السعدى وأمره على القتال وعلى ماغلب عليه فسار وسار معه جيش البصرة حتى أتى جسر سوق الأهواز وعبره وقاتل الهرمزان وهزمه وبعث فى أثره جز بن معاوية ففتح سوق الأهواز وأعجزه الهرمزان فمال إلى مدينة سوق (قاعدة كورة بالأهواز) وفتحها ودعا من هرب للرجوع ودفع الجزية فأجابوا وأقام هناك والياً فعمر البلاد وشق الأنهار وأحيا الموات (ثم) إن الهرمزان راسل حرقوصاً فى طلب الصلح فأجابه بعد استئذان عمر وأقام الهرمزان والمسلمون يمنعونه من الأكراد ونزل حرقوص جبل الأهواز فشق ذلك على المسلمين وأهل الذمة فكتب إليه عمر أن أنزل السهل وألا تشق على مسلم ولا معاهد وأن لاتدركك فترة ولا عجلة فتكدر دنياك وتذهب آخرتك وفى هذا الوقت ولى عمر البصرة المغيرة بن شعبة بعد وفاة أميرها عتبة بن غزوان رضى الله عنه ثم عزله وولى عليها أبو موسى الأشعرى وأعانه بتسعة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم أنس ابن مالك وعمران بن حصين وهشام بن عامر (وفى) عهد أبى موسى كان يزدجرد ملك الفرس يمرو يدعو الفرس للأخذ بناصره واسترداد ملكهم فتحركوا وكاتبوا أهل الأهواز الذين صالح عليهم الهرمزان فبلغ ذلك ولاة الأهواز فأرسلوا إلى عمر بالخبر فكتب إلى سعد أمير الكوفة أن يسير إلى الأهواز جنداً كثيفاً مع النعمان بن مقرن وأرسل إلى أبى موسى أمير البصرة أن يسير إليها جنداً كثيفاً مع معد بن عدى وأن يكون قائد الجيشين أبو سبرة بن أبى برهم فسار النعمان بن مقرن مع جيشه حتى وصل رامهرمز (بلد بخوزستان) والهرمزان بها عاص فقاتله النعمان حتى هزمه فلحق بتستر (من مدن الأهواز قريبة من السوس) فملك النعمان رامهرمز .

## فتح تستر

ولما وصل جيش البصرة إلى الأهواز نزلو سوقها وكانوا يريدون رامهرمز فبلغهم خبر الواقعة وأن الهرمزان لحق بتستر فقصدها وكذلك النعمان وولاة الأهواز ونزل الجميع عليها والفرس يخندقون حولها فأقام المسلمون على حصارها وممن أبلى فيه بلاء حسناً البراء بن مالك ومجزأة بن ثور وعدة من أهل البصرة والكوفة ولما اشتد الحصار على أهل تستر خرج منهم رجل فاستأمن المسلمين على أن يدلهم على مدخل يدخلون منه المدينة فأمنوه فدلهم على مدخل الماء فانتدب قائد الجيش من يسير مع الرجل فأجابه عدة من أهل البصرة والكوفة ودخلوا من هذا السرب والمسلمون ينتظرون تكبيرهم فلما وصلوا المدينة كبروا فكبر المسلمون وفتحت الأبواب ومن قاتل قتل وتحصن الهرمزان بقلعة المدينة فأطافوا به فطلب منهم النزول على حكم عمر فقبلوا ذلك منه وقتل في هـــذا الحصار البراء بن مالك ومجزأة بن ثور .

## فتح السوس

ثم سار الجيش حتى بلغ السوس ( قاعدة كورة بالأهواز ) وفتحها صلحا ثم سير الأمير سرية لفتح جند نيسابور فصالح أهلها وبعد تمام الفتح سير أبو سبرة إلى عمر وفداً فيهم الأحنف بن قيس وأنس بن مالك ومعهم الهرمزان .

## وفود الهرمزان

فلما قدموا المدينة ألبسوا الهرمزان كسوته من الديباج الذى فيه الذهب وتاجه وكان مكللا بالياقوت وحليته ليراه عمر والمسلمون ثم توجهوا إلى

عمر فى المسجد فوجدوه نائماً والدرة فى يده فقال الهرمزان أين عمر فقالوا ها هو قال فأين حرسه وحجابه قالوا ليس له حارس ولا حاجب قال فينبغى أن يكون نبياً قالوا بل يعمل بعمل الأنبياء فاستيقظ عمر وأخبر بالهرمزان فنظر إليه وقال ( الحمد لله الذى أذل بالإسلام هذا وأشباهه ) ثم أمر بنزع ما عليه وأن يلبس ثوباً صفيقاً ثم قال له عمر كيف رأيت عاقبة الغدر وعاقبة أمر الله فقال يا عمر إنا وإياكم فى الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم فلما كان الآن معكم غلبتمونا فقال له عمر ( إنما غلبتمونا فى الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا ) ثم قال عمر ما حجتك وما عذرك فى انتقاضك مرة بعد أخرى فقال أخاف أن تقتلنى قبل أن أخبرك فقال لا تخف ذلك واستسق ماء فأتى به فى قدح غليظ فقال لو مت عطشاً لم أستطع أن أشرب فى مثل هذا فاتى به فى إناء يرضاه فقال أخاف أن أقتل قبل أن أشرب فقال عمر لا بأس عليك حتى تشربه فأكفاه فقال عمر أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش فقال لا حاجة لى فى الماء وإنما أردت أن أستأمن به فقال له عمر إنى قاتلك قال قد أمنتنى فقال عمر كذبت فقال أنس بن مالك صدق يا أمير المؤمنين قد أمنته قال عمر يا أنس أنا أؤمن قاتل البراء بن مالك ومجزأة بن ثور والله لتأتين بمخرج أو لأعاقبنك قال قلت لا بأس عليك حتى تخبرنى ولا بأس عليك حتى تشربه وقال من حوله مثل ذلك فأقبل على الهرمزان وقال خدعتنى والله لا أنخدع إلا لمسلم فأسلم الهرمزان وصار من التابعين بإحسان ففرض له عمر العطاء على ألفين وكان يترجم بينهما المغيرة بن شعبة ثم قال عمر للوفد لعل المسلمين يؤذون أهل الذمة فلذلك ينتقضون قالوا ما نعلم إلا وفاء قال فكيف هـــذا ؟ فقال الأحنف بن قيس يا أمير المؤمنين إنك نهيتنا عن الانسياح فى البلاد وإن ملك فارس بين أظهرهم ولا يزالون يقاتلوننا مادام ملكهم فيهم ولم يجتمع ملكان متفقان حتى يخرج أحدهما الآخر وقد

رأيت أنا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلا بانبعاثهم وغدرهم وأن ملكهم هو الذى يبعثهم ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا بالانسياح فنسيح فى بلادهم ونزيل ملكهم فهناك ينقطع رجاؤهم فقال عمر صدقتنى والله وصمم على اتباع مشورته .

## وقعـــة نهاوند

أما ملك الفرس فإنه لمـا اجتمعت له الجموع بنهاوند ( من بلاد الجبل جنوبى همذان ) سار إليهم من مرو وقام بمساعدته الملوك بين الباب والسند وخراسان وحلوان ( هذه حدود المملكة الفارسية من الشمال والجنوب والشرق والغرب ) فكتب سعد إلى عمر بالخبر وفى هذا الوقت اشتكى سعداً جماعة من أهل الكوفة واتهموه بأنه لا يعدل فقال عمر والله لا يمنعنى ما نزل بالمسلمين عن النظر فى شكواهم واستقدم سعداً فخلف على عمله عبد الله بن عتبان وتوجه إلى المدينة وحقق عمر ما نسب إلى سعد بواسطة محمد بن مسلمة الذى كان يقتص آثار من شكا من العمال فوجده بريئاً ولكن عمر كان يحب ألا يكون بين الرئيس والمرءوس بغضاً لأن ذلك يؤدى إلى الفشل والخيبة فعزله وولى على الكوفة النعمان بن مقرن المزنى وكان قد اقتحم جند نيسابور والسوس فى جمع من أهل الكوفة فأرسل إليه عمر عهد الولاية وهذا نصه :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان ابن مقرن سلام عليك : فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو .

أما بعد فإنه قد بلغنى أن جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند فإذا أتاك كتابى هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله بمن معـــك من المسلمين ولا توطئهم وعراً فتؤذيهم ولا تمنعهم حقهم

فتكفرهم ولا تدخلهم غيضة فإن رجلا من المسلمين أحب إلى من مائة ألف دينار والسلام عليك (من تاريخ الطبرى) وأمره بالمسير إلى ماه لتجتمع عليه الجيوش هناك ثم يسير بهم إلى نهاوند وكتب إلى عبد الله ابن عبد الله خليفة سعد على الكوفة يأمره باستنفار الناس للتوجه إلى النعمان وأرسل إلى جند الأهواز يأمرهم بالمقام به ليكونوا حائلا بين أهل أقليم فارس وبين المجتمعين بنهاوند فلما اجتمعت الجيوش عند النعمان أرسل عمر بن ثنى وعمرو بن معد يكرب وطليحة بن خويلد يكتشفون الطريق بين ماه ونهاوند فأما عمر بن ثنى فرجع من ليلته فقيل له ما أرجعك فقال لم أكن بأرض العجم وقتلت أرض جاهلها وقتل أرض عالمها وأما عمرو ابن معد يكرب فرجع صبيحة اليوم الثانى فسئل عما رآه فقال سرنا يوماً وليلة فلم نر شيئاً وأما طليحة فلم يزل سائراً حتى رأى جيش الفرس وعرفه فرجع وأخبرهم أن ليس بينهم وبين نهاوند شىء يكرهونه فسار النعمان بالجيش وعلى مقـــدمته أخوه نعيم بن مقرن وعلى مجنبتيه أخوه سويد ابن مقرن وحذيفة بن اليمان وعلى المجردة القعقاع وعلى الساقة مجاشع ابن مسعود وجاءهم مدد من المدينة عليهم المغيرة بن شعبة فلما وصلوا نهاوند كبر النعمان فكبر الجند ثم حطوا الأثقال وضرب فسطاط النعمان أكابر الكوفة حذيفة بن اليمان وعقبة بن عامر والمغيرة بن شعبة وبشير بن الخصاصية وحنظلة الكاتب وجرير بن عبد الله والأشعث بن قيس وغيرهم فلم ير بناء فسطاط بالعرب كهؤلاء ثم أنشب المسلمون القتال فقاتلوا يوم الأربعاء ويوم الخميس وفى يوم الجمعة انحجز الفرس فى خنادقهم فخاف المسلمون أن يطول عليهم الانتظار فتشاوروا فيما يفعلون ثم أقروا على أن يأمروا القعقاع بإنشاب القتال فإذا قاتله الفرس أظهر الهزيمة أمامهم فإذا تبعوه وصاروا بين المسلمين قاتلوهم ويقضى الله ما يشاء فأمر النعمان القعقاع أن ينشب القتال ففعل فخرج الفرس من خنادقهم فأظهر القعقاع الهزيمة أمامهم

فتبعوه فرحين لأنهم لم يروا مثل ذلك من المسلمين قبل الآن ولم يزالوا حتى قاربوا الجيش فأمر النعمان جنده ألا يحاربوا حتى يأذن لهم وانتظر الساعة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب ألا يقاتل فيها إذا زالت الشمس فلما حانت حمل وكبر فتبعه المسلمون وقال إن قتلت الأمير بعدى حذيفة وقاتل المسلمون والفرس قتالا لم يروا مثله ولا يوم القادسية وفى أثناء القتال استشهد النعمان فسجاه أخوه نعيم وكتم موته عن الجند لئلا يهنوا وأخذ الراية حذيفة واستمر القتال إلى آخر النهار ولما أظلم الليل انهزم الفرس وعمى عليهم الطريق فتركوه وأخذوا نحو اللهب الذى كانوا يعبدونه فوقع فيه كثير منهم ولم يفلت إلا الشريد ونجا الفيرزان من بين الصرعى فذهب شمالا نحو همذان فتبعته فصيلة من الجيش وقتلوه بثنية همذان وفتحوا همذان صلحاً ولما بلغ الماهين هذا الخبر بادروا إلى طلب الصلح فأجيبوا وهذا نص كتاب عهدهم عن الطبرى .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هذا ما أعطى حذيفة بن اليمان أهل ماه بهراذان أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأرضهم لا يغيرون عن ملة ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ولهم المنعة ما أدوا الجزية فى كل سنة إلى من وليهم على كل حالم فى ماله ونفسه على قدر طاقته وما أرشدوا ابن السبيل وأصلحوا الطرق وقروا جنود المسلمين ممن مر بهم فأوى إليهم يوما وليلة ووفوا ونصحوا فان غشوا وبدلوا فذمتنا منهم بريئة ) شهد القعقاع ابن عمرو ونعيم بن مقرن وسويد بن مقرن وكتب فى المحرم سنة ١٩ ثم عادت السرية وجمع المسلمون من الغنائم والأسلاب شيئا كثيراً وكان الذى يحسب لهم ويكتب السائب بن الأقرع فأرسله حذيفة بالخمس والبشارة فلما قارب المدينة وجد عمر خارجا يتنسم الأخبار لأنه قدر الواقعة قبلها فبات يتململ فلما رأى السائب قال ما وراءك قال خيرا يا أمير المؤمنين فتح الله عليك

وأعظم الفتح واستشهد النعمان بن مقرن قال عمر (إنا لله وإنا إليه راجعون) ثم بكى فنشج حتى بانت فروع كتفيه فوق كتده : فلما رأى السائب ذلك قال يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده رجل يعرف وجهه فقال أولئك المستضعفون من المسلمين ولكن الذى أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وأنسابهم وما يصنع أولئك بمعرفة عمر . وكان سهم الفارس بنهاوند ستة آلاف وسمى المسلمون فتح نهاوند فتح الفتوح لأنه لم يقم للفرس بعده قائمة ومما يستحق الذكر أن المسلمين عثروا فى غنائم نهاوند على سفطين مملوءين جوهراً نفيساً من ذخائر كسرى فأرسلهما حذيفة أمير الجيش إلى عمر مع السائب فلما أوصلهما له قال ضعهما فى بيت المال والحق بجندك فركب راحلته ورجع فأرسل عمر وراءه رسولا يخب السير فى أثره حتى لحقه بالكوفة فأرجعه فلما رآه عمر قال مالى والسائب ما هو إلا أن نمت الليلة التى خرجت فيها فباتت الملائكة تسحبنى إلى السفطين يشتعلان ناراً يتوعدوننى الكى إن لم أقسمهما فخذهما عنى وبعهما فى أرزاق المسلمين فبيعا بسوق الكوفة فرضى الله عنك ياعمر لقد سرت بسيرة نبيك فعززت وأعززت بالإسلام والمسلمين اللهم ألهمنا الاتباع واكفنا شر الابتداع (ثم) رجع حذيفة بجيشه بعد وقعة نهاوند فائزاً منصوراً .

## فتح همذان

وبينما هو راجع بلغه أن أهل همذان انتقضوا بعد الصلح فابلغ الخبر عمر فأمره أن يسير إليها نعيم بن مقرن فرجع إليها من الطريق على تعبية واستولى على بلادها جميعاً وحاصرها هى فطلب أهلها الصلح فصولحوا على الجزية ثم توجه إلى واج رود حيث تجمع الديلم وأهل أذربيجان وأهل الرى فقاتلهم نعيم قتالا شديداً حتى هزمهم وأرسل إلى عمر بالخبر فأمره بقصد الرى (بلد قرب طهران فى جنوبها الشرقى) فسار حتى قدمها فخرج

إليه رئيس جندها أبو الفرخان طالباً الصلح ومخالفاً لملكها فاستمد الملك من جاوره فأمدوه والتقى معهم نعيم فى سفح جبل الرى قريباً من المدينة وقاتلهم قتالا شديداً ولما رأى أبو الفرخان أن الأمر سيطول طلب من نعيم أن يعطيه فصيلة من الجيش يدخل بها المدينة من حيث لا يشعر الفرس فسير معه جماعة دخل بهم المدينة كما قال . أما نعيم فبيت القوم فقاتلوه ولكنهم لما سمعوا التكبير من ورائهم انهزموا شر هزيمة وأفاء الله على المسلمين فى الرى نحواً مما حازوه فى المدائن وجعل نعيم أبا الفرخان والياً على المدينة وكتب إلى عمر بالفتح فأرسل إليه أن سير أخاك سويداً إلى قومس ( صقع بين خراسان وبلاد الجبل ) فسيره إليها فلم يقف فى وجهه أحد فأخذها سلماً وعسكر بها ثم كتب إليه أهلها فى الرجوع إلى بلادهم ودفع الجزية فأجابهم وكتب لهم كتابا هذا نصه :

( بسم الله الرحمن الرحيم ) هذا ما أعطى سويد بن مقرن أهل قومس ومن حشــوا من الأمان ، على أنفسهم ومللهم وأموالهم ، على أن يؤدوا الجزية عن كل حالم بقدر طاقته ، وعلى أن يدلوا ، وعليهم نزل من نزل بهم من المسلمين يوماً وليلة من أوسط طعامهم ، وإن بدلوا واستخفوا بعهدهم فالذمة منهم بريئة ، وكتب وشهد وسار إلى جرجان ( بلد شمالى بلاد فارس) وعسكر قريباً منها ، فراسله ملكها على الصلح ودفع الجزية فأجابه فخرج إليه الملك وتلقاه خارج المدينه ، ثم دخل معه وعسكر بها وجبى الخراج : وفيها راسله صاحب طبرستان ( إقليم فى الشمال) فى الصلح على أن يتوادعا ويجعل له شيئاً على نصر ولا معونة على أحد فأجابه وكتب له كتاباً هذا نصه :

( بسم الله الرحمن الرحيم ) هذا كتاب من سويد بن مقرن للفرخان اصبهبذ خراسان على طبرستان وجيلان من أرض العدو . إنك آمن بأمان الله عز وجل على أن تكف بصوتك وأهل حواشي أرضك ، ولا تؤوى

لنا بغية ، وتتق من ولى فرج أرضك بخمسمائة ألف درهم من دراهم أرضك فإذا فعلت ذلك فليس لأحد منا أن يغير عليك ، ولا يتطرق أرضك ، ولا يدخل عليك إلا بإذنك ، سبيلنا عليكم بالأذان آمنة وكذلك سبيلكم ، ولا تؤون لنا بغية ، ولا تسلون لنا إلى عدو ، ولا تغلون ، فإن فعلتم فلا عهد بيننا وبينكم شهد سواد بن قطبة التميمى وهند بن عمرو المرادى وسماك ابن مخرمة الأسدى بن عبيد الله العبسى وعتيبة بن النهاس البكرى .

ثم أرسل عمر بن الخطاب إلى عبد الله بن عبيد الله بن عتبان أمير البصرة قبل المغيرة يأمره أن يسير إلى أصبهان ، وأمر أبا موسى الأشعرى أن يكون مدداً له ، فسار عبد الله حتى وصل أصبهان ( فى العراق العجمى ) ، وعلى جندها الاسبيذان ، فاقتتل الفريقان قتالا شديداً إنتهى بهزيمة المشركين ، فطلبوا الصلح فصولحوا ؛ ثم سار عبد الله إلى مدينة جى وهى قاعدة أصبهان فحاصرها ثم صالحه الفاذوستان وهو أمير أصبهان عليها مشترطاً الجزية على من أقام وأقام على ماله ، وأن يجرى من أخذت أرضه عنوة مجراه ، ومن أبى وذهب كانت لكم أرضه .

## الانسياح فى بلاد العجم

ولما رأى عمر رضى الله عنه أن شوكة الفرس قد ضعفت فلم يعد يخاف على المسلمين من انسياحهم فى بلاد الفرس صمم على اتباع مشورة الأحنف ابن قيس فأرسل إلى أبى موسى الأشعرى الذى قدمنا أن عمر ولاه البصرة بعد المغيرة بن شعبة وأمره أن يسير منها غير بعيد ويقيم حتى يأتيه أمره ، ثم بعث إليه مع سهيل بن عدى بألوية الأمراء الذين يسيحون فى بلاد بلاد العجم : لواء للأحنف بن قيس ووجهه ( خراسان ) ولواء لمجاشع بن مسعود السلمى ووجهته ( أزدشير خره وسابور ) ولواء لعثمان بن أبى العاص

الثقفى ووجهته ( اصطخر ) ولواء لسارية بن زنيم الكنانى ووجهته ( فساودرابجرد ) ولواء لسهيل بن عدى ووجهته ( كرمان ) ولواء لعاصم ابن عمرو ووجهه ( سجستان ) ولواء للحكم بن عمير التغلبي ووجهته ( مكران ) وكان مبدأ الانسياح فى مبدأ السنة الثامنة عشر .

## فتح أذربيجان

فسار بكير بن عبد الله إلى أذربيجان ( ولاية فى الغرب من بحر الخزر وقاعدتها الآن تبريز ) وكتب إلى نعيم بن مقرن فاتح الرى أن يمده بسماك ابن خرشة فلما طلع بكير بجبال جرميدان قابله المنهزمون من واج روذ وعليهم اسفنديار أخو رستم قتيل القادسية فقاتلوا بكيرا ولكنهم انهزموا وأسر اسفنديار فقال لبكير السلم أحب إليك أم الحرب قال بل السلم فقال لا تقتلنى وأمسكنى معك فإن أذربيجان لا يصالحونك مالم أصالحك فأمسكه بكير وبعد قليل وصل إليه مدد نعيم فسار الجميع إلى أذربيجان فصالح أهلها على الجزية وكتب بكير إلى عمر بذلك فأمره أن يولى عتبة بن فرقد على أذربيجان ويتقدم هو مدداً لجيش الباب فكتب عتبة لأهل أذربيجان كتاباً هذا نصه :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان سهلها وجبلها وحواشيها وشعابها وأهل مللها كافة على الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم ليس على صبى ولا امرأة ولا زمن ليس فى يديه شىء من الدنيا ، ولا متعبد ولا متخل ليس فى يديه من الدنيا شىء ، لهم ذلك ولمن سكن معهم وعليهم قرى المسلم من جنود المسلمين يوماً وليلة ودلالته ومن حشر منهم فى سنة وضع عنه جزاء تلك السنة ومن أقام فله

مثل ما لمن أقام من ذلك ومن خرج فله الأمان حتى يلجأ إلى حرزه
وكتب جندب .

## فتح الباب

وسار سراقة بن عمر إلى الباب ( ثغر بالخزر وهو الفاصل بين الفرس وأرمينية والروس ) وعلى مقدمته عبد الرحمن بن أبي ربيعة وقد سبقه بكير إليها وانتظره فلما أطل عبد الرحمن بن أبي ربيعة أمير المقدمة على الباب والملك بها يومئذ شهريراز ، كاتب عبد الرحمن فى الصلح فأجابه إليه فجاءه وقال له إنى بإزاء عدو كلب وأمم مختلفة ليست لهم أحساب ولا ينبغى لذى الحسب والعقل أن يعينهم ولست من الفتح ولا الأرمن فى شىء وإنكم قد غلبتم على بلادى وأمتى فأنا فيكم ويدى فى أيديكم وجزيتى اليكم والنصر لكم والقيام بما تحبون فلا تسوموننا الجزية فتضعفوننا بعدوكم فأرسله عبدالرحمن إلى سراقة فكلمه بمثل ما كلم عبد الرحمن فقال له سراقة لابد من الجزية على من أقام ولم يحارب العدو فأجابه إلى ذلك وصدق عليه عمر فكتب لهم سراقة كتابا هذا نصه .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هذا ما أعطى سراقة بن عمرو وعامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهريراز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وملتهم أن لا يضاروا ولا ينقصوا وعلى أهل أرمينية والأبواب الطراء منهم والتناء ومن حولهم فدخل معهم أن ينفروا لكل غارة وينفذوا لكل أمر ناب أو لم ينب رآه الوالى صلاحا على أن يوضع الجزاء عمن أجاب إلى ذلك إلا الحشر والحشر عوض من جزائهم ومن استغنى عنه منه وقعد فعليه مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء والدلالة والنزل يوما كاملا فإن حشروا وضع ذلك عنهم وإن تركوا أخذوا به ولما فرغ سراقة من الباب سير السرايا إلى الجبال المحيطة

بأرمينية فوجه بكير بن عبد الله إلى موقان (كورة بأرمينية) وحبيب ابن مسلمة إلى تفليس (بلد فى القوقاز من أملاك الروس الآن) وحذيفة ابن أسيد إلى جبال اللان (أمة وبلاد فى طرف أرمينية وسلمان بن ربيعة إلى الوجه الآخر فافتتح بكير موقان وصالح أهلها وكتب لهم هذا الكتاب

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هذا ما أعطى بكير بن عبد الله أهل موقان من جبال الفتح الأمان على أموالهم وأنفسهم وملتهم وشرائعهم على الجزاء دينار عن كل حالم أو قيمته والنصح ودلالة المسلم ونزله يومه وليلته فلهم الأمان ما أوفوا ونصحوا وعلينا الوفاء والله المستعان فان تركوا ذلك واستبان منهم غش فلا أمان لهم إلا أن يسلموا الغششة برمتهم وإلا فهم متمالؤن كتب (سنة ٢١) وكتب سراقة إلى عمر بذلك ثم توفى سراقة رضى الله عنه واستخلف على جيشه عبد الرحمن بن أبى ربيعة فاقره عمر وأمره أن يغذو الترك فخرج حتى قطع الباب فسأله شهريراز عن وجهته فقال أريد بلنجرد (بلد بالخزر خلف باب الأبواب) والترك فقال إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب فقال عبد الرحمن لكنا لا نرضى حتى نغزوهم بلادهم وبالله إن معنا أقوا مالو يأذن لهم أميرنا فى الامعان لبلغت بهم الردم فقال شهريراز ومن هم قال أقوام صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا فى هذا الأمر بنية ولا يزال هذا الأمر فيهم حتى يغيرهم من يغلبهم وحتى يلفتوا عن حالهم فسار حتى بلغ بلنجرد فلما رآه أهلها قالوا ما اجترأ علينا إلا ومعه الملائكة ولم يقفوا فى وجهه ولم يزل حتى أبلغ خيله البيضاء على مائتى فرسخ من بلنجرد ورجع ولم يصب أحد من جيشه وأقام هناك والياً على جيش الباب .

## فتح خراسان

وسار الأحنف بن قيس إلى خراسان ليلاقى يزدجرد ملك الفرس

الذى أقام بمرور يثير الفرس على المسلمين فلما بلغ هراة ( بلد من إقليم خراسان وهى الآن من بلاد الأفغان ) افتتحها ثم سار نحو مرو الشاهجان فخرج منها يزدجرد ولحق بمرو الروذ ( كلاهما بين هراة وبلخ ) وكتب إلى خاقان الترك وإلى ملك الصغد وملك الصين يستمدهما فملك الأحنف مرو الشاهجان واستخلف عليها ثم سار نحو مرو الروذ وخرج منها يزدجرد ولحق ببلخ ( بلد قريب من نهر جيحون وهى الآن تحت حماية الروس ) فملك الأحنف مرو الروذ وهنا أتته أمداد أهل الكوفة فسيرهم أمامه إلى بلخ فساروا حتى التقوا بيزدجرد هناك وقاتلوه فهزموه حتى عبر النهر ولم يدرك الأحنف ومن معه الموقعة حيث أتى بعد الهزيمة فرجع إلى مرو وأقام بها وأرسل إلى عمر بالفتح والأخماس وأخبره بعبور يزدجرد النهر فنهاه عمر عن العبور خلفه . أما يزدجرد فجاءته بعد عبوره أمداد الترك وعليهم خاقان وأمداد أهل فرغانة والصغد فعدى بهم النهر راجعاً وترك الترك أمام الأحنف وجيشه بمرو الروذ وقصد يزدجرد مرو الشاهجان فحصر حاميتها واستخرج منها خزائنه وأراد أن يرحل بها إلى فرغانة أو الصين فيقيم باحداهما فلم يمكنه من ذلك أهل خراسان قائلين ارجع بنا إلى هؤلاء القوم فصالحهم فإنهم أوفياء وأهل دين وإن عدوا يلينا فى بلادنا أحب إلينا من عدو يلينا فى بلاده ولا دين لهم ولا ندرى ما وفاؤهم فلم يقبل فأخذوا منه الخزائن قهرا فلحق بخاقان ملك الترك الذى لم يتمكن من الوقوف أمام المسلمين وجاء الخراسانيون إلى الأحنف فصالحوه ودفعوا إليه خزائن كسرى وتراجعوا إلى بلدانهم وأموالهم على أفضل ما كانوا عليه زمن الأكاسرة واغتبطوا بملك المسلمين حيث أن الرجل منهم لم يكن مكلفا إلا بدفع شىء قليل جزاء حمايته وبعد ذلك ماله وعرضه ودمه كمال المسلم وعرضه ودمه محرم كحرمة اليوم الحرام فى الشهر الحرام فى البلد الحرام وناهيك بمن اعتبره المسلمون فى ذمة الله فكيف تخفر وليس عليه بعد ذلك إلى النصيحة للمسلمين وعدم

الموالاة عليهم فإن فعل شيئاً من ذلك فقد غدر وليست له ذمة فدمه حلال وماله حلال وهذا شيء يسير على الإنسان ما دامت له الحرية فى دينه وعمله وهذا ما قرره دين الإسلام .

وأصاب الفارس يوم يزدجرد كسهمه يوم القادسية ثم سار الأحنف إلى بلخ وأنزلها أهل الكوفة لأنها من فتوحهم وكتب بكل ذلك إلى عمر وأقام هو والى خراسان وتتمة حديث يزدجرد ستأتى فى خلافة عثمان ابن عفان رضى الله عنه .

وسار عثمان بن أبى العاص الثقفى إلى اصطخر فالتقى هو وأهلها بجور ( هى مدينة فيروز أباد قريبة من أصبهان ينسب إليها الورد الجورى ) فهزمهم ثم رجع من فروا منهم طالبين البقاء فى بلادهم مع دفع الجزية فأجابهم ثم فتح كازرون والنوبندجان ( قاعدة كورة بفارس اسمها سابور ) واشترك هو وأبو موسى الأشعرى فى فتح شيراز ( قصبة بلاد فارس ) وأرجان وسينيز وقصد عثمان جنابة ( بلد بفارس تحازى جزيرة خارك بالبحر الفارسى وتقرأ الآن كرك وهو غلط مصدره الترجمة ) ففتحها ولاقى جمعا من الفرس بناحية شهرك فهزمهم ثم أقام والياً باصطخر .

## فتح فسا ودرابجرد

وسار سارية بن زنيم الكلابى إلى مدينة فسا ودرابجرد والتقى مع أهلها بصحراء فاقتتلوا ثم إن الفرس استمدوا من بقربهم من أكراد فارس فأمدوهم فدهى المسلمين أمر عظيم وكان عمر رضى الله عنه قدر أى ليلة الواقعة فيما يرى النائم ما عليه المسلمون فلما أصبح نادى بالصلاة جامعة حتى إذا كانت الساعة التى رأى فيها ما رأى خرج إلى المسلمين وكان سارية ومن معه بصحراء إن أقاموا فيها هلكوا وإن استندوا إلى جبل خلفهم لم يؤتوا

إلا من وجه واحد فقام عمر فقال يا أيها الناس إنى رأيت هذين الجمعين وأخبر بحالهما ثم صاح وهو يخطب ياسارية بن زنيم الجبل الجبل ثم أقبل على المسلمين وقال إن لله جنوداً ولعل بعضها أن تبلغهم فبحول الله وقوته سمع سارية هذا الصوت فانحاز بمن معه إلى الجبل وقاتل العدو حتى هزموهم فأرسل إلى عمر بالفتح والخمس ومعه سفط فيه جوهر فلما رآه عمر لم يقبله ورده ليباع ويقسم على الفاتحين وسأل من فى المدينة رسول سارية هل سمعتم شيئاً يوم الواقعة قال نعم سمعنا ياسارية الجبل الجبل فلجأنا إليه وقد كدنا نهلك وأقام سارية والياً على درابجرد .

## فتح كرمان

وسار سهيل بن عدى إلى كرمان ، ولاية تلى إقليم فارس من الشرق وقصبتها كرمان وأمده عمر بعبد الله بن عبد الله بن عتبان فلما وصلاها وجدا بها جمعاً عظيما من الفرس فقاتلاهم حتى فض الله جمعهم وقتل مرزبان كرمان فدخلها المسلمون ظافرين ووجدوا فيها كثيراً من البعير والشاء .

## فتح سجستان

وسار عاصم بن عمرو إلى سجستان ، ولاية شرقى كرمان أغلبها الآن فى أيدى الأفغان وقصبتها زرنج ، فاستقبله أهلها بحرب انتهت بهزيمتهم فتبعهم المسلمون حتى حصروهم بزرنج فطلبوا الصلح على زرنج وما احتازوه من الأرضين واشترطوا أن فدافدها حمى فأجيبوا وكان المسلمون يتجنبون هذه الفدافد خشية أن يصيبوا منها شيئاً فيكونوا قد خفروا الذمة وهو أمر نهوا عنه .

## فتح مكران

وسار الحكم بن عمير التغلبي إلى مكران ولحقه سهيل بن عدى فاتح كرمان

وعبد الله بن عبد الله بن عتبان الذى كان مدداً لسهيل فساروا حتى انتهوا إلى دوين النهر (على الحدود بين الفرس والسند) والمشركون من مكران على شاطئه وأمدهم ملك السند بجيش كثيف فقاتلهم المسلمون حتى هزموهم وأوصلوهم النهر ثم رجع المسلمون إلى مكران وكتب الحكم بالفتح والخمس إلى عمر مع صحار العبدى فسأله عمر عن مكران فقال يا أمير المؤمنين هى أرض سهلها جبل وماؤها وشل وثمرها وقل وعدوها بطل وخيرها قليل وشرها طويل والكثير فيها قليل والقليل فيها ضائع وماوراءها شر منها فقال عمر أسجاع أنت أم مخبر ولا والله لايغزوها جيش لى أبداً وكتب إلى الحكم يأمره بالوقوف عندما فتح وألا يجوز مكران .

هذا مافعلة المسلمون من الأفعال العظيمة مدة عمر فى البلاد الفارسية ذات الشوكة والعظمة ابتدأوا سنة اثنتى عشرة من الهجرة فى فتح أول بلد من بلادهم وهى الأبلة واستمروا على الفتوحات إلى أن مات عمر رضى الله عنه ، تمموا فتح بلاد تبتدىء من حدود بلاد العرب غرباً وتنتهى إلى ماوراء النهر وبلاد السند شرقاً والخليج الفارسى جنوباً وبحر الخزر وارمينية والروس شمالا . اجتمعوا مع الفرس فى كثير من الوقائع أشهرها وقعة الأبلة لخالد بن الوليد ووقعة القادسية لسعد بن أبى وقاص ونهاوند للنعمان ابن مقرن ووقعة يزدجرد للأحنف بن قيس وكثير غيرها ، لم تنكس لهم راية ولم يفل لهم جيش لم ير المسلمون فى وقعة من الوقائع مساوين أقرانهم من الفرس فى العدة والعدد بل كان الفرس فى كل وقعة أضعافهم . لم يكن العرب أعلم من الفرس بتعبية الجيوش ولا باحكام معدات الدفاع . لم يكن المسلمون أكثر من الفرس مالا حتى يمكنهم أن يستميلوا به أعداءهم ليكونوا معهم بل حالهم من الشظف وضيق العيش لاتخفى ، لم يكن المسلمون أعلم من الفرس بطرق الدسائس والخديعة حتى يستعملوها فى حروبهم فلم إذاً هذه

الانتصارات الباهرة والفتوحات العظيمة ؟ اللهم ما ذلك إلا بالتأييد الإلهى اكتسبوه باتحاد وائتلاف قلوبهم حتى صاروا أجساماً متعددة لهم قلب واحد ورأى واحد وهو تعميم الدين الإسلامى بين الأمم الحائدة عن الصراط السوى والمنهج القويم . انظر رعاك الله إلى ما كان به رسل سعد ملوك فارس وقواده تره جواباً واحداً وهو أن الله أرسلنا لنخرج العباد من ظلمات الجهالة وجور الملوك إلى نور الإيمان وعدل الإسلام كلهم فى ذلك سواء حتى الأعرابى الجافى الذى كان قبل الإسلام لاهم له إلا النهب والغارة . لم تكن خلفاؤهم بالجبناء الذين يخشون تهديداً أو يخافون وعيداً ولم تكن قوادهم بالدخلاء الذين يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم ولم تكن الأمة بالمختلفة الأهواء المتشعبة المذاهب تشتغل بسفسف الأمور وتترك عظيمها أو تترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لخوف أو جبن ولم تكن علماؤهم يشتغلون بالزهو والكبرياء والعجب والتفانى فى حب الدنيا وتقليد المناصب والمفاخرة بذلك حتى تدب بينهم العداوة والبغضاء ولم يكن الدين قد بليت جدته بل كانت مظاهره تتجلى على أقوالهم وأعمالهم لايخشون فى الله لومة لائم فلا عجب أن انتصروا وفتحوا وملكوا فى زمن يسير مالايتصور أن تعمله أمة عظيمة عندها بسطة فى القوة والمال والعلم . اللهم ألهم المسلمين وولاة أمورهم مافيه السداد فإن الطريق واضح والحق بين فإذا انتبهت البصائر ، رشدت إلى مافيه خيرى الدنيا والآخرة وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

## فتح بلاد الشام

تركنا المسلمين فائزين منصورين باليرموك بعد موقعتها الهائلة وأمير الجند أمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح العامرى القرشى بعد سيف الله خالد بن الوليد المخزومى القرشى وحينئذ بلغ الأمير أن فل الروم لحقوا

بفحل وأن مدداً عظيما من قبل ملك الروم أتى دمشق فكتب إلى أمير المؤمنين يستشيره بأى البلدين يبدأ فكتب إليه أن سير إلى فحل فرقة تشغل من بها وسر أنت إلى دمشق فإنها حصن الشام وبيت ملكه . فسير أبو عبيدة فرقة من جيشه إلى فحل لمحاصرتها وسير أخرى لتكون بين حمص ودمشق لتمنع الأمداد عنها وأخرى لتكون بين دمشق وفلسطين وتوجه هو وعلى مقدمته خالد بن الوليد إلى دمشق واستخلف على فلسطين والأردن عمرو ابن العاص .

## فتح دمشق

فلما وصل إلى دمشق تحصن أهلها فحصرهم المسلمون أبو عبيدة من جهة وخالد بن الوليد من أخرى ودام الحصار سبعين ليلة وبينما خالد على حصاره ليلة سمع جلبة فأرسل من يستعلم الخبر لأنه كان يتجسس أحوال عدوه فلا يخفى عليه منها شيء لينتهز الفرصة فعلم أن ولد ابطريق المدينة ولد فصنع وليمة سكر فيها الجند سكراً شديداً فاتخذ خالد حبالا على هيئة السلالم وأوقاها ثم نهض هو ومن معه من أرباب النجدة وهو أمامهم ومعه القعقاع ( قبل أن يتوجه للعراق ) وأمثاله وقال خالد لمن معه إذ سمعتم تكبيرنا على السور فاقصدوا الأبواب ولما وصل خالد ومن معه إلى السور رموا الحبال فعلق منها حبلان فصعدوا عليهما وتبعهم كثير ولما صاروا فوق السور قصدوا الباب ففتحوه وكبروا فدخل الجيش مكبراً حتى أزعج تكبيره أهل المدينة فصحوا من سكرتهم مذعورين لايقدرون على شيء فذهب وفد منهم إلى أبى عبيدة يطلبون الأمان فأمنهم ودخل معهم المدينة ليؤمن الناس فالتقى بخالد وسط البلد هذا سلما وذاك حربا ، فأخبره أبو عبيده بالصلح فكف وأجروا مافتح عنوة مجرى الصلح فصارت كلها صلحاً وبعث أبو عبيدة إلى عمر بالفتح ثم استخلف على المدينة يزيد بن أبى سفيان ففتح سواحلها :

( صيدا وعرقه وجبيل و بيروت ) وسير أخاه معاوية لفتح قيسارية ففتحها أما أبو عبيدة فسار إلى فحل وعلى مقدمته خالد وعلى المجنبتين وعمرو ابن العاص وأبو عبيدة وعلى الخيل ضرار بن الأزور الأسدى وعلى الرجال عياض بن غنم وعلى الناس شرحبيل بن حسنة فنزل شرحبيل بالناس فحلا وحاصرها . وفى ليلة خرج الروم يريدون بيات المسلمين وكان شرحبيل حذراً لايبيت ولايصبح إلا على تعبية لكثرة ما كان عمر بن الخطاب يحذرهم البيات فقاتلهم قتالا شديداً تلك الليلة كلها ويومها كله فلما أمسى المساء خمدت همة الروم فانهزموا وحيل بينهم وبين المدينة بمياه كانوا فجروها ووحلوا بها الأرض لتكون خندقاً حول المدينة فأخذهم المسلمون من كل جهة واستولوا على المدينة فأرسل الأمير إلى عمر بالفتح والخمس ثم فصل من جيشه فرقتين أمر على إحداهما شرحبيل بن حسنة ووجهه إلى بيسان ووجه الأخرى إلى طبرية ( قصبة الأردن ) ففتح كل منهما مدينته على مثل صلح دمشق . أما أبو عبيدة فسار ومعه خالد إلى حمص فلما وصل مرج الروم التق بجيشين بعثهما هرقل لقتال المسلمين أحدهما برياسة بطريق اسمه توذر والثانى برئاسة شنش الرومى فوقف خالد أمام الأول وأبو عبيدة أمام الثانى فلما أصبح خالد لم يجد لتوذر ولا لجيشه أثراً لأنه ترك خالداً وتوجه إلى دمشق ليفتحها ظاناً أن ليس بها حامية فعلم خالد قصده فتبعه وعلم به يزيد بن أبى سفيان أمير دمشق فاستعد للقائه فانحصر توذر بين الجيشين فأخذ هو وجنده ولم يفلت منهم إلا القليل أما أبو عبيده فانه لاقى شنش وهزمه فرجع خالد وقد قضى الأمر .

## فتح حمص

فسار مع أبى عبيدة إلى حمص ولما بلغ ذلك ملك الروم وأرسل إلى بطريق حمص يأمره بالمسير إليها وسار هو إلى الرها أما المسلمون فروا

بعلبك ففتحوها ولما وصلوا حمص حاصروها فتحصن أهلها منتظرين مدد هرقل ولكن لما طال عليهم الأمر راسلوا أبا عبيدة فى صلح مثل صلح دمشق فأجيبوا واستخلف عليها عبادة بن الصامت وسار هو قاصداً حماه فتلقاه أهلها مذعنين فصالحهم على الجزية والخراج ثم سار نحو شيزر ( بلد قريب من حماه ) ففتحها صلحاً وقصد بعدها المعرة ( بين حماه وحلب ) ففتحها كذلك ثم اللاذقية ( من أعمال حلب ) فملكها عنوة وهرب سكانها ثم طلبوا الأمان على أن يرجعوا إلى بلادهم ويقيموا فيها فقوطعوا على خراج يؤدونه وبنى فيها المسلمون مسجداً جامعاً ثم أرسل أبو عبيدة خالداً لفتح قنسرين ( كورة بالشام ) فلما بلغ الحاضر قابله جمع عظيم من الروم عليهم قائد اسمه ميناس فقاتلهم خالد حتى هزمهم وقصد قنسرين فتحصن أهلها منه فقال لهم لو كنتم فى السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا فنظروا فى أمرهم وما لقيه أهل البلدان الأخرى من المسلمين فرأوا أن لاقبل لهم بالحرب ولا الحصار فطلبوا الصلح على مثل صلح دمشق فلم يرض إلا على تخريب المدينة فخربت حصونها ثم أدرب خالد وراء هرقل من الشام وأدرب وراءه عياض بن غنم من الروم فـــترك ملك الروم الشام وودعها الوداع الأخير وسار إلى القسطنطينية ، ولما بلغ عمر فعل خالد قال أمر خالد نفسه يرحم الله أبا بكر كان أعلم بالرجال منى ( ثم ) سار أبو عبيدة إلى حلب فتحصن أهلها ثم طلبوا صلحاً بأمان على أنفسهم وأولادهم وأموالهم وكنائسهم وحصنهم فأجيبوا واستثنى عليهم موضع المسجد ثم سار إلى أنطاكية فصالحه أهلها على الجلاء لمن أرادوا الجزية على من أقام وكانت أنطاكية أعظم ثغور الروم فأرسل عمر إلى أبى عبيدة أن يرتب لها جماعة من المسلمين يرابطون بها ثم سار إلى معرة مصرين ففتحها صلحاً وبث السرايا لما جاورها من القرى والبلدان ففتحت لهم ثم سار أبو عبيدة إلى قورس (كورة بنواحى حلب وهى الآن خراب ) ففتحها

وفتح تل عزاز ثم سار إلى منبج من بلاد الروم على الفرات فصالح أهلها على مثل صلح حمص واشترط عليهم أن يخبروا المسلمين بأخبار الروم وولى أبو عبيدة على كل كورة فتحها عاملا وشحن الثغور المخوفة بالمرابطين وسار إلى بالس ( بلد بشط الفرات ) وبعث سرية مع حبيب بن مسلمة إلى قاصرين فصالح أهلها وتم للمسلمين فتح الشام من هذه الناحية إلى الفرات ؛ ثم عاد أبو عبيدة إلى فلسطين وسير جيشاً مع ميسرة بن مسروق العبسى وأمده بمالك بن الحارث الملقب بالأشتر فسلكوا درب بغراس ( بلد بلحف جبل اللكام وهو جبل يسامت حماه و شيزر وأفامية ويمتد شمالا إلى صهيون والشغر وبكاس وينتهى عند انطاكية ) إلى بلاد الروم فلقوا هناك جمعاً للروم معهم عرب من غسان وتنوخ وإياد يريدون اللحاق بهرقل فأوقعوا بهم وسير أبو عبيدة جيشاً آخر إلى مرعش ( قرب انطاكية ) ورئيسه خالد بن الوليد ففتحها على إجلاء أهلها بالأمان وأخربها .

أما عمرو بن العاص الذى كان على الأردن فإنه سار إلى أجنادين وقد تجمع بها جيش عظيم من الروم عليهم داهية منهم اسمه أرطبون فحاصره عمرو حصارا شديداً ثم لم يزل يتجسس حتى عرف مأخذه فحاربه وهزمه فانتهى فى هزيمته إلى إيلياء ( بيت المقدس ) فسار وراءه عمرو وحصره ثم طلب أهله الصلح على أن يكون المتولى للعقد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب عمرو إليه بذلك فعزم عمر على السفر إلى الشام ليتسلم بيده مفاتيح المسجد الأقصى فسار من المدينة بعد أن ولى عليها على بن أبى طالب وكتب إلى عماله أن يوافوه بالجابية وهى بلد بدمشق فوافوه بها وكان أول من لقيه يزيد بن أبى سفيان ثم أبو عبيدة ثم خالد بن الوليد على الخيول عليهم الديباج والحرير فنزل وأخذ الحجارة ورماهم بها وقال ما أسرع ما رجعتم عن رأيكم إياى تستقبلون فى هذا الزى وإنما شبعتم منذ سنتين والله لو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم فقالوا يا أمير المؤمنين أنها يلامعة ( هى

ما برق من السلاح ) وإن علينا السلاح قال فنعم إذاً وجاءه وهو بالجابية أهل إيلياء مستأمنين فصالحهم على الجزية وكتب لهم أماناً هذه صورته .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها أن لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن إيلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهـــل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت ، فمن خرج منها فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعدو عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية ( اهـ من الطبرى )

ولما دخل عمر المدينة دخل كنيسة القيامة وجلس فى صحنها وحان وقت الصلاة فقال للبطريرك أريد الصلاة فقال له صل موضعك فامتنع وصلى على الدرجة التى على باب الكنيسة منفردا فلما قضى صلاته قال للبطريرك لو صليت داخل الكنيسة أخذها المسلمون بعدى وقالوا هنا صلى عمر وكتب لهم ألا يجمع على الدرجة للصلاة ولا يؤذن عليها ثم قال أرنى موضعاً أبنى فيه مسجداً فقال على الصخرة التى كلم الله عليها يعقوب ووجد عليها ردما كثيراً فشرع فى إزالته وتناوله بيده يرفعه فى ثوبه واقتدى به المسمون كافة فزال لحينه وأمر ببناء المسجد ( ذكر ذلك ابن خلدون فى الجزء الثانى

من تاريخه ثم ولى رضى الله عنه الولاة على الشام بعد أن قسمها أقساما وجعل فلسطين ولايتين إحداهما قصبتها الرملة والأخرى قصبتها إيلياء ثم رجع رضى الله عنه إلى المدينة فائزاً منصوراً وهذه أول مرة سافر إلى الشام .

وفى السنة الثامنة عشر حصل فى الشام طاعون أتى على كثير من جند المسلمين وهو طاعون عمواس وبلغ عمر خبره وهو متوجه إلى الشام المرة الثانية فوافاه الأمراء بسرغ ( موضع قرب الشام بين المغيثة وتبوك ) وفيهم أبو عبيدة فأخبروه بالوباء وشدته وكان مع عمر المهاجرون والأنصار فجمعهم مستشيرا أيمضى لوجهه أم يرجع فاختلفوا عليه فمن قائل خرجت لوجه الله فلا يصدنك عنه هذا ومن قائل إنه بلاء وفناء فلا نرى أن تقدم عليه ثم أحضر مهاجرة الفتح من قريش فلم يختلفوا عليه بل أشاروا بالعودة فنادى عمر فى الناس إنى مصبح على ظهر فقال أبو عبيدة أفرارا من قدر الله فقال نعم من قدر الله إلى قدر الله لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان إحداهما مخصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله فسمع بهم عبد الرحمن ابن عوف فجاءهم وقال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه وإذا وقع ببلد وأنتم فيه فلا تخرجوا فرارا منه ) فانصرف عمر بالناس إلى المدينة ومات بهذا الوباء أبو عبيدة فخلفه عمرو بن العاص فخرج بالجيش إلى موضع مرتفع من الجبال فخف عنهم الوباء فاستحسن عمر فعله ومات يزيد بن أبى سفيان أمير دمشق فاستخلف عليها أخاه معاوية واستعمل شرحبيل بن حسنة على جند الأردن وخراجها وأصاب الناس من الموت ما لم يروا مثله ثم رفعه الله عنهم بعد إقامته شهوراً فكتب الأمراء إلى عمر بما فى أيديهم من المواريث فجمع الناس واستشارهم وقال قد بدا لى أن أطوف على المسلمين فى بلدانهم لأنظر فى آثارهم فأشيروا على وإن مواريث أهل الشام قد ضاعت فأبدأ بالشام فأقسم المواريث وأقيم لهم ما فى نفسى ثم أرجع

فأتقلب فى البلاد وأبدى إليهم فسار عن المدينة واستخلف عليها على بن أبى طالب وجعل طريقه على أيلة فلما دنا منها وركب بعيره وعلى رحله فرو مقلوب وأعطى غلامه مركبة فلما تلقاه الناس قالوا أين أمير المؤمنين قال أمامكم يعنى نفسه فسار وانتهى هو إلى إيلة فقيل للمتلقين قد دخل أمير المؤمنين أيلة ونزلها فرجعوا ولما قدم رضى الله عنه إلى الشام قسم المواريث فورث بعض الورثة من بعض وأخرجها إلى الأحياء من ورثة كل منهم ورتب الشواتى والصوائف ( الشواتى جمع الشاتية وهى السرية التى تغزو فى الشتاء والصوائف جمع صائفة وهى التى تغزو فى الصيف ) وسد فروج الشام ومسالحها واستعمل عبد الله بن قيس على السواحل من كل كورة واستعمل معاوية على دمشق وعزل شرحبيل عن الأردن وقال للناس إنى لم أعزله عن ريبة ولكن أريد رجلا أقوى من رجل واستعمل عمرو بن عتبة لى الأهراء ( جمع هرى وهو بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان ) ثم قيل لعمر لو أمرت بلالا فأذن فأمره بذلك فما بقى أحد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم إلا بكى حتى بل لحيته وعمر أشد الناس بكاء وبكى من لم يدركه لبكائهم كل ذلك لذكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع عمر إلى المدينة فى ذى القعدة .

## فتح مصر

ولما كان بالشام استأذنه عمرو بن العاص فى فتح مصر وذكر له خيرها وأنها قوة عظيمة لمملكة الروم وكانت اذ ذاك تابعة لهم عليها وال من قبلهم يقيم بالاسكندرية فسيره عمر بجيش كثيف ثم أتبعه بالزبير بن العوام فاقتحموا باب أليون وساروا فى قرى الريف إلى مصر وهناك قابلهم الجاثليق أبو مريم ومعه الأسقف بعثه المقوقس عظيم مصر لحماية البلاد فلما نزل بهم عمرو بدأه بالقتال فقال عمر لا تعجلوا حتى نعذر إليكم وليبرز إلى

الجلثليق والأسقف فخرجا إليه فدعاهما إلى الإسلام أو الجزية وأخبرهما بوصية النبى صلى الله عليه وسلم بأهل مصر بسبب هاجر أم إسماعيل . روى مسلم فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إنكم ستفتحون مصر وهى أرض فيها يسمى القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحما أو ذمة وصهرا » فقال قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء آمنا حتى نرجع إليك فقال مثلى لا يخدع ولكنى أؤلكما ثلاثاً لتنظرا فقالا زدنا فزادهما يوما فرجعا إلى المقوقس عظيم القبط وارطبون الوالى من قبل الروم فأخبرهما خبر المسلمين فأما أرطبون فأبى وعزم على الحرب وبيت المسلمين فهزموه هو وجنده إلى الاسكندرية ونزل المسلمون عين شمس (وهى المطرية وكانت على فرع من فروع النيل ) فحاصروها وبعث عمر لحصار الفرماء أبرهة بن الصباح ولحصار الاسكندرية عوف بن مالك وراسله أهل البلاد وانتظروا ما يفعله المسلمون بعين شمس وبعد مدة من حصارها رضى أهلها بالصلح على إعطاء الجزية وأجروا ما أخذ قبل ذلك عنوة مجرى الصلح وشرطوا رد السبايا فأرسل ابن العاص إلى أمير المؤمنين بذلك فأجاب وكتب لهم عمر بذلك كتاباً هذا نصه :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وأموالهم وملتهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم لا يدخل عليهم شىء من ذلك ولا ينتقص ولا يساكنهم النوب وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إن اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف درهم وعليهم ما جنى لصوتهم فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم وذمتنا ممن أبى بريئة وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك ومن دخل فى صلحهم من الروم والنوب فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا عليهم ما عليهم أثلاثاً فى كل ثلث جباية ثلث

ما عليهم على ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين وعلى النوبة الذين استجابو أن يعينوا بكذا وكذا رأسا وكذا فرسا على أن يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه وكتب وردان وحضر ( عن الطبرى ) فدخل ذلك الصلح أهل مصر كلهم . أما المبلغ الذى قرر عليهم فبلغ ألف ومائتين وخمسين ألفاً من دنانير اليوم باعتبار الدرهم قرشين ونصفاً فلا ينال الشخص الواحد منهم إلا عشر الدينار أو ما يزيد عن ذلك قليلا لأن تعداد مصر إذ ذاك كان على أقل ما ورد فى كتب التاريخ عشرة آلاف ألف ثم نزل المسلمون على الفسطاط الذى ضربه عمرو واختطا حوله خيامهم فى الموضع الذى كانوا يحاصرون مصر منه وهجروا المدينة التى يسكنها المقوقس وأسس عمرو بمدينته مسجده المشهور ولما انتهى أمر الصلح سار عمرو إلى الاسكندرية فاجتمع له من بينها وبين الفسطاط من الروم والقبط فهزمهم وأثخن فيهم ونازل الإسكندرية وطلب من أهلها النزول على صلح أهل مصر فلم يفعلوا ففتحها عنوة وغنم ما فيها وجعلهم ذمة وكان الروم قد أخذوا فى وقت الحرب شيئا كثيراً من الأقباط أهل الأرياف فأتوا إلى عمرو وقالوا لم نكن محاربين بل أخذت أموالنا قهراً عنا فرد عليهم ماعرفوه أنه لهم بعد إقامة البينة على ذلك ولما تم فتح مصر والاسكندرية وارتحل الروم إلى القسطنطينية أقام المقوقس والقبط على الصلح الذى عقده لهم عمرو وأبقى المقوقس على رياسة قومه وكان المسلمون يشاورونه فيما ينزل بهم من المهمات إلى أن توفى وكان يقيم بالاسكندرية وفى بعض الأوقات بمنف .

وبفتح مصر انتهى ما فعله المسلمون رضوان الله عليهم مع الروم فى مدة عمرو وأخذوا ولايتين عظيمتين الشام ومصر وجزءاً مهما من جنوب بلاد الروم ( الأناضول ) وبالإجمال فقد أضعفوا شوكتهم وأدالوا دولتهم ، وحيث قد مضى القول فيما كان من الفتوحات زمن الخليفتين رضى الله عنهما

وكان من اللازم على المسلم أن يعرف تلك النظامات السامية التى كان يتبعها المسلمون فى ذلك العصر حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه من خوارق العادات فنقول :

كان عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصر الأمة فى عهد الخليفتين من بعده مظهر الإسلام ونظاماته فحق لنا أن نجعل هذا الوقت أساساً لنظام الإسلام فى العصر الأول ونحكم حكما قطعياً أن المسلمين إذا اتبعوها عزوا وإذا حادوا عنها ذلوا .

## مقام الخلافة

مقام الخلافة هو مقام نيابة عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حراسة الدين وسياسة الدنيا وكان الخلفاء الراشدون يستمدون أقوالهم وأفعالهم من كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك كانت الأمة تنظر إلى الخليفة نظرها إلى رسول الله صل الله عليه وسلم يبذلون له الطاعة فى سرهم وعلانيتهم ممتثلين قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنو أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾ وقوله تعالى ﴿ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ۞ ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ﴾ وقوله ﴿ فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما ﴾ فكانوا يرون أن عصيان الخليفة مروق عن الدين وخروج عن حده ولم يكن ذلك نتيجة تكبر أو ترفع من الخلفاء . حاشا لله . بل كان أصغر الناس يقف له الخليفة حتى تقضى حاجته اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمر يجالس الفقراء والمساكين لا يأنف من ذلك .

هذا كان حال الأمة مع الخليفة أما الخليفة فكان لا يعتقد فى نفسه أنه أرقى درجة من الأمة قال أبو بكر فى أول خطبة له ( قد وليت عليكم ولست بخيركم ) ولم يكن يظن لنفسه أدنى تصرف فى أموالهم ولا دمائهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع « أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا » ولما أرسل خالد بن الوليد لأبى بكر هدية الفرس التى اعتادوا تقديمها لملوكهم عدها من الجزية وأمر خالد أن يحسبها منها ولما جاءت عمر ذخائر الأكاسرة

بعد فتح العراق ردها لتباع وتقسم على الفاتحين كما أمر الله تعالى ولما عدا
جبلة بن الأيهم الغسانى ( آخر ملوك الغساسنة بالشام ) على الأعرابى فلطم
وجهه أبى عمر إلا القصاص وكان عمر يرسل لجميع الأمة فى الأمصار أن من
آذاه وال أو أمير فليواف الموسم ليقتص له فكان الأمراء والولاء يخشون
إيذاء مسلم أو ذمى لئلا يقتص منهم على رؤوس الأشهاد فينفضحوا فكانت
الأمة فى نظر الخليفه سواء لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى قال
أبو بكر فى أول خطبة له ( الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له الحق ،
والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ) ولم يكن الخليفة يحتجب
عن الرعية حتى يصعب على أحد منهم أن يكلمه فكان عمر لا يبالى أن يجلس
فى المسجد أو فى السوق وكانت الرحمة للأمة ملء قلوبهم تشبها برسول الله
صلى الله عليه وسلم الذى سماه الله الرءوف فكان أبو بكر وعمر يخرجان
بالليل يتفقدان أحوال البائسين من الأمة حتى لا يكون لأحد عليهما حجة
يوم لا ينفع مال ولا بنون وكان عمر يقول والله الذى بعث محمداً بالحق
لو أن جملا هلك ضياعا بشط الفرات خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب
يعنى بذلك نفسه وكان إذا ولى عاملا يقول اللهم إنى لم أبعثهم ليأخذوا
أموالهم ولا يضربوا أبشارهم من ظلمه أميره فلا إمرة عليه دونى وكان
يحمل الدقيق على ظهره ليوصله إلى الفقراء والمساكين ( روى الطبرى عن
زيد بن أسلم عن أبيه قال خرجت مع عمر بن الخطاب رحمه الله إلى حرة
واقم حتى إذا كنا بصرار إذا نار تؤرث فقال يا أسلم إنى أرى هؤلاء ركبا
قصر بهم الليل والبرد انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى دنونا فإذا امرأة معها
صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون فقال عمر السلام عليكم
يا أصحاب الضوء ـ وكره أن يقول يا أصحاب النار ـ قالت وعليك السلام
قال أأدنو قالت ادن بخير أو دع فدنا فقال ما بالكم قالت قصر بنا الليل
والبرد قال فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون قالت الجوع قال وأى شيء

فى هذه القدر قالت ماء أسكتهم به حتى يناموا الله بيننا وبين عمر قال أى رحمك الله ما يدرى عمر بكم قالت يتولى أمرنا ويغفل عنا فأقبل على فقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق فأخرج عدلا فيه كبة شحم فقال احمله على فقلت أحمله عنك قال احمله على مرتين أو ثلاثاً كل ذلك وأنا أقول أنا أحمله عنك فقال فى آخر ذلك أنت تحمل عنى وزرى يوم القيامة لا أم لك فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه نهرول حتى انتهينا إليها فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئاً فجعل يقول ذرى على وأنا أحرك لك وجعل ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فجعلت أنظر إلى الدخان من خلل لحيته حتى أنضج أدم القدر ثم أنزلها وقال أبغينى شيئا فأتته بصحفة فأفرغها فيها ثم جعل يقول أطعميهم وأنا أسطح لك فلم يزل حتى شبعوا ثم خلى عندها فضل ذلك وقام فقمت معه فجعلت تقول جزاك الله خيراً ، أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين فيقول قولى خيراً إنك إذا جئت أمير المؤمنين وجدتنى هناك إن شاء الله ثم تنحى عنها ثم استقبلها وربض مربض السبع فجعلت أقول له إن لك شأنا غير هذا وهو لا يكلمنى حتى رأيت الصبية يصطرعون ويضحكون ثم ناموا وهدأوا فقام وهو يحمد الله ثم أقبل على وقال يا أسلم إن الجوع أسهرهم وأبكاهم فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم ) بقدر ما كانت رحمتهم كانت شدتهم فى جانب الله وحدوده لا يبالون على من أقاموها عليه متبعين ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما سرقت المرأة المخزومية وكلموه فى أن يعفو عن قطع يدها « إنه أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » وحد عمر ابنه فى شراب له فمات ، لم تمنعه رقة الأبوة عن إقامة حد الله ، وعلى العموم فكان خلقهم القرآن والسنة لا ينحرفون عنها يمنة ولا يسرة ويجتهدون أن يصيبوا ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمله فى أمره كله .

## الصـــلاة

كان المسلمون يعتقدون أن الفارق بين المسلم وغيره هو الصلاة قال تعالى ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾ وقال ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل أى الأعمال أفضل « الصلاة لوقتها » فكانوا يحافظون على أوقاتها ، ولما كان للشرع مقصد سام من تفضيل صلاة الجماعة لتجتمع القلوب بالتوجه لوجهة واحدة كانوا يفضلون صلاة الجماعة على صلاة الفذ ( المنفرد ) حتى إنهم ليتهمون تاركها بالنفاق وناهيك بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حق المتخلفين عنها « والذى نفسى بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاه فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم » رواه البخارى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » وكانت إمامة المسلمين فى الصلاة راجعة إلى الخليفة يعدها أرفع وظائفه ولقد استدل الصحابة رضوان الله عليهم على أحقية أبى بكر بالخلافة باستخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم له فى الصلاة بالمسلمين حين مرضه ولم يكن الخلفاء يوكلون فيها بل كانوا يباشرونها بأنفسهم كما كان أمراؤهم فى الولايات كذلك ومثل إمامة الصلاة الخطبة فى أوقاتها والجمعة والأعياد والحوادث لا يقوم مقام الخليفة أو أميره أحد من الناس . وهذا كان يفعل فى المساجد الكبرى فى الأمصار أما المساجد المختصة بقوم أو محلة فكان الخليفة يعين لها من يقوم بالصلاة فيها كما فعل عليه الصلاة والسلام مع أهل قباء وغيرهم وليس ذلك شأن الخطبة فإنه لم يكن فى المصر الواحد إلا مسجد واحد جامع يقوم بالخطبة فيه أمير المؤمنين أو أمير المصر وجعل الشرع عقاب تارك الصلاة كسلا : القتل إن لم يتب حسبما رآه بعض الفقهاء ، ورأى آخرون أنه يعزر فحسب : أما إذا لم يعتقدها فهو مارق من الدين يقتل كفراً .

## الزكاة

الزكاة هى أحد أركان الإسلام وقد أمر الشرع بأخذها من الأغنياء وردها على الفقراء وجعل لها نصابا معلوماً متى ملكه الإنسان حقت عليه فى النقدين والنعم وما يخرج من بركات الأرض وعروض التجارة ومن منعها قوتل عليها كما فعل أبو بكر مع مانعى الزكاة ومصارفها مذكورة فى قوله تعالى ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ والفقراء والمساكين هم العاجزون عن إدراك حاجاتهم بأنفسهم والعاملون عليها هم العمال الذين يعينهم الخليفة لقبضها ، والمؤلفة قلوبهم من لم يسلموا وينتظر إسلامهم إن أعطوا أو أسلموا وفى إسلامهم ضعف الإعطاء يقويه وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم القسمين بعد فتح مكة ، والرقاب هم المكاتبون الأرقاء الذين كاتبهم ملاكهم على شىء إذا دفعوه عتقوا أو الأسارى أو تشترى الرقاب فتعتق ، والغارمون هم الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وسبيل الله الجهاد وابن السبيل المنقطع عن ماله ، ومن تأمل إلى نظام الزكاة وجده أبدع نظام لصلاح الأمة والحكومة فهى شىء لا يضر الأغنياء ويعود بالنفع العميم على الفقراء فتعم السعادة الأمة بأمرها فلا يشتغل أفرادها بالاحتيال لأخذ أموال الناس بالباطل سلباً أو سرقة ولا تتولد العداوة والبغضاء بين الغنى والفقير فيتمنى هذا هلاك ذاك وتمسى أمة بين أفرادها عداوة وبغضاء .

## الحج

الحج ركن من أركان الدين العظمى وقد فرضه الله على كل مسلم مرة فى عمره . قال تعالى ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾

وكان الذى يتولى الحج بالمسلمين خليفتهم وكان الخلفاء الراشدون يكتبون إلى ولاتهم بالأمصار أن يوافوا موسم الحج للاطلاع على أمرهم وسيرهم مع رعيتهم فمن كان لأحد من الرعية عليه شكوى اقتص منه مع ما فى ذلك من رؤية المسلمين فى بقاع الأرض لخليفتهم فيتجدد بذلك عندهم عهد الطاعة وقلما كان الخلفاء ينيبون عنهم من يحج بالناس وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمرين جميعا فحج بنفسه حجة الوداع وأمر أبا بكر أن يحج بالناس فى السنة التاسعة .

## الصوم

الصوم هو الركن الخامس من أركان الإسلام وقد فرضه الله على الأمة شهراً فى السنة لتتهذب نفوسهم وتعطف على الفقراء والمساكين الذين بهم خصاصة فيعطوا الزكاة عن طيب نفس ولذا فرض الله عقبه زكاة الفطر وتارك الصوم يعزر بما يراه الإمام رادعا. فما أوفق هذه الأركان وما أسعد الأمة لو اتبعتها ولم تتهاون بشيء منها فكلها لها حكمة باهرة لم يفرضها البارىء عبثا ، ياعجبا كل العجب لمن يقول إنى مسلم ثم هو يترك ركنا من أركان دينه ألا يرى أنه إذا نقض من البناء ركن تداعى له البناء كله . ويوشك أن ينقض من أسسه والعياذ بالله ؟ ألهمنا يا ألله الصواب ووفقنا لما يرضيك إنك سميع الدعاء .

## القضاء

القضاء من وظائف الخلافة الكبرى لأنه منصب الفصل بين الناس فى الخصومات حسما للتداعى وقطعاً للنزاع بالأحكام الشرعية المتلقاة من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى فى سورة المائدة ( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ) وفى آية أخرى ( فأولئك

هم الظالمون ﴾ وفى أخرى ﴿ فأولئك هم الفاسقون ﴾ وكان الخلفاء فى صدر الإسلام يباشرونه بأنفسهم ولا يجعلونه لمن سواهم وأول من دفعه إلى غيره كما قال ابن خلدون هو عمر بن الخطاب فولى أبا الدرداء معه بالمدينة وولى شريحا بالبصرة وولى أبا موسى الأشعرى بالكوفة وكتب له فى ذلك الكتاب المشهور الذى تدور عليه أحكام القضاة وهذا نصه منقولا عن الكامل للمبرد .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس سلام عليك ، أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلى فانه لاينفع تكلم بحق لانفاذ له . آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لايطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك . والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالا لايمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولاسنة ثم اعرف الأشياء والأمثال فقس الأمور عند ذلك واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمداً ينتهى إليه فإن أحضر بينته أخذت له بحقه وإلااستحللت عليه القضية فإنه أنفى للشك وأجلى للعمى ، المسلمون عدول بعضهم على بعض إلاالمجلوداً فى حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا فى ولاء أو نسب فإن الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والأيمان وإياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات فإن الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذخر فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله مابينه وبين الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس

من نفسه شأنه الله فما ظنك بثواب غير الله عز وجل فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام : وإنما قلد عمر القضاء لغيره ولقيامه بالسياسة العامة وكثرة أشغالها فى الجهاد والفتوحات وسد الثغور وحماية البيضة ولم يكن ذلك مما يقوم به غيره لعظم العناية به فاستخف القضاء فى الواقعات بين الناس واستخلف فيه من يقوم به تخفيفاً على نفسه وكان الذين ينتخبون لهذا العمل العظيم من كثرت صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسطع عليهم نوره فهم لذلك يقدرون على استنباط الأحكام من القرآن والسنة المطهرة ويتباعدون عن كل مايغضب الله ورسوله من جور ورشوة قال تعالى فى سورة النساء ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ وقال ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ حتى كانوا يتباعدون عن قبول الهدايا وإجابة الدعوة إلى الولائم فكان الولاة إذ ذاك سرجا يهتدى بهم فى الظلمات لايريدون إلا الله بأعمالهم بعد أن قربت منهم الدنيا فابتعدوا عنها لعلمهم أنها ظلمات يوم القيامة فرضى الله عنهم أجمعين .

## الفتيا

الفتيا فى صدر الإسلام كانت مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكان نور النبوة إذ ذاك ساطعا على الأمة فبينهم كثير ممن روى الأحاديث وحفظها فمن مقل ومن مكثر كأم المؤمنين عائشة وعبد الله ابن مسعود وابن عمر وابن عمرو بن العاص وغيرهم ولم يكن هناك أدنى مجال للكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كيف وقد قال « من كذب على عامداً متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » فكان الدين خاليا من تلك الشائبة التى أحدثها خلف من بعدهم ، وكان الخلفاء يستفتون كبار الصحابة فيما يعرض لهم من الحوادث فقد استفتى عمر عبد الرحمن بن عوف فيمن قتل

أرنبا فى الحرم . ولخطر الفتيا كان الأصحاب يحيلون على بعضهم فيها وكان المتصدرون لها منهم على كثرتهم سبعة عشر صحابيا وإنما كانوا يتباعدون عنها خوف الخطأ فى الأحكام .

## الحـــدود

قد فرض الله عقابا لكثير من الأعمال التى تنتج الفساد فى الأمة وهذا العقاب حاسم وكفيل بعدم العودة إلى الشر وهو أربعة أنواع قتل وجلد وقطع وتعزيز فالأول على من قتل نفسا بغير حق أو ارتد أو سعى فى الأرض فساداً أو فر من الزحف أو ترك الصلاة كسلا على رأى أو زنى بعد إحصان لأن الزنا جناية على الأمة كلها حيث يختل نظام البيوت فيخرج الولد ولا أب له يربيه ويهذبه فهو والحالة هذه أشد خطراً من جناية القتل والجلد لمن زنى قبل إحصانه مائة ومن قذف غيره بزنا يجلد ثمانين ومن شرب خمرا يجلد أربعين أو ثمانين على اختلاف الصحابة فى ذلك . والسارق تقطع يده والجانى على ماسوى النفس يقتص منه بمثل مافعل ، العين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص وجعل الحق فى العفو للمجنى عليه أو وليه وهذا حق من حقوق الأمة أخذه الحكام حبا فى الأثرة بالسلطان . أما إذا كان القتل فما دونه خطأ فقد فرض الشرع لولى المجنى عليه فى القتل الدية وله فيما دون ذلك الأرش ليكون بمثابة تعويض عما فقد من نفس أو عضو وهذا العقاب أفيد للمجنى عليهم وأردع للجناة . أما التعزيز فهو فيما سوى ذلك من الأعمال التى أنكرها الدين كالغصب وترك الصوم وما شاكل ذلك وهذا فوض الشرع فيه الأمر للولاة ولو كان كتابنا هذا من موضوعه التكلم فى الفروع لاستقصينا أحكام الشرع فى الحدود والجنايات ولكن فيما ذكرناه من أمهات المسائل كفاية فى

الدلالة على أن نظام الشرع أرقى وأسمى مما يبتدع من النظامات التى لاتلبث على حال بل هى كل يوم فى تغيير وتبديل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

## الجهاد

أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بدين قويم بشيرا ونذيرا فقام بما حمل وبلغ رسالة ربه كما أمر ولما كان قومه العرب بدأ بهم عامة وبقريش خاصة فأرشدهم إلى الحق وأنار لهم الطريق ودعاهم إلى دين كله مكادم أخلاق فتبعه قوم وجفاه آخرون وقاموا فى وجهه يمنعونه تأدية رسالة ربه فصبر عليهم صبر نبي كريم رءوف رحيم فلم يزدهم الحلم إلا غيا فارتكبوا صنوفا من البغى والإيذاء له ولمن تبعه وازداد بهم الأمر حتى تآمروا على قتله فأمره الله بالهجرة إلى دار قوم اتبعوا وآمنوا به وهم الأنصار سكان المدينة الذين بايعوه على القيام دونه حتى يؤدى رسالة ربه ، فواقع قريشا جملة وقائع أولها غزوة بدر وآخرها غزوة الفتح التى فتحت فيها مكة وسقطت دولة الأوثان من البيت الحرام فدان أكثر قريش بالدين الحنيفى وازدادوا به عزا على عزهم فى الجاهلية ولما كان أكثر العرب ممالئا لهم على ماهم فيه من الطغيان أمره الله بقتالهم كافة كما قاتلوا المسلمين كافة فكان له معهم جملة مواقع آخرها وقعة هوازن بحنين التى ذهبت بها دولة الشرك من بلاد العرب ودعا عليه الصلاة والسلام من يجاوره من أهل الكتاب إلى دينه الذى جاء مصدقا لما بين يديه قال تعالى فى سورة آل عمران ﴿ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ﴾ فأبوا الدخول فى دينه فعاهدهم وعاهدوه على ألا يكونوا مع عدوه فلم يفوا بما عاهدوا وما لأوا الأحزاب فنبذ إليهم على سواء وواقعهم جملة مواقع آخرها غزوة خيبر التى انفض بها جموع اليهود وزالت دولتهم .

ولما كانت دعوته عليه الصلاة والسلام عامة بحكم قوله تعالى فى سورة سبأ ( وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا ) وأرسل ملوك الأرض الذين كانت لهم السطوة إذ ذاك فكاتب ملك الفرس كسرى ومن تحت حمايته من ملوك العرب وكاتب قيصر ملك الروم ومن تحت رعايته وكاتب النجاشى ملك الحبشة ليستضىء العالم بنور الإسلام ويتساوى الصغير والكبير أمام الحق فلا يطمع الشريف فى الحيف ولا ييأس الضعيف من العدل فتتخلص الأمم من جور ملوك كانوا يعدون أنفسهم آلهة ورعيتهم عبيدا وكان مما فرضه الله على لسان نبيه أن من أسلم فقد أحرز ماله ودمه وصار للمسلمين أخاً لايكلف إلا دفع الزكاة التى بها قوام الأمة ومن أبى الإسلام لايجبر عليه بل يرضى بحكم الإسلام ونظاماته فى المعاملات ويدفع مقابل حمايته جزءاً صغيرا حده الشرع ، وبذلك يكون فى ذمة الله ورسوله له ما للمسلمين وعليه ماعليهم فيجب على المسلمين أن يدافعوا عنه كما يدافعوا عن أنفسهم وأموالهم وأبنائهم وله الحرية التامة فى العمل بمقتضى دينه أما من أبى الأمرين فيقاتل لأن الإسلام دين قويم جاء مصدقا بجميع الكتب المنزلة قبله واحتوى على مكارم أخلاق عليها مدار السعادة فى الدنيا فآبى الدخول فيه أو الانقياد لأحكامه الدنيوية مع البقاء على دينه فى عبادته لاعذر له . ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من واجبات الخليفة بعده تتميم ما أمر به لأنه خليفته فى حراسة الدين وسياسة الدنيا فقام الخلفاء الراشدون بعده بذلك خير قيام غير هيابين ولا وكلين فجردوا الجيوش لحرب الدولتين العظيمتين المجاورتين لبلاد العرب ـ دولة الفرس ودولة الروم ـ بعد أن كتبوا لهم الكتب يدعونهم للدخول فى الإسلام أو الإنقياد لأحكامه مع إعطاء الجزاء وكانت قيادة الجيوش من وظائف الخليفة تبعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يخرج بنفسه فى الغزوات ولكن لما كان للخلفاء مقاصد كثيرة فى بلدان متعددة يريدون فتحها فى آن واحد لم يكن بد من أن يستعينوا

بغيرهم فى إمرة الجيوش ممن لا يقل عنهم فى الشجاعة وتدبير الحرب فانتخبوا من إخوانهم من الصحابة من يستحق أن يسند له منصب عظيم كهذا ولم يكن ينظر فيه لغنى أو شرف قبيلة أو قدم صحبة أو كبر سن فقد ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إمرة جيش فيه أبو بكر وعمر وولى أسامة بن زيد إمرة جيش آخرهما فيه وإنما كان ينظر فى ذلك إلى العلم بالحرب والقدرة على تدبيرها وإعداد كل أمر لما يناسبه وكان الخلفاء يأمرون أمراء الجيوش بما كان يأمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يبدؤا أمة بقتال حتى يعرضوا عليهم الإسلام فإن أبوه فالجزية فإن أبوهما فالقتال وكانوا يوصونهم بما أوصى به أبو بكر أسامة حين سيره بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدم الإفساد فى الأرض وعدم التعدى على النساء والصبيان والشيوخ والرهبان وكانوا يقسمون الجيش إلى خمسة أقسام مقدمة وساقة ومجنبتان وقلب ولكل قسم أمير يصدر عن أمر قائد الجيش وكانوا يقسمون الجيش بعد ذلك كراديس ( صفوفا ) كل كردوس ألف رجل وعلى كل كردوس رجل من الشجعان يكون فيهم بمنزلة الأمير ثم يقسمون الكردوس إلى عشرات على كل عشرة رئيس يسمى عريفاً وكانوا يقاتلون بالزحف عملا بقوله تعالى ( إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ) وقال عليه السلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وقتال الزحف أشد الأعداء من قتال الكر والفر الذى كان متبعاً عند العرب ( أما ) غنائم الحرب فكانت تقسم أخماساً فأربعة أخماسها للغزاة الراجل ثلث الفارس والخمس الباقى يقسم حسبما أمر الله تعالى فى سورة الأنفال ( واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ) وأما الأسرى فحكمهم ما ذكره الله فى سورة القتال ( فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ) والمن أن يعفو

الخليفة عن الأسير فيطلقه من غير فداء والفداء يختلف بحال الأسرى غنى وفقراً . أما سلب القتيل فحق القاتل لاينازع فيه ولم يكن فى العصر الأول عدد معلوم للجيش بل كان كل مسلم ملزماً بالاستعداد عند ماينتدبه الخليفة وإذا كان الاستنفار عاما وجب على كل مسلم الخروج ومن تخلف ظن فيه النفاق وعوقب أشد العقاب وناهيك ماحصل فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتخلفين عن غزوة تبوك حيث نهى المسلمون عن مخالطتهم ومحادثتهم كأنهم ليسوا منهم إلى أن تاب الله عز وجل عليهم حينما ظنوا أن لاملجأ من الله إلا إليه وكانت العادة فى عصر الخلفاء الراشدين أن من تخلف عن وجهته التى وجه إليها يشهر فى الناس حتى يعتبر المعتبرون وأول من عاقب بالقتل عن التخلف عن الخروج إلى الوجهة التى أمر بها هو الحجاج ابن يوسف الثقفى أمير العراق فى الدولة الأموية وكانوا يقرعون بين الناس وإذا احتاجوا لعدد معين وكانت الجيوش تسير ونصر الله يكفلها وعنايته تحوطها لما كان عليه الأفراد من طاعة الرؤساء وما كان عليه الأمراء من الانقياد لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعدم الاستئثار بشىء من الفىء أو الغنيمة فليس ثم مجال للظنون التى تنزل بالرئيس والمرءوس إلى الدرك الأسفل من الهوان وانظر مافعله أبو عبيد بن مسعود الثقفى أحد أمراء جيش العراق حينما قدم له الفرس طعاماً خاصاً فإنه سألهم هل أطعمتم الجند مثله فقالوا لم يتيسر فامتنع من أكله وقال بئس المرء أبو عبيد إن صحب قوما استأثر عليهم بالفىء وهكذا كان غيره من الأمراء رضوان الله عليهم أجمعين وكان كل مسلم يعتقد أن الجهاد أول واجباته فترى طفلهم يشب وقد عود الفروسية والطعن والضرب وكان الصبيان يتسابقون إلى درج أسمائهم فى الغزاة ويحزنهم إن ردوا وناهيك بما كان من رافع بن خديج وسمرة ابن جندب حينما استصغرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فردهما ثم أجاز رافعاً لما قيل له إنه رام فبكى سمرة وقال لزوج أمه أجاز رسول الله صلى الله

عليه وسلم رافعاً وردنى مع أنى أصرعه فلما علم بذلك عليه الصلاة والسلام أمرهما بالمصارعة فغلب سمرة فأجازه فإذا كبر الطفل ركب الأهوال وهو عالم بها معتقداً أنه سينال إحدى الحسنيين إما ظفر بفتح وإما ظفر بشهادة وحسبك فى ذلك ما أجاب به رسل سعد بن أبى وقاص رئيس جيش القادسية يزدجرد ملك الفرس ورستم قائد جيشها فإذا تأملت إلى اتفاق جميعهم فى الإجابة لم ترتب فى أن أولئك قوم لهم وجهة واحـــدة يتجهون إليها فى أقوالهم وأفعالهم وهى نصر دين الله وإعلاء كلمته لايبالون بما يحول دون ذلك من الأخطار أولئك قوم جاهدوا فى الله حق جهاده فمنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير وفى كلام الله سبحانه وتعالى وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير من المحرضات على الجهاد ولذلك أقبل المسلمون عليه غير هيابين ولا وكلين لاتلهيهم الأمانى الكاذبة ولا تخدعهم الأوهام .

## بيت المال

أول من اتخذ بيتاً المال عمر بن الخطاب وكان إيراده من زكاة المسلمين وجزية أهل الذمة وخمس الغنائم ومواريث من ليس لهم وارث من موتى المسلمين فكان مطهراً من المظالم نقيا عما كانت الملوك تأخذه من أممها ظلما . وأما مصاريف بيت المال فكانت الزكاة تصرف فى مصارفها التى ذكرناها فى الزكاة . وجزية أهل الذمة تصرف فى سبيل الله وهو معدات الجهاد وخمس الغنائم فى مصارفه المذكورة فى الجهاد ومواريث الموتى تصرف فيما يراه الإمام ولم يكن للمستحقين شىء مخصوص يعطونه حتى فرض عمر العطاء ودون الدواوين لحصر أسماء الغزاء فجعل للعباس خمسة وعشرين ألف درهم فى السنة ولأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف ولأهل بدر خمسة آلاف ولنسائهم خمسمائة خمسمائة

وألحق بأهل بدر أربعة ليسوا منهم الحسن والحسين ابنى على وأبا ذر وسلمان الفارسى ولمن بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف ولنسائهم أربعمائة أربعمائة ولمن بعد الحديبية إلى أن انتهى أبو بكر من حروب أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ولنسائهم ثلاثمائة ثلاثمائة ولمن شهد القـــادسية واليرموك ألفين ألفين ولنسائهم مائتين مائتين ولأهل البلاء النازع منهم ألفين وخمسمائة ألفين وخمسمائة ولنسائهم كمن قبلهم ولمن بعد القادسية واليرموك ألفا ألفا ولنسائهم كمن قبلهم وللروادف المثنى خمسمائة خمسمائة ثم للروادف الثليث بعدهم ثملاثمائة ثلاثمائة وفرض للروادف الربيع مائتين وخمسين مائتين وخمسين وفرض لمن بعدهم وهم أهل هجر والعباد مائتين مائتين سوى كل طبقة فى العطاء قويهم وضعيفهم وعربهم وعجمهم وللصبيان مائة مائة ولكل مسكين جريبتين فى الشهر ثم قال عمر إنى كنت امرءاً تاجراً يغنى الله عيالى بتجارتى وقد شغلتمونى بأمركم هذا هذا فما ترون أنه يحل لى من هذا المال؟ فقال على لك ما أصلحك وعيالك بالمعروف ليس لك غيره فأخذ قوته واشتدت بعد ذلك حاجته فاجتمع نفر من كبار الصحابة فيهم عثمان وعلى وطلحة والزبير وقالوا لو قلنا لعمر فى زيادة نزيده إياها فى رزقه فقال عثمان هلم فلنعلم ما عندة من وراء وراء فأتوا أم المؤمنين حفصـــه بنت عمر فأعلموها الحال وأوصوها ألا تخبر بهم عمر فلقيت حفصة عمر فى ذلك فغضب وقال من هؤلاء لأسوءنهم قالت لا سبيل إلى علمهم قال أنت بينى وبينهم ما أفضل ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتك من الملبس قالت ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد والجمع قال فأى الطعام ناله عندك أرفع قالت حرفاً من خبز شعير فصببنا عليه وهو حار أسفل عكة لنا فجعلتها دسمة حلوة فأكل منها قال فأى مبسط يبسط عندك كان أوطأ قالت كساء ثخين كنا نربعه فى الصيف فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثرنا بنصفه قال يا حفصة فأبلغيهم أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم قدر فوضع الفضول مواضعها وتبلغ بالترجية فوالله لأضعن الفضول مواضعها ولأتبلغن بالترجية وإنما مثلى ومثل صاحبي كثلاثة سلكوا طريقاً فمضى الأول لسبيله وقد تزود فبلغ المنزل ثم اتبعه الآخر فسلك سبيله فأفضى إليه ثم اتبعه الثالث فإن لزم طريقهما ورضى بزادهما لحق بهما وإن سلك طريقا غير طريقهما لم يلقهما . فتأمل كيف أن عمر رضى الله عنه مع إقبال الدنيا على المسلمين وتغير الأحوال عما كانت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجد لنفسه مسوغاً أن يزيد عما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بل اتبع هديه وسار بسيرته ليلقاه آمنا ، وكان رضى الله تعالى عنه يقول أنا كوصى مال اليتيم إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف إشارة قوله تعالى فى حق الوصى ( فمن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف ) وحج رضى الله عنه مرة فلما رجع قال لابنه انظر كم صرفنا فنظر فإذا هو ستة عشر ديناراً فأخبره فقال عمر لقد أسرفنا يا بنى ، لاجرم أن أعزه الله ومكن له فى الأرض .

## العلم والتعليم

كانت العرب أمة أمية لا تشغل نفسها بالعلم فلما أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق نص كثيراً على فضل العلم والتعليم والتعلم قال تعالى فى فضل العلم ( يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ) وقال ( هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ) وقال عليه الصلاة والسلام « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ويلهمه رشده » وقال « العلماء ورثة الأنبياء » ومما قاله سبحانه وتعالى فى فضل التعلم ( فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ) وقال ( فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ) وقال عليه السلام « من سلك طريقا يطلب به علما سلك الله به طريقا إلى الجنة » وقال « باب من العلم يتعلمه الرجل خير من الدنيا وما فيها » ومما جاء

فى فضل التعليم قوله تعالى (ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون فجعل ثمرة العلم التعليم وقال ( وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ) وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ حين بعثه معلماً لأهل اليمن لأن «يهدى الله بك رجلا واحداً خيراً من الدنيا وما فيها» وقال « نعم العطية نعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تعلمه إياها تعدل عبادة سنة » وقال « مثل ما بعثنى به الله عز وجل كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ » الأول مثل للمنتفع بعلمه والثانى مثل للنافع بعلمه والثالث مثل للمحروم منهما فكانت هذه الآيات القرآنية والأحاديث المحمدية حاضة للأمة الإسلامية على العلم وتعليمه وتعلمه ، والعلم الذى حض الشرع على تعلمه هو الذى يوصل الإنسان إلى سعادته الأخروية والراحة فى الدنيا وها نحن نسوق لك العلوم التى كانت تعلم فى العصر الأول فنقول :

## القرآن

كان أفضل ما يتعلمه المتعلمون فى العصر الأول هو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وما لم يعرفه الإنسان كان مقلدا فى إيمانه وهذا نقص لا ينبغى لمسلم الاتصاف به ولا نعنى بتعلمه حفظه عن ظهر قلب لأن هذا لا يتيسر للكثير من أفراد الأمة بل نقصد قراءته بتدبر وتفهم ليعلم المسلم أوامره وزواجره فيقف عند حده وكان القرآن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم محفوظاً فى صدور الحفاظ ولم يكن مجموعاً فى مصحف فلما كانت خلافة أبى بكر ومات كثير من حفـــاظ القرآن فى وقعة اليمامة رأى رضى الله عنه أن يجمع القرآن فى مصحف بعد أن أشار عليه بذلك عمر بن الخطاب فقال كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله

صلى الله عليه وسلم فلم يزل به حتى شرح الله صدره لذلك فندب لهذا العمل العظيم كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد الذين جمعوا القرآن فى عهده صلى الله عليه وسلم وهو زيد بن ثابت الأنصارى فقال كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل به أبو بكر حتى شرح الله صدره لما شرح له صدر أبى بكر وعمر فقام بهذا العمل خير قيام وجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ورتبه كما كان مرتباً فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان يكتب سورة التوبة وأتى على قوله تعالى (صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لايفقهون) ظنها آخر السورة فجاءه خزيمة بن ثابت الأنصارى ذو الشهادتين وقال لقد أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ؛ فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) فكتبها وحقق الله بعمل أبى بكر ما قاله فى سورة الحجر (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فلما كان فى مدة عثمان ابن عفان وتفرق القراء فى الأمصار كان بينهم اختلاف فى الإقراء اختلاف ألفاظ لا اختلاف اللغات فرأى حذيفة بن ثابت أن اختلافاً كهذا بين الأمة يؤدى إلى شقاق وفساد وأنهى ذلك إلى عثمان وحذره من سوء العقبى فرأى عثمان أن يجمع الأمة على مصحف واحد بكلغة قريش فجمع ستة من كبار القراء فيهم زيد بن ثابت وأمرهم بذلك وقال لهم إن اختلفتم فى شىء فاكتبوه بلسان قريش فكتبوا عدة مصاحف سيرها إلى الأمصار وأبقى واحداً عنده وهذا المصحف هو الذى بين أيدينا الآن وهو الذى اقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فجزى الله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل ماجازى هداة قوم عن أمتهم وهذا الذى نقلناه فى جمع القرآن هو ما ورد فى صحيح البخارى والإتقان للسيوطى .

## السنة

السنة . ونعنى بها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مما شرع الله من الدين قال تعالى فى سورة الحشر ( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ) وقال (وماينطق عن الهوى ) وكانت محفوظة فى صدور رواتها وكانوا يعلمونها أولادهم وخصوصاً ما يتعلق منها بالمغازى يقولون تعلموا مجد آبائكم ويعلم الله أن ذلك من أفضل التعليم للناشىء فإنه يبث فى قلبه الحمية فيشب ولا شيء أحلى عنده من اكتساب مجد يعلى قدره ويرفع ذكره ولم تدون الكتب فى الأحاديث حتى زمن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .

## الفقه

الفقه كان فى عهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مراداً به كما قال الغزالى فى الإحيــاء علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ، يدلك على ذلك قوله تعالى ﴿ ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا وقال تعالى ﴿ لهم قلوب لايفقهون بها ﴾ وأراد به معانى الإيمان وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا ؟ بلى يارسول الله قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ماسواه قال عليه الصلاة والسلام فى ضمام بن ثعلبة الأعرابى الذى وفد عليه فآمن به وعلم أركان الدين وسلم ذلك تسليما خالصاً من شائبة نفاق أو رياء « فقه الرجل » وهو لم يعلم بعد إلا أمهات الدين أما المسائل التى اصطلح على تسميتها بالفقه فى العصر الذى بعدهم فكانت تأتى أحكامها حسب وقائعها ولم يكن فى أصحابه من تجرد لاختراع المسائل والإجابة عليها .

# التوحيد

التوحيد كان عندهم عبارة عن أن يرى الموحد الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط فلا يرى الخير والشر إلا منه جل ذكره وكانوا يكتفون فى الاستدلال على ذات الله وصفاته بما ورد فى القرآن الشريف لا يعتدونه إلى ما سواه إذ كانوا على الفطرة لم تشب قلوبهم شوائب الشك والارتياب فكانوا بعيدين عن صناعة الكلام ومعرفة طرق المجادلة والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات وتأليف الإلزامات . الأمور التى جعلت بعضهم موضوعا للتوحيد ، كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شغل شاغل عن ذلك بنصر دين الله والاجتهاد فى تعميمه فى بقاع الأرض قال إمامنا المرحوم الشيخ محمد عبده فى رسالة التوحيد :

وقد مضى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وهو المرجع فى الحيرة والسراج فى ظلمات الشبهة وقضى الخليفتان بعده ما قدر لهما من العمر فى مدافعة الأعداء وجمع كلمة الأولياء ولم يكن للناس من الفراغ ما يخلون فيه مع عقولهم ليبتلوها بالبحث فى مبانى عقائدهم وما كان من اختلاف قليل رد إليهما وقضى الأمر فيه بحكمهما بعد استشارة من جاورهما من أهل البصر بالدين إن كانت حاجة إلى الاستشارة وأغلب الخلاف كان فى فروع الأحكام لا فى أصول العقائد ثم كان الناس فى الزمنين يفهمون إشارات الكتاب ونصوصه يعتقدون بالتنزيه ويفوضون فيما توهم التشبيه ويرون أن له معنى غير ما يوهمه ظاهر اللفظ اهـ :

أما الحكمة التى أثنى الله عليها فى قوله ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيرا ﴾ والتى أثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قولة « كلمة من الحكمة يتعلمها لرجل خير من الدنيا وما فيها » ، والتى حض عليه

السلام على البحث عنها فى قوله الحكمة ضالة المؤمن ينشدها أنى وجدها ، فقد كانت منتشرة بين الصحابة وورد عن كثير منهم حكم لا يحصيها العد تهذب النفس وتحيي القلب وأكثرهم فى ذلك أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وها نحن نسوق لك شذرات منها مما نقلناه من الجزء الثانى من الكتاب المرسوم بنهج البلاغة قال رضى الله عنه « البخل عار والجبن منقصة والفقر يخرس الفطن عن حجته والمقل غريب فى بلدته والعجز آفه والصبر شجاعة والزهد ثروة والورع جنة ، نعم القرين الرضى والعلم وراثة كريمة والآداب حلل مجددة والفكر مرآة صافية » وقال صدر العاقل صندوق سره والبشاشة حبل المودة والاحتمال قبر العيوب » وقال « إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه » وقال إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه » وقال « إذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر » وقال من جرى فى عنان أمله عثر بأجله » وقال « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » ويروى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « من كفارات الذنوب العظام إعانة الملهوف التنفيس عن المكروب » وقال يا ابن آدم إذا رأيت ربك سبحانه يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره » وقال « الحذر فو الله لقد ستر حتى كأنه غفر » وقال « فاعل الخير خير منه وفاعل الشر شر منه » وقال « كن سمحاً ولا تكن مبذراً وكن مقدراً ولا تكن مقتراً وقال « من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه بما لا يعلمون » وقال « طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضى عنه الله » « وقال « احذروا صولة الكريم إذا جاع وصولة اللئيم إذا شبع » وقال « أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة » وقال « القناعة مال لا ينفد » وقال « اللسان سبع إن خلى عنه عقر » وقال « فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها » وقال « لا تستح من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه » وقال

« إذا تم العقل نقص الكلام » وقال « من نصب نفسه للناس إماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم » وقال « قيمة كل امرىء ما يحسنه » وقال « أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل لكانت لذلك أهلا : لا يرجون أحد منكم إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه ولا يستحين أحد إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ولا يستحين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد ولا خير فى جسد بغير رأس ولا فى إيمان لا صبر معه » وقال « من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ » وقال « اعقلوا الخير عقل رعاية لا عقل رواية فإن رواة العلم كثير ولكن رعاته قليل » وقال « لا يترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم إلا فتح الله عليهم ما هو أضر منه » وقال « إضاعة الفرصة غصة » وقال « عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذى منه هرب ويفوته الغنى الذى إياه طلب فيعيش فى الدنيا عيش الفقراء ويحاسب فى الآخرة حساب الأغنياء وعجبت للمتكبر الذى كان بالأمس نطفة ويكون غدا جيفة وعجبت لمن شك فى الله وهو يرى خلق الله وعجبت لمن نسى الموت وهو يرى الموتى وعجبت لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء » وقال « لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه فى ثلاث فى نكبته وغيبته ووفاته » وقال « تنزل المعونة على قدر المؤنة » وقال « المرء مخبوء تحت لسانه » وقال « لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان » وقال « الراضى بفعل قوم كالداخل معهم وعلى كل داخل فى باطل إثمان إثم العمل به وإثم الرضى به » وقال « من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها فى عقولها » وقال « من كتم سره كانت الخيرة بيده » وقال « الإعجاب يمنع من

الازدياد » وقال « الناس أعداء ما جهلوا » وقال « ازجر المسىء بثواب المحسن » وقال « الطمع رق مؤبد » وقال « من أبدى صفحته للحق هلك » وقال « لم يذهب من مالك ما وعظك » وقال « لا يزهدنك فى المعروف من لا يشكر لك فقد يشكرك عليه من لا يستمتع به وقد تدرك من شكر الشاكر أكثر مما أضاع الكافر والله يحب المحسنين » وقال « بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد » وقال « من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه » وقال « الكرم أعطف من الرحم » من ظن بك خيرا فصدق ظنه » وقال « الحدة ضرب من الجنون فإن صاحبها يندم فإن لم يندم فجنونه مستحكم » .

وهذا قليل من كثير أوردناه لك لتعلم ما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أقوالهم وأفعالهم فتعز باتباعهم إن كان لك فى العز حاجة .

وهذه العلوم التى كانت فى العصر الأول مشغلة للمعلمين والمتعلمين لا يعرفها إلا مسلم ولا يتركها إلا منافق وهى التى بها صلاح الأمة فى الدين والدنيا وقد بقيت علوم كفايات لم يتركها المسلمون بل اشتغلوا بها لصلاح الدنيا ولا بأس أن نذكر لك بعضها لتعلم كيف كان شغلهم بها .

## الكتابة

كانت الكتابة فى صدر الإسلام قليلة جداً لأمية العرب ولكنها أخذت فى الانتشار حينما حض على تعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابتداء شيوعها لما جعل عليه السلام فداء بعض الأسرى فى بدر أن يعلم عشرة من صبيان المدينة القراءة والكتابة وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب كثيرون لكتابة الوحى والمراسلات أشهرهم على بن أبى طالب وعثمان بن عفان وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبى سفيان وغيرهم وفى مدة الشيخين شاعت الكتابة أكثر .

## لغات الأعاجم

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلم اللغة العبرانية لغة اليهود ليكون بينه وبينهم وليكتب لهم عنه عليه السلام ما يريد أن يكتبه فلا بأس أن يكون فى الأمة من يعرف اللغات الأعجمية متى كان هناك احتياج إلى ذلك وكان فى الصحابة كثير من عرف لغة الفرس والروم وغيرهم .

## الطب

كان الطب مشتهراً بين العرب وله قوم مخصوصون اتخذوه حرفة من أشهرهم الحارث بن كلدة وقد انتدبه عليه السلام ليداوى مرضا ألم بسعد بن أبى وقاص وبعث عليه السلام إلى أبى بن كعب طبيبا فقطع منه عرقا ثم كواه عليه . رواه مسلم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث فى الحث على تعلم الطب منها « لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برىء بإذن الله » وفى هذا الحديث حث على معرفة طبائع العقاقير وتشخيص الداء حتى يجعل لكل داء دواءه . وورد عنه عليه السلام أحاديث فى الطب منها « الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء » رواه مسلم ومنها ـ أو هو أثر ـ « المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وأصل كل داء البردة » ويعجبنى هنا ما ذكره الغزالى فى الإحياء تنديداً بطلاب العلم الذين جعلوا دأبهم الاشتغال بفروع الفقه الدقيقة التى تنقضى الدهور ولا يحتاج لشىء منها ويهملون ما عدا ذلك من الكفايات قال رحمه الله ) فكم من بلد ليس فيه طبيب إلا من أهل الذمة ولا تجوز شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه ثم لا نرى أحداً يشتغل به ويتهافتون على علم الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعرى

كيف يرخص فقهاء الدين فى الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة وإهمال مالا قائم به هل لهذا من سبب إلا أن الطب ليس يتيسر به الوصول إلى تولى الأوقاف والوصايا حيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم على الأقران والتسلط به على الأعداء ) ونحمد الله أن أوجد من غير الفقهاء من يسد هذه الثلمة فى الأمة فقام بتعلم الطب وإفادة الناس منه ومن هنا يعلم أن الأمة فى العصر الأول لم تكن تخلو من قائم بالكفايات التى عليها مدار العمارية والتقدم كالحساب أو الهندسة وغير ذلك . وإلى هنا انتهى ما أردنا إيراده من نظامات الإسلام وبقيت فى النفس بقية نذكر فيها معاملة المسلمين لبعضهم فى العصر الأول إذ هذا هو الذى تدور عليه سعادة الأمة وشقاوتها وبه عزها وذلها فاسمع وافقه ألهمنى الله وإياك الرشد قال الله تعالى فى كتابه العزيز ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ وقال ﴿ إنما المؤمنون إخوة فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متآخين فى الله متحابين وكانت الأخوة بينهم فى أعلى درجاتها وهو الإيثار على النفس قال الله تعالى فى وصف الأنصار ﴿ والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ فكان الرجل منهم يحب لأخيه ما يحب لنفسه عملا بقوله عليه السلام « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » فلا يغشه لئلا يدخل تحت قوله عليه السلام « من غشنا فليس منا » ، ولا يكذب عليه إذا حدثه ولا يخلفه إذا وعده ولا يخونه إذا ائتمنه لئلا يكون منافقاً ، قال عليه السلام « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان » وفى حديث آخر « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ، إذا أؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر » ولا يقصر فى معاونته امتثالا

لقوله تعالى ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ ولا يسخر منه ولا يلمزه ولا ينابزه بالألقاب ولا يظن به الظنون ولا يتجسس عليه ولا يغتابه قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ٭ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ وقال عليه السلام « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » وقال « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم وكل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله » وقال « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لامرىء أن يهجر أخاه فوق ثلاثة » ولا ينم عليه لئلا يحرم الجنة قال عليه السلام « لا يدخل الجنة نمام » ولا يسبه لئلا يفسق قال عليه الصلاة والسلام « سباب المؤمن فسوق » ولا يجرد في وجهه سيفاً لئلا تكون عاقبته النار قال عليه السلام « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال « إنه كان حريصاً على قتل صاحبه » وقال الله تعالى ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما ﴾ ولا يترفع عليه لضعة في نسبه أو قلة في ماله قال عليه السلام في حجة الوداع « أيها الناس كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى إن أكرمكم عند

الله أتقاكم ، ولا يعامله بالربا ، كيف وقد نهى الله تعالى عنه أشد نهى فقال وقوله الحق ﴿ الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لايحب كل كفار أثيم * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون * وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون * واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون ﴾ فليتدبر هذا النهى أولو النهى من المسلمين ليعرفوا كيف آلت حالهم إلى ماهم عليه الآن . وكان المسلم يرى أن من دينه نصيحة أخيه قال عليه السلام « الدين النصيحة ، قيل لمن يارسول الله ؟ قال لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » ويمنع عنه أذى يده ولسانه قال عليه السلام « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » وكان الحياء من شعارهم قال عليه السلام « الحياء من الإيمان » يطعمون الطعام ويقرءون السلام قال عليه السلام وقد سئل أى الأعمال أفضل « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » يحبون الله ورسوله أكثر من الأموال والأولاد قال عليه السلام « ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لايحبه إلا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » ومن المعلوم أن المحبة ليست شقشقة اللسان إنما هى الطاعة فى الأقوال والأفعال قال تعالى ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله

ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ وآداب الإسلام التى كان المسلمون يتمسكون بها فى العصر الأول لانمل من أن نذكر لك بعضاً منها ليكون لك من نفسك زاجر قال الله سبحانه ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ وقال ﴿ ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ﴾ وقال ﴿ ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين ﴾ و قال ﴿ يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم ﴾ وقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون ۝ ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد ﴾ وقال ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ﴾ وقال وهى من أهم مايجب على المسلمين تنفيذه ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ۝ ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات ۝ وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ وقال ﴿ واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لايحب من كان مختالا فخوراً ﴾ وقال ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيرا ﴾ وقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط

شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ﴾ وقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ وقال ﴿ ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ وقال ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذالكم وصاكم به لعلكم تعقلون ٭ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ٭ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون وقال ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ٭ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ماتفعلون ﴾ وقال ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ٭ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ٭ ربكم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً ٭ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ٭ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً ٭ وإما تعرضنّ عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسوراً ٭ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ٭ إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بعباده خبيراً بصيرا ٭ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا ٭ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق

ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده . وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ، وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم . ذلك خير وأحسن تأويلا . ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ولا تمش فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ، كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ) وقال ( قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ) وقال ( وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ، ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير ، وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ، يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ، يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ، ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد فى مشيك واغضض فى صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ) وقال تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) هذا ولو أردنا استقصاء الآداب الإسلامية التى جاء بها القرآن الكريم

والسنة المطهرة لاحتجنا إلى مجلدات ولكننا أردنا بما ذكرنا أمرين : الأول انا ذكرنا لك أمهات الفضائل التى كان المسلمون فى العصر الأول متخلقين بها ، والثانى إننا لفتنا نظرك أيها المسلم لمذاكرة القرآن لتعرف ما احتوى عليه من الآداب والحكم فتقف عند ما حده لك ومذاكرة السنة المطهرة الهادية ولا تكن ممن يضعها فى بيته تبركا بأوراقها ونقوشها ، والله الهادى إلى الصراط المستقيم .

## مقتل عمـــر

لم يصب المسلمون فى العصر الأول بمصيبة بعد وفاة رسول الله صلى الله وسلم اعظم من قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : جنى عليه غلام مجوسى اسمه أبو لؤلؤة كان للمغيرة بن شعبة وها نحن نسوق لك مارواه البخارى فى صحيحه عن عمرو بن ميمون فى هذا المصاب الجلل قال عمرو إنى لواقف ما بينى وبينه ( عمر ) إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب وكان إذا مر بين الصفين قال استووا حتى إذا لم ير فيهن خللا تقدم فكبر وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك فى الركعة الأولى حتى يجتمع الناس فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول قتلنى أو أكلنى الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة فسار العلج بسكين ذا طرفين لا يمر على أحد يميناً وشمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا فمات منهم سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنساً فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول ( عمر ) يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه فمن يلى عمر فقد رأى الذى أرى وأما نواحى المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن عباس انظر من قتلني فجال ساعه ثم جاء فقال غلام المغيرة قال

الصنع قال نعم فقال قاتله الله لقد أمرت به معروفاً الحمد لله الذى لم يجعل ميتتى بيد رجل يدعى الإسلام وقد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثرا العلوج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقاً فقال إن شئت فعلت أى إن شئت قتلنا قال كذبت بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا إلى قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ فقائل يقول لا بأس عليه وقائل يقول أخاف عليه فأتى بنبيذ فشربه فخرج من جوفه ثم أتى بلبن فشربه فخرج من جوفه فعلموا أنه ميت فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم فى الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة قال وددت أن ذلك كفاف لا على ولا لى فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض قال ردوا الغلام قال يا ابن أخى ارفع ثوبك فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك يا عبد الله بن عمر انظر ما على من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه قال إن وفى بذلك مال آل عمر فأده من من أموالهم وإلا فسل فى بنى عدى بن كعب فإن لم تف أموالهم فســـل فى قريش ولا تعدهم إلى غيرهم فأدعنى هذا المال . انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فإنى لست اليوم المؤمنين أميراً وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه ، فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكى فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسى ولأوثرن به اليوم على نفسى فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال ارفعونى فأسنده رجل إليه فقال ما لديك قال الذى تحب يا أمير المؤمنين أذنت قال الحمد لله ما كان شىء أهم إلى من ذلك فإذا قضيت فاحملونى ثم سلم فقل يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت فأدخلونى وإن ردتنى فردونى إلى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة ( بنت عمر ) والنساء تسير معها

فلما رأيناها قمنا فولجت عليه داخلا لهم فسمعنا بكاءها من الداخل فقالوا أوص يا أمير المؤمنين استخلف فقال كما ورد فى رواية مسلم « أتحمل أمركم حيا وميتا لوددت أنى أحظى منها من الكفاف لا على ولا لى وإن استخلف فقد استخلف من هو خير منى - يعنى أبابكر - وإن أترككم فقد ترككم من هو منى - يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال عبد الله بن عمر فعرفت أنه - حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم - غير مستخلف ثم قال عمر ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وسعداً وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وقال يشهدكم عبد الله ابن عمر وليس له من الأمر شىء كهيئة التعزية له فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك وإلا فليستعن به أيكم ما أمر فإنى لم أعزله من عجز ولا خيانة وقال أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يدفع لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم ردء الإسلام وجباة المال وغيظ العدو وألا يأخذ عنهم إلا فضلهم عن رضاهم وأوصيه بالأعراب خيراً فانهم أصل العرب ومادة الاسلام أن يأخذ من حواشى أموالهم وترد على فقرائهم وأوصيه بذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعدهم وأن يقاتل من وراءهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشى فسلم عبد الله بن عمر وقال يستأذن عمر ابن الخطاب قال ادخلوا فأدخل فوضع هناك مع صاحبيه . وهناك قال على رضى الله عنه كما فى رواية البخارى عن ابن عباس ( رحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لأنى كثيراً ما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كنت وأبو بكر وعمر وفعلت وأبو بكر وعمر وانطلقت وأبو بكر وعمر فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما ) فلما فرغ

من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم فقال الزبير قد جعلت أمرى إلى على وقال طلحة قد جعلت أمرى إلى عثمان وقال سعد قد جعلت أمرى إلى عبد الرحمن بن عوف فقال عبد الرحمن ( لعثمان وعلى ) أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن إلى أفضلهم فى نفسه فأسكت الشيخان فقال عبد الرحمن أفتجعلونه إلى الله على أن لا آلو عن أفضلكم قال نعم فأخذ بيد أحدهما ( على ) فقال لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم فى الإسلام ماقد علمت فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن ثم خلا بالآخر فقال مثل ذلك فلما أخذ الميثاق قال ارفع يدك ياعثمان فبايعه وبايع له على وولج أهل الدار فبايعوه ولما تمت البيعة صعد عثمان المنبر فخطبهم فقال ( الحمد لله ، أيها الناس اتقوا الله إن الدنيا كما أخبر الله عنها : لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ) فخير العباد فيها من عصم بالله واستعصم بالله وبكتابه وقد وكلت من أمركم بعظيم لا أرجو العون عليه إلا من الله ولايوفق للخير إلا الله وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ) ثم نزل .

## ترجمة عثمان

وهو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموى القرشى وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ولد فى السنة الخامسة من ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشب على الأخلاق الكريمة والسيرة الحسنة حييا عفيفاً ولما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم كان عثمان من السابقين إلى الإسلام على يد الصديق رضى الله عنه وزوجه عليه السلام بنته رقية فلما آذى المشركون المسلمين هاجر رضى الله عنه مع زوجه إلى بلاد الحبشة ثم رجع إلى مكة قبل الهجرة إلى المدينة فلما أذن الله بها هاجر إليها هو وزوجه وحضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مشاهده ولكنه لم يحضر بدراً لشغله بتمريض زوجه التى ماتت عقب انتصار المسلمين فيها وأسهم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غنيمتها ثم زوجه بنته الثانية أم كلثوم وكان ممن عفا الله عنهم فى أحد وكان فى عمرة الحديبية سفيراً بين رسول الله صلى الله عليه وبين قريش فلما شاع غدرهم بعثمان بايع النبى أصحابه بيعة الرضوان وقال بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان وكان له فى جيش العسرة إلى تبوك اليد الطولى فقد أنفق من ماله أكثر مما جاد به غيره واشترى بئر رومة بماله ثم تصدق بها على المسلمين فكان رشاؤه فيها كرشاء واحد منهم وقد قال عليه السلام «من حفر بئر رومة فله الجنة» ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان للخليفتين من بعده عاملا أمينا . ولما أصيب المسلمون بقتل عمر كانت أغلبية الشورى له فقام بأمر الخلافة خير قيام إلا أن فى آخر مدته تغير بعض المسلمين عما كانوا عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيخين من بعده ودبت إليهم الدنيا وحبها وهو رأس كل خطيئة فقام عليه جماعة

من بغاتهم فشتتوا شمل المسلمين بشق عصا الطاعة حتى تداعت أركان الخلافة وقتل ظلماً رضى الله عنه وقد جاوز الثمانين من عمره وكان رجــــلا ليس بالطويل ولا بالقصير حسن الوجه رقيق البشرة بوجهه أثر جدرى . كبير اللحية عظيمها أسمر اللون أصلع عظيم الكراديس عظيم ما بين المنكبين يصفر لحيته وله من الأولاد عبد الله الأكبر وعبد الله الأصغر وعمرو وخالد وأبان وعمر ومريم والوليد وسعيد وأم سعيد وعبد الملك وعائشة وأم أبان وأم عمرو ومريم وعنبسة وأم البنين .

## أعماله فى خلافته

### فى الكوفة

فى بدء خلافته استعمل سعد بن أبى وقاص على الكوفة عملا بوصية عمر وكان معه عبد الله بن مسعود على الخراج فأقام سعد فى إمارة الكوفة سنة ثم عزله عثمان لخلاف وقع بينه وبين عبد الله بن مسعود ، سببه أن سعدا اقترض من عبد الله مالا فلما تقاضاه إياه لم يجد له سعد أداء فطلب منه التأجيل فلم يقبل وحصل بينهما فى ذلك نزاع فتعصب لهذا قوم ولذاك آخرون وكان هذا أول شقاق حصل بين أهل الكوفة فغضب لذلك أمير المؤمنين عثمان وعزل سعدا وولى مكانه الوليد بن عقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس وأمه أم عثمان وعزل عتبة بن فرقد عن أذربيجان التى كانت تابعة لولاية الكوفة فانتقض أهلها فغزاهم الوليد فأغار على أهل موقان والبير والطيلسان ففتح وغنم ثم طلب أهل كور أذربيجان الصلح فصالحهم على صلح حذيفة وهو ثمانمائة ألف درهم (ثم) سير سلمان بن ربيعة الباهلى إلى أهل أرمينية فى اثنى عشر ألفاً فشتت شملهم ورجع إلى الوليد بغنائمهم فرجع الوليد من طريق الموصل فلما أتى المدينة جاءه وهو بها

كتاب من عثمان يأمره أن يمد أهل الشام بجيش يقوده رجل ذو نجدة فندب
الناس مع سلمان بن ربيعة الباهلى فانتدب له ثمانية آلاف سيرهم معه وأقام
الوليد واليا على الكوفة خمس سنين فى نهايتها اتهمه جماعة من أهل الكوفة
بأنه شرب الخمر وشهدوا بذلك عند عثمان فعزله عن إمارتها وجلده حد
الشارب أربعين جلدة كما أفتى بذلك على بن أبى طالب وولى مكانه سعيد ابن
العاص فلما وصل الكوفة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : والله
لقد بعثت إليكم وإنى لكاره ولكنى لم أجد بدا إذا أمرت أن أأتمر ، ألا
وإن الفتنة قد أطلعت خطمها وعينها ووالله لأضربن وجهها أو تعيينى وإنى
لرائد نفسى اليوم ثم نزل وسأل عن أهل الكوفة فعرف حالهم وكتب إلى
عثمان إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب على أهل الشرف والبيوتات
منهم والغالب على تلك البلاد روادف قدمت وأعراب لحقت حتى لاينظر
إلى ذى شرف أو بلاء من نابتتها ولا نازلتها فكتب إليه عثمان ( أما بعد
ففضل أهل السابقة والقدم ومن فتح الله عليه تلك البلاد وليكن من نزلها
من غيرهم تبعا لهم إلا أن يكونوا تثاقلوا عن الحق وتركوه وقام به هؤلاء
واحفظ لكل منزلته واعطهم جميعا بقسطهم من الحق فإن المعرفة بالناس
يصاب بها العدل ) فأرسل سعيد إلى أهل القادسية والأيام فقال أنتم وجوه
الناس والوجه ينبي عن الجسد فأبلغونا حاجة ذوى الحاجة وأدخل معهم
من يحتاج إليه من اللواحق والروادف وجعل القراء فى سمره ففشت القالة
فى الكوفة بالقدح فى ولاة عثمان وفيه لتوليته إياهم فكتب سعيد إلى عثمان
فجمع الناس وأخبرهم بما كتب إليه فقالوا أصبت لاتطمعهم فيما ليس له
له أهل فإنه إذا نهض فى الأمور من ليس لها بأهل لم يحتملها وأفسدها فقال
عثمان يا أهل المدينة استعدوا واستمسكوا فقد دبت إليكم الفتن وإنى والله
لأتخلصن الذى لكم حتى أنقله إليكم إن رأيتم حتى يأتى من شهد مع أهل
العراق سهمه فيقيم معه فى بلاده فقالوا كيف تنقل إلينا سهمنا من الأرضين

فقال يبيعها من شاء بما كان له فى الحجاز واليمن وغيرها من البلاد ففرحوا وفتح الله عليهم أمراً لم يكن فى حسابهم وفعلوا ذلك واشتراه رجال من كل قبيلة وجاز لهم عن تراض : وفى عهد سعيد بن العاص فتحت طبرستان سار إليها ومعه الحسن والحسين ابنا على وابن عباس وابن عمر وابن العاص وابن الزبير وحذيفة بن اليمان وغيرهم من كبار الصحابة فقاتل أهلها ثم طلبوا الصلح فصالحهم وكان ذلك فى السنة الثلاثين ثم سار سعيد وحذيفة ابن اليمان لإمداد عبد الرحمن بن ربيعة الذى كان بالباب فلما بلغا أذربيجان سير سعيد حذيفة وأقام هو رداء له فسار حذيفة وغزا مع عبد الرحمن ثم رجع إلى سعيد فصبحه بالكوفة . وفى السنة الثانية والثلاثين غزا عبدالرحمن ابن ربيعة الترك ثالث مرة وأوغل فى سيره فتجمع عليه الترك والخزر وقاتلوه قتالا شديداً حتى قتل فتفرق جيشه فرقتين فرقة سارت نحو الباب فالتقت بسليمان بن ربيعة الباهلى أخى عبد الرحمن الذى سيره سعيد مددا لأخيه فنجوا معه وفرقة سارت نحو جيلان وجرجان فيهم سلمان الفارسى وأبو هريرة الدوسى واستعمل سعيد مكان عبد الرحمن أخاه سليمان على غزو الباب واستعمل على الغزو بأهل الكوفة حذيفة بن اليمان وأمدهم أمير المؤمنين عثمان بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة فتأمر عليهم سليمان ابن ربيعة وامتنع حبيب أن يكون تحت إمرته حتى قال أهل الشام ولقد هممنا أن نضرب سليمان فقال الكوفيون إذا نضرب حبيباً ونحبسه وإن أبيتم كثرت القتلى فينا وفيكم وكان هذا أول شقاق حصل بين الكوفيين والشاميين ودبت البغضاء بينهم بسبب التنافس فى الرياسة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وفى السنة الثالثة والثلاثين حصل بالكوفة ما ينبىء بمصيرها من دون إلى أدنى فى الشقاق والتنازع لأن نزالهــا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قليلون وأهل السابقة والفضل من أهلها وزعهم سعيد ولاة على كور الكوفة من بلاد فارس وكان يجلس إلى سعيد كثير من

أهل الكوفة للسمر فكانوا يتذاكرون وقائعهم وحوادثهم وأدى ذلك إلى مشاجرة بعضهم بعضا واستخفوا بصاحب الشرطة لما نهاهم عن ذلك التنازع حتى أنهم ضربوه فطردهم سعيد من السمر عنده فابتعدوا وأقاموا فى مجالس لهم لا هم لهم إلا الوقيعة بسعيد ومن ولاه فكتب إلى أمير المؤمنين عثمان يخبرهم فكتب إليه أن يحمل رؤساهم إلى معاوية بالشام وكتب إلى معاوية إن نفراً خلقوا للفتنة فأقم عليهم وأنههم فإن آنست منهم رشداً فاقبل وإن أعيوك فارددهم على فلما قدموا على معاوية أكرمهم وأحسن وفادتهم وأجرى عليهم أرزاقهم كما كانوا بالعراق فلم تزدهم النعمة إلا بطراً واستخفوا بمعاوية واعترضوا على ولايته فقال لهم إنى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معصوماً فولانى وأدخلنى فى أمره ثم استخلف أبو بكر فولانى ثم استخلف عمر فولانى ثم استخلف عثمان فولانى ولم يولنى أحد إلا وهو عنى راض وإنما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم للأعمال أهل الجزاء من المؤمنين والغناء وإن الله ذو سطوات ونقمات يمكر بمن مكر به فلا تتعرضن لأمر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظهرون فإن الله غير تارككم حتى يختبركم ويبدى للناس سرائركم ؟ ولما رآهم ممن ضلوا على علم فلم تفدهم النصيحة كتب إلى عثمان يخبرهم فأرسل إليه أن سيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص فلما وصلوا إليه دعاهم فقال يا آلة الشيطان لا مرحبا بكم ولا أهلا قد رجع الشيطان محسورا أأنتم بعـــد فى نشاط خسر والله عبد الرحمن إن لم يؤدبكم يا معشر من لا أدرى أعرب هم أم عجم لا تقولوا لى ما بلغنى أنكم قلتم لمعاوية أنا ابن خالد بن الوليد أنا ابن من عجمته العاجمات أنا ابن فاقىء عين الردة والله يافلان لئن بلغنى أن أحداً ممن معى دق عنك ثم غمصك لأطيرن بكم طيرة بعيدة المهوى فأقامهم شهراً كلما ركب أمشاهم خلفه حتى قالوا نتوب إلى الله أقلنا أقالك الله فما زالوا به حتى قال تاب الله عليكم (ثم) إن سعيد بن العاص أمير الكوفة رحل إلى أمير المؤمنين فى أمور تخص ولايته

واستخلف على عمله عمرو بن حريث فقام جماعة من أهل الكوفة كرهوا ولاية سعيد واتفقوا على التوجه إلى عثمان واستعفائه منه وكاتبوا من عند عبد الرحمن بن خالد فساروا إليهم وخرج الجميع لذلك فقابلهم سعيد فى الطريق راجعا فأخبروه خبره فقال كان يكفيكم أن ترسلوا لعثمان رجلا وإلى رجلا ثم رجع إلى عثمان وأخبره بذلك وقال إنهم يريدون البدل بى ويحبون أبا موسى فولاه عثمان عليهم وكتب إليهم ( أما بعد فقد أمرت عليكم من اخترتم وأعفيتكم من سعيد ووالله لأقرضنكم عرضى ولأبذلن لكم صبرى ولأستصلحنكم بجهدى فلا تدعوا شيئاً أحببتموه لا يعصى فيه الله إلا استعفيتم منه أنزل فيه عند ما أحببتم حتى لايكون لكم على الله حجة ولنصبرن كما أمرنا حتى تبلغوا ما تريدون ) ثم جاء أبو موسى ودخل الكوفة وخطب أهلها وأمرهم بلزوم الجماعة ولم يزل والياً عليها حتى مات عثمان رضى الله عنه .

## فى البصرة

كان والى البصرة أول خلافة عثمان أبو موسى الأشعرى فأقام فيها إلى السنة التاسعة والعشرين ثم عزله عثمان وولى بدله عبد الله بن عامر بن كريز ابن ربيعة بن عبد شمس وجمع له جند أبى موسى وجند عثمان بن أبى العاص الثقفى من عمان والبحرين ( وفى ) عهده انتقض أهل فارس بأميرهم عبيدالله ابن معمر فسار إليهم عبيد الله ولاقاهم على باب اصطخر فقتل وانهزم من معه ولما بلغ ذلك ابن عامر سار إليهم بجيش كثيف فقاتلهم قتالا شديداً حتى هزمهم وفتح اصطخر عنوة وأتى دار ابجرد وقد غدر أهلها ففتحها وبلغه وهو هناك أن أهل اصطخر عادوا إلى غدرهم فرجع إليهم وفتحها ثالث مرة وقتل كثيرا من وجوه أهلها ثم وطىء أهل فارس وطأة لم يزالو منها فى ذل ( وفى ) عهده قتل يزدجرد ملك الفرس وهو آخر ملوكهم

والأخبار مضطربة فى كيفية قتله إلا أنهم اتفقوا على أنه قتل وحيداً طريداً لم يغن عنه هذا الملك الواسع شيئاً واتفقوا على أنه قتل بيد أعجمية وكان يتمنى إذ ذاك أن لو كان وقع فى يد العرب المسلمين فإنهم كانوا يبقون عليه فيعيش منعما فى ظل الإسلام الظليل ولكن أنى له ذلك والشقاء متى غلب لا يرد ؟ ( وفى ) السنة الحادية والثلاثين سار عبدالله بن عامر لفتح خراسان التى انتقض أهلها بعد موت عمر فلما وصل الطبسين وهما بابا خراسان تلقاه أهلها بالصلح فسار إلى قهستان فلقى أهلها وقاتلهم حتى ألجأهم إلى حصنهم ولما أقبل على المدينة طلب أهلها الصلح فصالحهم على ستمائة ألف درهم ثم قصد نيسابور فصالحه أهلها على ألف ألف درهم ثم وجه الأحنف بن قيس إلى طخارستان ثم إلى مرو الروز فلقيه جمع كثير من جموع المشركين فهزمهم ووجه الأقرع بن حابس التميمى إلى جمع من الفرس بالجوزجان ووصاه هو وقومه فقال ( يابنى تميم تحابوا وتباذلوا تصلح أموركم وأبدأوا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم ) فسار القوم حتى لقوا الأعداء فهزموهم ثم فتح الأحنف الطالقان صلحا وسار إلى بلخ فصالحه أهلها على أربعمائة ألف درهم ثم سار إلى خوارزم فلم يتمكن من فتحها فعاد عنها ( ثم ) رجع ابن عامر بعد أن فتح هذه البلاد العظيمة مرة ثانية فقيل له ما فتح الله على أحد مثل ما فتح عليك فارس وكرمان وسجستان وخراسان فقال لا جرم لأجعلن شكرى لله على ذلك أن أخرج معتمراً من موقفى هذا فأحرم بعمرة من نيسابور ( وبعد ثلاث سنين من إمارة ابن عامر بالبصرة بلغه أن رجلا نزل على حكيم بن جبلة العبدى وله آراء غير مقبولة فطلبه بن عامر فسأله من أنت فقال رجل من أهل الكتاب رغبت فى الإسلام وفى جوارك فقال مايبلغنى ذلك أخرج عنى فخرج حتى أتى الكوفة فأخرج منها فأتى الحجاز والشام فاخرج منهما فأتى مصر فعشش فيها ثم باض وفرخ وكان هذا الرجل هو عبد الله بن سبأ

وابن السوداء وهى أمه كان يهودياً ثم أظهر إسلامه مع ضمير خبيث وكانت له آراء فاسدة منها أنه كان يقول عجبت ممن يصدق برجوع المسيح ولا يصدق برجوع محمد وكان هذا ابتداء القول بالرجعة وكان يقول إن علياً وصى محمد وقد غصبه من ولى قبله حقه فالواجب على المسلمين أن يقوموا لإعادة الحق إلى أهله وقد تبع مذهبه كثير ممن طاشت أحلامهم فكان هذا من ضمن الأسباب التى أدت إلى عشق عصا الطاعة وافتراق الأمة الإسلامية التى لاينفعها إلا الاجتماع والاتحاد ولايضرها إلا الافتراق والاختلاف .

## فى الشام

فى أول ولاية أمير المؤمنين عثمان بن عفان جمع الشام كله لمعاوية ابن أبى سفيان بن حرب بن أمية وفى السنة الثانية من ولاية عثمان غزا معاوية الروم فبلغ عمورية ووجد الحصون التى بين طرطوس وانطاكية خالية فجعل عندها جماعة كثيرة من أهل الشام والجزيرة ثم رجع وأغزى الصائفة يزيد بن الحر العبسى ففعل مثل معاوية وفى هـــذه السنة أمره أمير المؤمنين أن يغزى حبيب بن مسلمة أرمينية فوجهه إليها فأتى قاليقلا وحاصرها وضيق على أهلها فطلبوا الصلح على الجلاء لمن أراد والجزية على من أقام فأجابهم وأقام حبيب بها شهراً ثم بلغه أن بطريق أرمينيا قس قد جاء إلى حربه فى ثمانين ألفاً وأرسل إلى عثمان بالخبر فبعث إلى الوليد بن عقبة أمير الكوفة أن يمده فأمده بسليمان بن ربيعة فى ثمانية آلاف كما قدمنا وأجمع حبيب ومن معه رأيهم على تبييت الروم فسمعته امرأته أم عبدالله بنت يزيد الكلبية فقالت أين موعدك غداً فقال سرادق الموريان ثم بيتهم فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم أتى السرادق فوجد امرأته قد سبقته إليه فكانت أول امرأة عربية ضرب عليها حجاب سرادق ثم عاد حبيب إلى قاليقلا ثم سار منها ونزل مربالا فأتاه بطريق خلاط بكتاب الصلح الذى كتبه له عياض بن غنم

بالأمان فأجراه عليه ثم سار فلقيه صاحب مكس وهى من السفرجان فقاطعه على بلاده ثم سار إلى ازدشاط فحاصرها ثم صالح أهلها ثم أتى إليه بطريق السفرجان فصالحه على جميع بلاده ثم سار إلى تفليس ففتحها وسار سليمان ابن ربيعة إلى أران ففتح البيلقان صلحاً على أن أمنهم على دمائهم وأموالهم وحيطان مدينتهم واشترط عليهم الجزية على الرءوس والخراج على الأرض ثم أتى مدينة برذعة فعسكر على الثرثور وهو نهر بينه وبينها فرسخ فقاتله أهلها أياماً ثم صالحوه وفتح رساتيق البلاد ودعا أكراد البلاشجان إلى الإسلام فأبوا فقاتلهم وظفر بهم فأقر بعضهم على الجزية ودفع بعضهم الزكاة وهم قليل ثم سار إلى سمكور ففتحها ثم خربت بعد ثم عمرت فى زمن المتوكل على الله العباسى وسميت المتوكلية ثم صالح جميع سكان البلاد التى هناك ورجع (وفى) السنة الثامنة والعشرين فتح معاوية جزيرة قبرص وغزا معه كثير من كبار الصحابة فيهم أبو ذر وعبادة بن الصامت ومعه زوجه أم حرام بنت ملحان التى أخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها فى أول من يغزو فى البحر (روى مسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعمته ثم جلست تفلى رأسه فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك قالت فقلت ما يضحكك يارسول الله قال ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة (يشك أيهما قال) قالت فقلت يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فدعا لها ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك قالت فقلت ما يضحكك يارسول الله قال ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله كما قال فى الأولى قالت يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم قال أنت من الأولين . وكان معهم أبو الدرداء وشداد بن أوس وكان معاوية كثيراً

مايتمنى غزو الروم فى البحر زمن عمر بن الخطاب فلا يأذن له لأن فيه غرراً بالمسلمين ولما كان زمن عثمان أذن وقال لاتنتخب الناس ولاتقرع بينهم فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه ففعل وسار من الشام إلى قبرص وأمده والى مصر عبد الله بن سعد بنفسه فاجتمعا عليها فصالحهم أهلها على سبعة آلاف كل سنة يؤدون إلى الروم مثلها لايمنعهم المسلمون من ذلك وليس على المسلمين منعهم ممن أرادهم من ورائهم وعليهم أن يعلموا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم ويكون طريق المسلمين إلى العدو عليهم وفى هـــذه الغزوة ماتت أم حرام بنت ملحان الأنصارية سابقة الذكر ألقتها بغلتها بجزيرة قبرص فماتت (واستعمل) معاوية على غزو البحر عبد الله بن قيس الجاسى فغزا خمسين غزوة من بين صائفة وشاتية فى البر والبحر ولم يغرق أحد من جيشه ولم ينكب ثم خرج مرة فى قارب طليعة فانتهى لمرفأ من الروم فنذروا به فجاءوا فقتلوه (وفى السنة الثلاثين شكا معاوية أبا ذر لعثمان وكان مذهب أبى ذر أن المسلم لاينبغى له أن يكون فى ملكه أكثر من قوت يوم أو ليلة أو شيء ينفقه فى سبيل الله أو يعده للتكريم) مستدلا بقوله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضه ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم * يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) ويميل إلى هذا المذهب مذهب الاشتراكيين الآن فكان أبو ذر رحمه الله يقوم بالشام ويقول يامعشر الأغنياء واســـوا الفقراء بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله بمكاو من النار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم حتى أولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبوه على الأغنياء فشكا الأغنياء مايلقونه من معاوية فكتب فى شأنه إلى عثمان فأرسل إليه أن سيره إلى فلما قدم المدينة ورأى المجالس فى أصل سلع قال بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكار ولما دخل على عثمان قال له ما لأهل الشام يشكون ذرب

لسانك فأخبره فقال يا أبا ذر على أن أقضى ما على وأن أدعوا الرعية إلى الاجتهاد والاقتصاد وما على أن أجبرهم على الزهد. فقال أبو ذر لا ترضوا من الأغنياء حتى يبذلوا المعروف ويحسنوا إلى الجيران والإخوان ويصلوا القرابات ثم طلب من عثمان أن يأذن له بالخروج من المدينة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بذلك إذا بلغ البناء سلعاً فسيره إلى الربذة فبنى بها مسجداً وأقطعه عثمان قطعة من الإبل وأجرى عليه العطاء فأقام أبو ذر منفرداً حتى أدركه الأجل المحتوم.

## فى مصر

كان عامل مصر فى أول خلافة عثمان (فاتحها) عمرو بن العاص وفى السنة الثانية من خلافته كاتب الروم بالقسطنطينية إخوانهم بالإسكندرية داعين إلى نقض الصلح فأجابوهم إلى ذلك. أما المقوقس فكان رجلا شريفاً لم يخن عهده فسار إلى الإسكندرية فى جمع عظيم من الروم فأرسوا بها. ولما بلغ ذلك عمرا سار إليهم وسار الروم إليه فاقتتل الفريقان بين مصر والإسكندرية حتى انهزم الروم وتبعهم المسلمون حتى أدخلوهم الاسكندرية وقتلوا منهم فى البلد مقتلة عظيمه وهدم عمرو سور المدينة (وفى) هذه السنة سير عمرو عبد الله بن سعد بن أبى سرح إلى أطراف أفريقية (سواحلها الشمالية من طرابلس إلى طنجة) غازيا بأمر عثمان ففتح وغنم ولما عاد استأذن عثمان فى الغزو ثانية فأذن له وقال إن فتح الله عليك فلك خمس الخمس نفلا وأمر عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع ابن الحارث على جند وأمرهما بالاجتماع مع عبد الله بن سعد فخرجوا حتى قطعوا أرض مصر ووطئوا أرض أفريقية وكانوا فى جيش كثير فيه عشرة آلاف من شجعان المسلمين فصالحهم ملك أفريقية على مال يؤدونه ولم يتوغلوا فى أفريقية لكثرة أهلها فعاد عبد الله بن سعد إلى مصر فولاه

عثمان خراجها وجعل عمرو بن العاص على الجند فلم يتفقا فجمع لابن سعد الخراج والجند وعزل بن العاص وعند ذلك استشار بن سعد عثمان فى غزو أفريقية والاستكثار لها من الجند فجهز إليه الجيوش من المدينة فسار ابن سعد إلى أفريقية وكان ملكها من قبل الروم واسمه جرجير وملكه من طرابلس إلى طنجة وكان يؤدى أتاوة إلى ملك الروم فلما بلغه خروج المسلمين تجهز لهم والتقى بهم بمكان بينه وبين سبيطلة عاصمة الملك يوم واحد بعد أن راسله عبد الله يدعوه إلى الإسلام أو دفع الجزاء فأبى ودام القتال بينهم أياما يقتتلون كل يوم إلى الظهر ثم يعودون وكان خبر المسلمين قد أبطأ على عثمان فأمدهم بجيش يرأسه عبد الله بن الزبير فلما وصلهم أشار على بن سعد أن يقسم الجيش قسمين قسم يقاتل إلى الظاهر ثم يخلفه الآخر حتى يهن المشركون فاتبع مشورته وأخرج القسم الأول فحارب إلى الظهر وأراد المشركون ترك القتال فلم يمكنهم المسلمون بل استمر القتال بالقسم الثانى حتى ضعف المشركون وانهزموا شر هزيمة وقتل جرجير ملك أفريقية قتله عبد الله بن الزبير وفتحت المدينة (ثم) بث السرايا فبلغت قفصة ففتحت وغنمت وسير سرية إلى حصن الأجم فحاصرته ثم فتحته صلحا ثم صالح بن سعد أهل أفريقية على ألفى ألف وخمسمائة ألف دينار وأرسل إلى عثمان بالبشارة والأخماس وعاد هو من أفريقية وكان مقامه فيها سنة وثلاثة أشهر ولما وصل خمس مغنم أفريقية إلى المدينة اشتراه مروان بن الحكم ثم حط عنه عثمان ثمنه وولى على أفريقية عبد الله بن نافع بن عبد القيس وجعل بن سعد على مصر فقط .

# القسم الثانى من الكتاب

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر الفتن على أمته وكثيراً ما كان يحذرهم منها لأن بأس الأمة متى انتقل من أعدائها إلى أنفسها ساءت حالها وفسد نظامها وصارت إلى الفوضى أقرب منها إلى الإصلاح وقد ورد عن المصطفى صلى الله عليه وسلم كثير من الأحاديث فى التحذير منها ولكن قدر فكان استكمل الفتح للأمة واستكمل الملك ونزل العرب بالأمصار على حدود ما بينهم وبين الأمم من البصرة والكوفة والشام ومصر وكان المختصون بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهتدون بهديه وآدابه المهاجرين والأنصار من قريش وأهل الحجاز ومن ظفر بمثل ذلك من غيرهم وأما سائر العرب من بكر بن وائل وعبد القيس وسائر ربيعة والأزد وكندة وتميم وقضاعة وغيرهم فلم يكونوا من تلك الصحبة بمكان إلا قليلا منهم وكان لهم فى الفتوحات قدم فكانوا يرون ذلك لأنفسهم مع ما يدين به فضلاؤهم من تفضيل أهل السابقة من الصحابة ومعرفة حقهم وما كانوا فيه من الذهول والدهش لأمر النبوة ونزول الوحى وتنزل الملائكة فلما انحسر ذلك الباب وتنوسى الحال بعض الشىء وذل العدو واستفحل الملك كانت عروق الجاهلية تنبض ووجدوا الرياسة عليهم للمجاهدين والأنصار من قريش وسواهم فأنفت نفوسهم ووافق ذلك أيام عثمان فكانوا يظهرون الطعن على ولاته بالأمصار والمؤاخذة لهم باللحظات والخطرات والتجنى بسؤال الاستبدال منهم والعزل ويفيضون فى النكير على عثمان وكان رأس هذه الفتنة ذلك الرجل اليهودى الذى قدمنا ذكره المسمى عبد الله بن سبأ .

قام بالدعوة لعلى بن أبى طالب زاعماً أنه وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أظلم ممن لم يجز وصيته فتبع مذهبه كثير من أهل الأهواء الذين لهم

قلوب لا يفقهون بها فقال لهم انهضوا فى هذا الأمر فإن عثمان أخذه بغير حق فكاتبوا أهل الأمصار فصادفوا من أهلها كثيراً يرون رأيهم حتى فشت المقالة فى الطعن على عثمان وولاته فبلغت هذه الأخبار أهل المدينة فسألوا عثمان عن ذلك فقال ما جاءنى عن ولاتى إلا السلامة وأنتم شركائى وشهود المؤمنين فأشيروا علىّ فأشاروا عليه أن يبعث رجالا إلى الأمصار للتحقق من هذه الأخبار فأرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة وأسامة بن زيد إلى البصرة وعبدالله بن عمر إلى الشام وعمار بن ياسر إلى مصر فرجع القوم كلهم وقالوا ما علمنا من أمرائك إلا خيراً ما عدا عمار بن ياسر فإنه انحاز إليه جماعة من السبئية ( أتباع ابن سبأ ) وملؤوه كلاما فى حق أمراء عثمان ومنعوه عن الرجوع إلى المدينة فكتب عبد الله بن سعد إلى عثمان يخبره فأرسل عثمان إلى سائر الأمصار ( إنى آخذ عمالى بموافاتى كل موسم وقد رفع إلى أهل المدينة أن أقواما يشتمون ويضربون فمن ادعى شيئا من ذلك فليواف الموسم يأخذ حقه حيث كان منى أو من عمالى أو تصدقوا فإن الله يجزى المتصدقين ) وبعث إلى عماله أن يوافوا الموسم فقدموا عليه : عبدالله بن عامر أمير البصرة وعبد الله بن سعد أمير مصر ومعاوية بن أبى سفيان أمير الشام فجمعهم وأدخل عمرو بن العاص السهمى وسعيد بن العاص الأموى وقال لهم ويحكم ما هذه الشكاية والإذاعة إنى والله لخائف أن تكونوا مصدوقا عليكم وما يعصب هذا إلا بى فقالوا له ألم تبعث ألم يرجع إليك الخبر عن العوام ألم يرجع رسلك ألم يشافههم أحد بشىء والله ما صدقوا ولا بروا ولا نعلم لهذا الأمر أصلا ولا يحل الأخذ بهذه الإشاعة فاستشارهم فى تسكين هذه الفتنة فقال ابن عامر أرى أن تشغلهم بالجهاد وقال ابن سعد استصلحهم بالمال وقال معاوية اجعل كفايتهم إلى أمرائهم وأنا أكفيك الشام وقال ابن العاص أرى أنك قد نلت لهم ورضيت عليهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر فأرى أن تلزم طريق صاحبك فتشد فى موضع الشدة وتلين فى موضع اللين وقال

سعيد متى تهلك قادتهم يتفرقوا فقال عثمان قد سمعت كل ما أشرتم به ولكل أمر باب يؤتى منه إن هذا الأمر الذى يخاف على هذه الأمة كائن وإن بابه الذى يغلق عليه ليفتحن فنكفكفه باللين والمواتاة إلا فى حدود الله فإن فتح فلا يكونن لأحد على حجة وقد علم الله أنى لم آل الناس خيراً وإن رحى الفتنة دائرة فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها سكنوا الناس وهبوا لهم حقوقهم فإذا تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا ، ثم نفر ونفر الأمراء إلى بلادهم وصحبه معاوية لأن طريقه على المدينة فلما قدماها جمع عثمان كبار الصحابة فقام معاوية فحمد الله ثم قال أنتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيرته من خلقه وولاة أمر هذه الأمة لا يطمع فيه أحد غيركم اخترتم صاحبكم عن غير غلبة ولا طمع وقد كبر وولى عمره ولو انتظرتم به الهرم لكان قريبا مع أنى أرجوا أن يكون أكرم على الله تعالى من أن يبلغه ذلك وقد فشت مقالة خفتها عليكم فما عتبتم فيها من شيء فهذه يدى ولا تطمعوا الناس في أمركم فوالله إن طمعوا فيها لا رأيتم منها أبداً إلا إدبارا فنهره على ابن أبي طالب فقال عثمان صدق ابن أخى وأنا أخبركم عنى وعما وليت إن صاحبي اللذين كانا قبلى ظلما أنفسهما ومن كان منهما بسبيل احتساباً وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطى قرابته وأنا فى رهط أهل عيلة وقلة معاش فبسطت يدى فى شيء من ذلك لما أقوم به فيه فان رأيتم ذلك خطأ فردوه فأمرى لأمركم تبع فقالوا قد أصبت وأحسنت أعطيت خالد بن أسيد خمسين ألفاً ومروان بن الحكم ثمانين ألفاً فأخذ منهما ذلك فرضوا وخرجوا راضين ثم خرج معاوية إلى الشام بعد أن عرض على عثمان الخروج معه فلم يقبل ضنا بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار معاوية ومر فى سيره على نفر من المهاجرين فيهم على وطلحة والزبير فقال قد علمتم أن هذا الأمر كان الناس يتغالبون عليه حتى أرسل الله نبيه وكانوا يتفاضلون بالسابقة والقدمة والاجتهاد فان أخذوا بذلك فالأمر أمرهم والناس لهم تبع وإن

طلبوا الدنيا بالتغالب سلبوا ذلك ورده الله إلى غيرهم وإن الله على البدل لقادر وإنى قد خلفت فيكم شيخا فاستوصوا به خيراً وكاتفوه تكونوا أسعد منه بذلك ثم مضى أما أهل الأمصار المنحرفون عن عثمان فانهم لم يرتدعوا عن غيهم وجاءتهم كتب من المنحرفين بالمدينة يقولون لهم أقدموا علينا فان الجهاد عندنا فاتعد جميعهم شوال يخرجون فيه مظهرين الحج فخرج المصريون فى خمسمائة عليهم الغافقى بن حرب وخرج أهل الكوفة فى عدد أهل مصر وكذلك أهل البصرة ولما كانوا على ثلاث ليال من المدينة نزل أهل البصرة خشباً ( موضع هناك ) ونزل أهل الكوفة الأعوص ومعهم جماعة من أهل مصر ونزل جميعهم بذى المروة وكانت أهواؤهم مختلفة فيمن يلى الخلافة بعد عثمان فالكوفيون يريدون طلحة بن عبيد الله والبصريون الزبير بن العوام والمصريون عليا فاجتمع وفد من أهل كل مصر وذهبوا إلى من هواهم فأتى أهل مصر عليا فسلموا عليه وعرضوا عليه أمرهم فصاح بهم وطردهم وقال لقد علم الصالحون أنكم ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك قال طلحة والزبير لمن جاءهم فانصرف الجميع مظهرين الرجوع إلى بلادهم حتى تفرق أهل المدينة ثم لم يشعروا إلا والتكبير فى نواحيها وأحيط بدار عثمان ونودى « من كف يده فهو آمن » فلزم الناس بيوتهم واستغربوا رجوع الثوار بعد الإذعان بما طلبوه من إعفائهم من العمال الذين يطلبون عزلهم فأتى محمد بن مسلمة المصريين وقال لهم ما الذى أرجعكم بعد ذهابكم فقالوا أخذنا كتابا من البريد مع خادم عثمان لعامل مصر يأمره فيه بقتلنا ثم سأل البصريين عن مجيئهم فقالوا لنصر إخواننا وكذلك قال الكوفيون فقال كيف علمتم بما لقى أهل مصر وكلكم على مراحل من صاحبه حتى رجعتم إلينا جميعاً هذا أمر أبرم بليل فقالوا اجعلوه كيف شئتم لا حاجة لنا بهذا الرجل ليعتزلنا فأخذوا منهم الكتاب وسألوا عثمان هل هو كاتبه فقال عثمان والله ما كتبت ولا أمرت ولا علمت فقال على ومن

معه من كبار الصحابة صدق عثمان فقال المصريون إذاً من كتبه فقال عثمان لا أدرى قالوا فيجترأ عليك ويبعث غلامك وجمل من إبل الصدقة وينقش على خاتمك ويكتب إلى عاملك بهذه الأمور العظيمة وأنت لاتدرى قال نعم قالوا ما أنت إلا صادق أو كاذب فإن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع لما أمرت به من قتلنا وإن كنت صادقاً فقد استحققت الخلع لضعفك عن هذا الأمر ولا ينبغى لنا أن نترك هذا الأمر بيد من تقطع الأمور دونه فاخلع نفسك قال لا أخلع قميصاً ألبسنيه الله ولم يلهم الله أحداً أن يحقق أمر هذا الكتاب إذ كيف اتحدوا على الرجوع بعد افتراقهم فى طرق مختلفة . أما تهمة مروان به فلم تثبت بل حينما سألوه حلف أنه لم يكتب ولم يجعل الله فى دينه القويم دليلا على تبرئة المتهم غير يمينه إن لم تكن هناك بينة ولكن الفتنة متى كشرت عن نابها ضاع السداد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ثم قام الثوار بحصر أمير المؤمنين وصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المشهود له بالجنة حصاراً شديدا حتى منعوه الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل عثمان إلى على وطلحة والزبير فحضروا فأشرف عليهم فقال أيها الناس اجلسوا فجلس المسالم منهم والمحارب ثم قال يا أهل المدينة أستودعكم الله وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدى ثم قال أنشدكم الله هل تعلمون أنكم عند مصاب عمر سألتم الله أن يختار لكم ويجمعكم على خيركم أتقولون إن الله لم يستجب لكم وهنتم عليه وأنتم أهل حقه أم تقولون هان على الله دينه فلم يبال من ولى الدين بتفرق أهله يومئذ أم تقولون لم يكن أخذ عن مشورة وإنما كان مكابرة فوكل الله الأمة إذ عصته ولم يشاوروا فى الإمارة أم تقولون إن الله لم يعلم عاقبة أمرى وأنشدكم الله هل تعلمون أن لى من سابقة خير وقدم خير قدم الله لى بحق على كل من جاء من بعدى أن يعرفوا لى فضلها فمهلا لاتقتلونى فإنه لا يحل إلا قتل ثلاث رجل زنى بعد إحصان أو كفر بعد إيمان أو قتل نفسا بغير حق فإنكم إذا

فلتمونى وضعتم السيف على رقابكم ثم لم يرفع الله عنكم الاختلاف أبداً فقال الثوار أما ما ذكرت من استخارة الناس بعد عمر ثم ولوك فإن كل ما صنع الله خير ولكن الله جعلك بلية ابتلى بها عباده وأما ما ذكرت من قدمك وسبقك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كنت كذلك وكنت أهلا للولاية ولكن أحدثت ما علمت ولا نترك إقامة الحق عليك خوف الفتنة عاماً قابلا وأما قولك إنه لايحل إلا قتل ثلاثة فإنا نجد فى دين الله غير الثلاث الذى سميت قتل من سعى فى الأرض فساداً وقتل من بغى ثم قاتل على بغيه وقتل من حال دون شىء من الحق ومنعه وقاتل دونه وقد بغيت ومنعت وحلت دونه وكابرت عليه ولم تقدمن نفسك من ظلمت وقد تمسكت بالإمارة علينا فإن زعمت أنك لم تكابرنا عليها فإن الذين قاموا دونك ومنعوك منه إنما يقاتلون لتمسكك بالإمارة فلو خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال معك فلم يجبهم عثمان ولزم داره وكان كثير من أهل المدينة أتوا حول داره ليذبوا عنه فأمرهم بالانصراف فانصرفوا إلا قليلا منهم الحسن بن على وابن عباس وابن الزبير ومحمد بن طلحة وكان عثمان رضى الله عنه يكره جدا أن يحدث قتال بالمدينة فى زمنه فكان يتباعد عنه بقدر ما أمكنه حتى كان ينهى أهل بيته عن تجريد السلاح وكان يطاول الثوار ويكثر لهم من الخطب ويرسل إليهم على ابن أبى طالب المرة بعد المرة يعدهم بالرضوخ إلى مطالبهم وهم لايزدجرون بل كلما سد عليهم بابا من أبواب الفتن فتحوا غيره فمنعوا الماء عن خليفة المسلمين فجاءهم على بالغلس فقال ياأيها الناس إن الذى تفعلون لايشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين فلا تقطعوا عنه الماء ولا المادة فإن الروم وفارس لتأس فتطعم وتسقى فقالوا لا والله ولا نعمة عين فانصرف وجاءت أم المؤمنين حبيبة بنت أبى سفيان مشتملة على إداوة فضربوا وجه بغلتها فقالت إن وصايا بنى أمية عند هذا الرجل فأحببت أن أسأله عنها لئلا تهلك أموال الأيتام والأرامل فقالوا كاذبة وقطعوا حبل بغلتها بالسيف فنفرت

وكادت أم المؤمنين تسقط عنها فتلقاها الناس وذهبوا بها إلى بيتها ثم أشرف عثمان على الناس بعد منع الماء عنه فقال أنشدكم الله هل تعلمون أنى اشتريت بئر رومة بمالى ليستعذب بها فجعلت رشائى فيها كرجل من المسلمين قالوا نعم قال فلم تمنعونى أن أشرب حتى أفطر على ماء البحر ثم قال أنشدكم الله هل تعلمون أنى اشتريت أرض كذا فزودتها فى المسجد قالوا نعم قال فهل علمتم أن أحداً منع فيه الصلاة من قبلى ثم قال أنشدكم الله أتعلمون أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عنى كذا وكذا الأشياء عددها فى مآثره فأثرت مقالته فى كثير منهم حتى قالوا مهلا عن أمير المؤمنين فصرخ بهم شيطان هذه الفتنة اهله مكر به وبكم فازدادوا عتوا وخرجت أم المؤمنين عائشة حاجة وقد سئمت المقام بالمدينة مع هذه الفتن وطلبت من ابن أخيها محمد بن بكر أن يتبعها فأبى لأنه كان من المنحرفين عن عثمان فقال له حنظلة الكاتب تستتبعك أم المؤمنين ولا تتبعها ثم تتبع ذؤبان العرب إلى مالا يحل وإن هذا الأمر إن صار إلى التغالب غلبك عليك بنو عبد مناف وأمر عثمان عبد الله بن عباس أن يحج بالناس فقال : قتال هؤلاء أحب إلى من الحج فعزم عليه إلا ما أطاع فخرج للحج وكتب معه كتابا يعلم المسلمين أمره ونصه عن الطبرى.

( بسم الله الرحمن الرحيم ) من عبد الله عثمان أمير المؤمنين سلام عليكم فإنى أحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو . أما بعد فإنى أذكركم بالله جل وعز الذى أنعم علينا وعليكم بالإسلام وهداكم من الضلالة وأنقذكم من الكفر وأراكم البينات وأوسع عليكم من الرزق ونصركم على العدو وأسبغ عليكم نعمته فإن الله عز وجل يقول وقوله الحق ( وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ) وقال عز وجل ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته

إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ‹ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ‹ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ) وقال عز وجل وقوله الحق ( واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا ) وقال وقوله الحق ( يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ‹ واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ‹ فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم ) وقال عز وجل ( إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ) وقال وقوله الحق ( فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ) وقال وقوله الحق ( ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ‹ ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ‹ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ‹ ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ‹ ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلا إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ‹ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ) وقال وقوله الحق ( أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه

إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ) وقال وقوله الحق ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لايشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ) وقال وقوله الحق ( إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً ) أما بعد فإن الله عز وجل رضى لكم السمع والطاعة والجماعة وحذركم المعصية والفرقة والاختلاف ونبأكم ما قد فعله الذين من قبلكم وتقدم إليكم فيه ليكون له الحجة عليكم إن عصيتموه فاقبلوا نصيحة الله عز وجل واحذروا عذابه فإنكم لن تجدوا أمة هلكت إلا من بعد أن تختلف إلا أن يكون لها رأس يجمعها ومتى ما تفعلوا ذلك لا تقيموا الصلاة جميعاً وسلط عليكم عدوكم ويستحل بعضكم حرم بعض ومتى يفعل ذلك لايقم لله سبحانه وتعالى دين وتكونوا شيعاً وقد قال الله عز وجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ( إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ) وإنى أوصيكم بما أوصاكم الله وأحذركم عذابه فإن شعيباً صلى الله عليه وسلم قال لقومه ( يا قوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أوقوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد ﴿ واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربى رحيم ودود ) ،

أما بعد فإن أقواماً ممن كان يقول فى هذا الحديث أظهروا للناس إنما يدعون إلى كتاب الله عز وجل والحق ولا يريدون الدنيا ولا منازعة فيها فلما عرض عليهم الحق إذا الناس فى ذلك شتى منهم آخذ للحق ونازع عنه حتى يعطاه ومنهم تارك للحق ونازل عنه فى الأمر يريد أن يبتزه بغير الحق طال عليهم عمرى وراث عليهم أملهم الإمرة فاستعجلوا القدر وقد كتبوا

إليكم أن قد رجعوا بالذى أعطيتهم ولا أعلم أنى تركت من الذى عاهدتهم
عليه شيئاً ، كانوا زعموا أنهم يطلبون الحدود فقلت أقيموها على من علمتم
أنه تعداها أقيموها على من ظلمكم من قريب ، أو بعيد قالوا كتاب الله يتلى
فقلت فليته من تلاه غير غال فيه بغير ما أنزل الله فى الكتاب وقالوا
المحروم يرزق والمال يوفى ليستن فيه السنة الحسنة ولا يعتدى فى الخمس
ولا فى الصدقة ويؤمر ذوالقوة والأمانة وترد مظالم الناس إلى أهلها فرضيت
بذلك واصطبرت له وجئت نسوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى كلمتهن
فقلت ما تأمرننى فقلن تؤمر عمرو بن العاص وعبد الله بن قيس ولا تدع
معاوية فإنما أمره أمير قبلك فإنه مصلح لأرضه راض به جنده واردد عمراً
فإن جنده راضون به وأمره فليصلح أرضه فكل ذلك فعلت وإنه اعتدى
على بعد ذلك وعدى على الحق كتبت إليكم وأصحابى الذين زعموا فى الأمر
واستعجلوا القدر ومنعوا منى الصلاة وحالوا بينى وبين المسجد وابتزوا
ما قدروا عليه بالمدينة كتبت إليكم كتابى هذا وهم يخبروننى بين ثلاث
إما يقيدوننى بكل رجل أصبته خطأ أو صواباً غير متروك منه شىء
وإما أعتزل الأمر فيؤمرون آخر غيرى وإما يرسلون إلى من أطاعهم من
الأجناد وأهل المدينة فيتبرءون من الذى جعل الله سبحانه وتعالى لى عليهم
من السمع والطاعة فقلت لهم أما إقادتى من نفسى فقد كان من قبلى خلفاء
تخطىء وتصيب فلم يستقد أحد منهم وقد علمت أنما يريدون نفسى وأما أن
أتبرأ من الإمارة فإن يكلبونى أحب إلىّ من أن أتبرأ من عمل الله عزوجل
وخلافته وأما قولهم يرسلون إلىّ الأجناد وأهل المدينة يتبرءون من طاعتى
فلست عليهم بوكيل ولم أكن استكرهتهم من قبل على السمع والطاعة ولكن
أتوا طائعين يبتغون مرضاة الله عز وجل وإصلاح ذات البين ومن يكن
منكم إنما يبتغى الدنيا فليس بنائل منها إلا ما كتب الله عز وجل له ومن
يكن إنما يريد وجه الله والدار الآخرة وصلاح الأمة وابتغاء مرضاة الله

عز وجل والسنة الحسنة التى استن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتان من بعده رضى الله عنهما فإنما يجزى بذلكم الله وليس بيدى جزاؤكم ولو أعطيتكم الدنيا كلها لم يكن فى ذلك ثمن لدينكم ولم يغن عنكم شيئاً فاتقوا الله واحتسبوا ما عنده فمن يرضى بالنكث منكم فإنى لا أرضاه له ولا يرضى الله سبحانه وتعالى أن تنكثوا عهده وأما الذى يخيروننى فإنما كله النزع والتأمير فملكت نفسى ونظرت حكم الله وتغيير النعمة من الله سبحانه وكرهت سنة السوء وشقاق الأمة وسفك الدماء فإنى أنشدكم الله والإسلام ألا تأخذوا إلا الحق وتعطوه منى وترك البغى على أهله وخذوا بيننا بالعدل كما أمركم الله عز وجل فإنى أنشدكم الله سبحانه الذى جعل عليكم العدل والمؤازرة فى أمر الله فإن الله سبحانه قال وقوله الحق (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا) فإن هذه معذرة إلى ربكم ولعلكم تذكرون .

أما بعد فإنى لا أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم وإن عاقبت أقواما فما ابتغى بذلك إلا الخير وإنى أتوب إلى الله عز وجل من كل ما عملته واستغفره إنه لا يغفر الذنوب إلا هو إن رحمة ربى وسعت كل شىء إنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الضالون وإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون وأنا أسأل الله عز وجل أن يغفر لى ولكم وأن يؤلف قلوب هذه الأمة على الخير ويكره إليها الفسق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أيها المؤمنون والمسلمون . فقرأه عليهم ابن عباس يوم التروية . أما الثوار فمنعوا الناس عن مخالطة عثمان ومكالمته ولما خافوا أن يطول عليهم الأمر فتأتيهم جنود الأمصار قصدوا الباب فقاتلهم جمع من أولاد الصحابة ولكن أنى يعملون وقد جاءهم مالا قبل لهم به ؟ وأشار عثمان على من قاتل أن يكف وهو فى حل من نصرته فأحرق الثوار الباب ودخلوا عليه وهو يقرأ القرآن فلم يشغله ما رأى عن تلاوته ثم قال لمن عنده بالدار إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى

عهداً فأنا صابر عليه ولم يحرقوا الباب إلا وهم يريدون أعظم منه وأمرهم بالانصراف ثم قال للحسن بن على إن أباك انى شغل عظيم من أمرك فأقسمت عليك لما خرجت إليه فلم يسمعوا قوله وقاتلوا دونه ولكن أنى لهم ذلك وهم فى قلة والعدو كثير ؟ فقتل بعضهم وجرح بعض ونجا آخرون ثم تسور بعض الثوار دار بنى حزم المجاورة لدار عثمان وخلوا عليه فقال قائل اخلعها وندعك فقال عثمان ويحك والله ما كشفت امرأة فى جاهلية ولا إسلام ولا تغنيت ولا تمنيت ولا وضعت يمينى على عورتى منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم واست خالعا قميصا كسانيه الله حتى يكرم الله أهل السعادة ويهين أهل الشقاوة فخرج الرجل ولم يصنع شيئا ثم جاء آخر فقال له كما قال الأول فرجع فجاءهم عبد الله بن سلام وقال لهم يا قوم لا تسلوا سيف الله فيكم فو الله إن سللتموه لا تغمدوه ويلكم إن سلطانكم اليوم يقوم بالدرة فإن قتلتموه لا يقوم إلا بالسيف ويلكم إن مدينتكم محفوفة بالملائكة فإن قتلتموه لتتركنها فشتموه ثم دخل على عثمان الذين كتب عليهم الشقاوة فقتلوا هذه النفس الزكية ظلما وعدوانا فى الشهر الحرام والبلد الحرام لثمان عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وهذا هو التاريخ المشئوم الذى كان فيه فتح الشر والشقاق بين المسلمين وكان عمره اثنتين وثمانين سنة وهذا أمر خولف فيه الشرع جهاراً فى عاصمة الخلافة الإسلامية ومهبط الوحى النبوى شقوا عصا طاعة الإمام الذى انتخب انتخاباً شرعيا وأقر عليه أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين عهد إليهم بذلك عمر بن الخطاب ولم يكن ثم ما يوجب الخروج عليه إذ لا يوجبه إلا الكفر البواح كما هو نص حديث عبادة بن الصامت المتقدم ولم يقل بذلك أحد منهم فى حق عثمان ولا حكم به قاض مستنداً إلى كتاب أو سنة وكل ما نقموه عليه أمور لا حرج على الإمام فى فعلها منها تولية أقاربه وليس فى هذا أدنى عيب لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى عليا

وهو ابن عمه وإذا كانت تولية القريب عيباً لنهى عنها عليه السلام ولم يفعلها ومع كل ذلك فالإسلام سوى بين الناس لا قريب عنه ولا بعيد فالأمر موكول لرأى الإمام الذى ألقيت إليه مقاليد الأمة فإن ولى من حاد عن الدين شكونا إليه فإن لم يقبل صبرنا كما أمر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن شق عصا الجماعة من مصايب الأمم التى تسرع إليها بالخراب وليس فى الشرع مبيح خلع الإمام إلا كفره الصراح (ومما) نقموه على عثمان إخراجه أباذر إلى الربذة وقد قدمنا لك سبب إخراجه لأن مذهبه الذى كان يدعو إليه ليس مقبولا ويمكن أن يحدث منه قيام الفقراء ضد الأغنياء فيحدث مالا يحمد (ومن) ذلك زيادة النداء الثالث على الزوراء يوم الجمعة وهذا إنما فعله لكثرة المسلمين وانتشارهم فى أنحاء المدينة مما لم يكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن) ذلك إتمامه الصلاة فى منى وعرفة وكان الأمر فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين من بعده على القصر ولما سأله عبد الرحمن بن عوف عن ذلك أبدى سببا واضحا فقال بلغنى أن بعض حاج اليمن والجفاة جعل صلاة المقيم ركعتين من أجل صلاتى وقد اتخذت بمكة أهلا ولى بالطائف مال وهو عذر له رضى الله عنه وإن لم يقبله عبد الرحمن (ومن) ذلك سقوط خاتم النبى صلى الله عليه وسلم من يده فى بئر أريس وعدم لقيه (ومن) ذلك تنازله لمروان بن الحكم عن ثمن خمس مغانم أفريقية ولم يمنع الشرع الإمام أن ينفل من شاء من المسلمين ما لم ينفل غيره فقد روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد كان ينفل بعض من يبعث من السرايا لأنفسهم خاصة سوى قسم عامة الجيش وكان عليه الصلاة والسلام يسهم أحياناً لبعض من لم يحضر الغزوة كما أسهم لبعض المتخلفين عن بدر ولمن قدموا عليه يوم خيبر من مهاجرة الحبشه والدوسيين ، فإذا نظرت رعاك الله لهذه الأمور التى نقموها على عثمان رضى الله عنه لم تر منها شيئا يشينه ولم يخرج فى شىء منها عن حدود

الشرع ولـكن أولئك قوم بطروا فطلبوا لأنفسهم ما ليس لهم فحق عليهم العذاب قال تعالى ( واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منـكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب ) وقد عاقب سبحانه فأبلغ العقوبة . نسأله سبحانه أن يرفع عنا مقته وغضبه ويوفقنا لما فيه رضاه بمنه وكرمه .

# خلافة على

ظل المسلمون حيارى بعد قتل الخليفة المظلوم لا يجدون لهم ملجأ كأنهم فوضى ولم يكن أمامهم من يصلح للخلافة بعد عثمان إلا علىّ بن أبى طالب فذهب إليه معظمهم يطلبون منه أن يلى الخلافة فقدر المستقبل حق قدره وعلم أنه إنما يستقبل فتنة سائرة لا مرد لها فقال لهم التمسوا غيرى فإنا مستقبلون أمراً له وجوده وله ألوان لا تقوم به القلوب ولا تثبت عليه العقول فناشدوه الله والدين فقال قد أجبتكم واعلموا أنى إن أجبتم ركبت بكم ما أعلم وإن تركتمونى فإنما أنا كأحدكم إلا أنى من أطوعكم وأسمعكم لمن وليتموه فأبوا إلا إياه ثم رأوا أن هذا الأمر لا يتم إلا بمبايعة الزبير وطلحة فذهب إليهما جماعة وأتوا بهما فبايعاه قيل كرهاً وقيل إن الزبير لم يبايع أصلا ثم قام الناس فبايعوه وتخلف عن بيعته جمع من أكابر الصحابة فى المدينة كسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وعبد الله بن عمر وأسامة ابن زيد والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن سلام وقدامة بن مظعون وأبى سعيد الخدرى وكعب بن عجرة وكعب بن مالك والنعمان بن بشير وحسان بن ثابت ومسلمة بن مخلد وفضالة بن عبيد وغيرهم من أكابر الصحابة فى الأمصار (مقدمة ابن خلدون) ولما رأى على أن بيعته تمت قام فخطب فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (أيها الناس إن الله أنزل كتاباً هادئاً يبين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر ، الفرائض أدوها إن الله تعالى يؤدكم إلى الجنة إن الله حرم حرمات غير مجهولة وفضل حرمة المسلمين على الحرم كلها وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق لا يحل دم امرىء مسلم إلا بما يجب بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم الموت فإن الناس أمامكم وإنما خلفكم الساعة تحدوكم فخففوا

تلحقوا فإنما ينتظر بالناس أخراهم . اتقوا الله عباد الله فى بلاده وعباده إنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم ، أطيعوا الله ولا تعصوه وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض ) ثم نزل .

## ترجمة على

هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمى القرشى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه فاطمة بنت أسـد بن هاشم ابن عبد مناف ولد رضى الله عنه فى السنة الثانية والثلاثين من ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بعث عليه السلام كان على دون البلوغ وكان مقيما معه فى منزله يطعمه ويسقيه لفاقة لحقت بأبيه فاهتدى بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتدنس بدنس الجاهلية من عبادة الأوثان وغيرها ولما هاجر عليه السلام من مكة إلى المدينة فداه على بنفسه ونام على فراشه ليظن المحاصرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل نائماً فلا يتبعونه ثم لحقه بعد قليل وشهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم غزواته كلها إلا غزوة تبوك فإنه خلفه فى أهل بيته وقال له أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدى وكان له القدم الثابت فى جميع الغزوات فهو أول المبارزين يوم بدر وممن ثبت يوم أحد وحنين وعلى يديه فتحت خيبر وزوجه عليه السلام بنته فاطمة فى السنة الثانية من الهجرة فجاء منها بالحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى وناب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قراءة أوائل التوبة فى موسم الحج إيذانا ببراءة الله ورسوله من المشركين . ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبويع أبو بكر بايعه على مع أنه كان يرى له حقا فى الخلافة لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه كان يكره الخلاف ولذلك كان محمد

ابن سيرين التابعى يكذب كل ما نسب لعلى من الأقوال التى فيها حط من مقام الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما كما روى ذلك البخارى فى صحيحه ولما ولى عمر بايعه كذلك وزوجه بنته أم كلثوم وكثيراً ما كان عمر يستخلفه على المدينة إذا غاب عنها . ولما بويع عثمان بايعه كذلك حتى كان آخر خلافته وقام عليه الثوار وشنعوا عليه بتولية أقاربه وكان على كثيراً ما يمحض له النصح ويرشده إلى مافيه النجاح والفلاح فلما حل القضاء المبرم واستشهد عثمان أقبل عليه المسلمون وبايعوه بالخلافة لخمس بقين من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين فقام بها رضى الله عنه ما يقارب خمس سنين لم يصف له فيها يوم وكان أمر الله قدراً مقدوراً كان رضى الله عنه آدم شديد الأدمة ثقيل العينين عظيمهما ذا بطن أطلع عظيم اللحية كثير شعر الصدر هو إلى القصر أقرب وكان ضخم عضلة الذراع دقيق مستدقها ضخم عضلة الساق دقيق مستدقها وكان من أحسن الناس وجهاً ولا يغير شيبه كثير التبسم وله من الأولاد غير من ذكرناهم العباس وجعفر وعبدالله وعثمان وعبيد الله وأبو بكر ومحمد الأصغر ويحيى وعمر ورقية ومحمد الأوسط ومحمد الأكبر الشهير بابن الحنفية وأم الحسن ورملة الكبرى وأم كلثوم الصغرى وأم هانىء وميمونة وزينب الصغرى ورملة الصغرى وفاطمة وأمامة وخديجة وأم الكرام وأم سلمة وأم جعفر وجمانة ونفيسة من أمهات شتى وأعقب من هؤلاء الحسنان ومحمد الأكبر وعباس وعمر .

## أعمال على

أول إمارته بعث عمالا على الأمصار غير جميع عمال عثمان فبعث على البصرة عثمان بن حنيف الأنصارى بدل عبدالله بن عامر وعلى الكوفة عمارة ابن شهاب بدل أبى موسى الأشعرى وعلى اليمن عبيد الله بن عباس بدل يعلى ابن منبة وعلى مصر قيس بن سعد بن عبادة بدل عبد الله بن سعد وعلى الشام

سهل بن حنيف بدل معاوية ابن أبى سفيان وأمر كلا بالتوجه إلى عمله فأما عثمان بن حنيف فتوجه إلى البصرة ولم يرده عنها أحد ولم يعارضه ابن عامر وأما عمارة بن شهاب فقابله وهو قريب من الكوفة طليحة بن خويلد الأسدى فقال له ارجع فإن القوم لا يريدون بأميرهم بدلا فرجع إلى على وأما عبيد الله بن عباس فلما قارب اليمن خرج منها يعلى بن منبة وأخذ كثيراً من الأموال وذهب إلى مكة فدخل عبيد الله اليمن غير معارض وأما قيس ابن سعد فلما وصل مصر افترق أهلها عليه ففرقة دخلت فى الجماعة وفرقة اعتزلت بخربتا وقالوا لا نكون مع على إلا إن قتل قتلة عثمان وفرقة قالوا نحن مع على إلا إن قاد من إخواننا فكتب قيس إلى على بذلك وأما سهل ابن حنيف فلما وصل تبوك قابلته خيل عليها رجال من أهل الشام فردوه وامتنع معاوية من بيعة على واحتج على خلافته لأنه ظن فيه الهوادة فى نصرة عثمان على قاتليه ومعاوية يرى لنفسه حقاً عظيما فى القصاص من قتلة عثمان لأنه وليه والله تعالى يقول (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف فى القتل) ولم ير فى الامتناع عن البيعة خروجا على الإمام لأنه رأى أن بيعة على لم تنعقد حيث لم تكون بإجماع ذوى الحل والعقد كما قدمنا فأرسل إليه رجلا بطومار ليس فيه شىء من الكتابة وعنوانه من معاوية إلى على بن أبى طالب وأمره إذا قدم المدينة أن يرفعه ليعلم الناس أنه مخالف ففعل الرجل ما أمر به فلما علم أهل المدينة بذلك أحبوا أن يعلموا رأى على فى هذه المشكلة أيقاتل معاوية أم يحذر ذلك فدسوا إليه زياد بن حنظلة وكان منقطعاً إليه فقال له على يا زياد تيسر قال لأى شىء قال لغزو الشام فقال زياد الأناة والرفق أمثل وأنشد :

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة  يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

وقال على :

متى تجمع القلب الذكى وصارما  وأنفا حميا تجتنبك المظالم

فخرج زياد فقالوا له ما وراءك قال السيف وقد عد على خلاف معاوية بغيا وخروجا عن طاعته لأنه رأى أن بيعته انعقدت بمن بايع فلزمت من لم يبايع وأرسل إلى أهل الأمصار يستنفرهم لقتال معاوية وكان الزبير ابن العوام وطلحة بن عبد الله قد خرجا يريدان العمرة فبينما على يتجهز إذ جاءه خبر لم يكن فى حسابه وهو خلاف طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة وأنهم قصدوا البصرة وسبب ذلك أن أم المؤمنين لما قضت حجها بلغها وهى عائدة قتل عثمان وخلافة على فقالت قتل عثمان والله مظلوما والله لأطلبن بدمه فرجعت إلى مكة وخطبت الناس فقالت : ( أيها الناس إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هـذا الرجل المقتول ظلماً بالأمس ونقموا عليه استعمال من حدثت سنه وقد استعمل أمثالهم قبله ومواضع من الحمى حماها لهم فتابعهم ونزل لهم عنها فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام والله لأصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم ووالله لو أن الذى اعتدوا به عليه ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه إذ ماصوه (غسلوه) كما يماص الثوب بالماء وتبعها فى رأيها عبد الله بن الحضرمى عامل مكة ومن هرب من بنى أمية من المدينة وقدم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة ويعلى بن منية من الكوفة وتبعها أيضا الزبير وطلحة وكان كثير من الصحابة يرون أن أول الواجبات على المسلمين فى هذا الوقت هو تتبع قتلة عثمان والقصاص منهم إقامة لحد الله ورأوا أنه لايصلح تأخيره مهما نتج منه فكأن إقامة هذا الحد فى عنق كل مسلم وهو ملزم بالقيام بما يوصل إليه ولم ير الزبير ولا طلحة هذا خروجا على الإمام لأن بيعة على لم تنعقد حسبما اجتهدا لأن كثيرا من الصحابة فى المدينة وغيرها لم يبايعوا أما بيعتهما فكانت كرها والسيف على أعناقهما وهذا على رأيهما لا تجب به طاعة فاستقام رأيهم على قصد البصرة

ودعوا عبد الله بن عمر للخروج معهم فأبى وسار مع أم المؤمنين عائشة جمع كثير وكان يصلى بالناس عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ولما قاربوا البصرة أرسلت عائشة عبد الله بن عامر ليعرف أهلها بقدومها . ففعل ، أما عثمان بن حنيف أمير البصرة فإنه بعث إلى أم المؤمنين عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلى ليسألاها عن سبب قدومها فلما وصلاها قالا إن أميرنا بعثنا إليك لنسألك عن مسيرك فهل أنت مخبرتنا فقالت ما مثلى يغطى لبنيه الخبر إن الغوغاء وأهل القبائل غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدثوا فيه وآووا المحدثين فاستوجبوا لعنة الله ولعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر فاستحلوا الدم الحرام وسفكوه وانتهبوا المال الحرام وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام فخرجت فى المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء وما الناس وراءنا وما ينبغى لهم من إصلاح هذه القصة وقرأت ( لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ) فتركاها وأتيا الزبير وقال ما أقدمكما قالا الطلب بدم عثمان فقالا ألم تبايعا عليا قالا والسيف على أعناقنا وما نستقيله البيعة إن هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان فرجع عمران وأبو الأسود إلى ابن حنيف وأخبراه الخبر فصمم على منع البصرة حتى يحضر على ثم أراد أن يعلم هل أحد فى البصرة يمالىء طلحة والزبير فدس رجلا إلى الناس فقال أيها الناس أنا فلان إن هؤلاء القوم إن كانوا جاءوا خائفين فقد جاءوا من بلد يأمن فيه الطير وإن كانوا جاءوا يطلبون قتلة عثمان فما نحن قتلته فأطيعونى وردوهم من حيث جاءوا فقام إليه أحد زعماء البصرة وقال إن زعموا أنا قتلة عثمان إنما جاءوا يستعينون بنا على قتلة عثمان منا ومن غيرنا فعرف ابن حنيف أن لطلحة والزبير أنصاراً بالبصرة فخرج بمن معه حتى نزل ميسرة المربد وأقبلت أم المؤمنين فنزلت ميمنته وخطبت الناس وكانت جهورية الصوت فحمدت الله تعالى ثم قالت ( إن الناس يتجنون على عثمان ويزرون

على عماله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم فننظر فى ذلك فنجده بريا تقيا وفيا ونجدهم فجرة غدرة كذبة وهم يحاولون غير ما يظهرون فلما قووا كاثروه واقتحموا عليه داره واستحلوا الدم الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام بلا ترة ولا عذر إلا أن مما ينبغى لا ينبغى لكم غيره أخذ قتلة عثمان وإقامة كتاب الله ثم قرأت : (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون) فتبعها جمع من أصحاب عثمان وأقبل عليها جارية بن قدامة السعدى وقال يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل عرضة للسلاح إنه قد كان لك من الله سترة وحرمة فهتكت سترك وأبحت حرمتك إنه من رأى قتالك يرى قتلك إن كنت أتيتنا طائعة فارجعى إلى بيتك وإن كنت أتيتنا مكرهة فاستعينى بالناس ثم أقبل عليها حكيم بن جبلة من فرسان البصرة ومعه جمع فقاتل من معها فأمرتهم بالكف والمدافعة فلم ينته حكيم فأمرت أن يأتى الجيش مقبرة بنى مازن فى الجهة اليمنى وحجز الليل بين الفريقين فلما كان الصباح خرج حكيم يقدم جيشه وقاتل إلى قريب المساء فلما مسهم حر السلاح تنادوا إلى الصلح حتى يرسلوا إلى المدينة من يعلم لهم أكانت بيعة طلحة والزبير طوعا أم كرهاً فإن ثبت أنهما أكرها ترك بن حنيف البصرة وإن لم يكونا أكرها يرجع الزبير وطلحة فأرسلوا لذلك كعب بن سور قاضى البصرة فلما قدم المدينة قال يا أهل المدينة أنا رسول أهل البصرة إليكم أسألكم أأكره طلحة والزبير على البيعة أم أتياها طائعين فأجاب أسامة بن زيد بأنهما أكرها فلقى أسامة من والى المدينة سهل بن حنيف أخى عثمان بن حنيف إهانة وبلغ هذا الخبر عليا فأرسل عثمان بن حنيف يقول له والله ما أكرها على فرقة ولقد أكرها على جماعة وفضل فإن كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما وإن كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظرا فقدم كعب بن سور ووافق قدومه وصول كتاب على

فاخبر كعب باكراه الزبير وطلحة على البيعة فطلبا من بن حنيف أن يخرج من البصرة فامتنع محتجاً بكتاب على فبيته القوم ذات ليلة واستولوا على البصرة وجعلوا على بيت المال عبد الرحمن بن أبى بكر وحبسوا بن حنيف فبلغ ذلك حكيم بن جبلة فأقبل برجاله يريد نصره وكلم عبد الله بن الزبير طالبا أن يخلى سبيل عثمان ويجلس فى بيت الإمارة حتى يأتى على فأبى عليه ذلك فتقدم حكيم وقاتلهم حتى قتل كثير ممن معه وهرب بقيتهم فجاء الزبير وطلحة بمن غزا المدينة منهم فقتلوا إلا حرقوص بن زهير فإن عشيرته منعته وكانت هذه الواقعة لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وأقامت بعدها أم المؤمنين ومن معها بالبصرة . أما أمير المؤمنين على ابن أبى طالب فإنه لما بلغه وهو بالمدينة مسير عائشة وقد عبىء جيشه إلى الشام دعا وجوه أهل المدينة وقال لهم إن آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم أمركم فانتدب معه ناس وتقل آخرون فخرج من المدينة وهو يرجو أن يلحق الزبير وطلحة قبل أن يصلا البصرة واستخلف على المدينة سهل بن حنيف فلما وصل الربذة أتاه خبر سبقهم فأقام بها وأرسل محمد بن أبى بكر ومحمد بن جعفر يستنفران الناس وكتب معهم كتابا إلى أهل الكوفة هذه صورته : « إنى اخترتكم على الأمصار وفزعت إليكم لما حدث فكونوا لدين الله أنصاراً وأعواناً وانهضوا إلينا فالإصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخوانا » وكان من رأى أبى موسى الأشعرى أمير الكوفة قعود الناس عن هذه الفتن فلما سأله أهل الكوفة عن الخروج إلى على والقتال معه قال إنما هما أمران القعود فى سبيل الآخرة والخروج فى سبيل الدنيا فلم يخرج مع بن أبى بكر وابن جعفر أحد فأغلظا لأبى موسى فقال لهما والله إن بيعة عثمان لفى عنقى وعنق صاحبكما فإن لم يكن بد من القتال فلا نقاتل أحداً حتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا فرجعا إلى أعلى بالخبر فلقياه بذى قار فأرسل بدلهما مالك بن الحارث

الأشتر وعبد الله بن عباس فلما قدما الكوفة كلما أبا موسى واستعانا عليه بنفر من أهلها فقام وخطب الناس وبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال « أيها الناس إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه أعلم بالله ورسوله ممن لم يصحبه وإن لكم علينا لحقا وأنا مؤد إليكم نصيحة كان الرأى أن لا تستخفوا بسلطان الله وأن لا تجترئوا على الله وأن تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فتردوهم إليها حتى يجتمعوا فهم أعلم بمن تصلح له الإمامة وهذه فتنة صماء النائم فيها خير من اليقظان واليقظان خير من القاعد والقاعد خير من القائم والقائم خير من الراكب والراكب خير من الساعى فكونوا جرثومة من جرائيم العرب فأغمدوا للسيوف وأنصلوا الأسنة وقطعوا الأوتار وآووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الأمر وتنجلى هذه الفتنة » فرجع بن عباس والاشتر إلى على بالخبر فأرسل الحسن بن على وعمار بن ياسر فأقبلا حتى دخلا المسجد فقال الحسن لأبى موسى لم تثبط الناس عنا فو الله ما أردنا إلا الإصلاح ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء فقال صدقت بأبى أنت وأمى ولكن المستشار مؤتمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشى والماشى خير من الراكب » وقد جعلنا الله إخوانا وقد حرم علينا دماءنا وأموالنا فكثر الجدال بين الناس فمن محرض على الخروج مع أمير المؤمنين ومن مثبط عنه فقام القعقاع بن عمرو وقال يا أهل الكوفة إنى لكم ناصح وعليكم شفيق أحب إليكم أن ترشدوا ولأقولن قولا هو الحق أما ما قال الأمير ( أبو موسى ) فهو الحق ولكن لاسبيل إليه إنه لابد من إمارة تنظم الناس وتنزع الظالم وتعز المظلوم وهــذا أمير المؤمنين ولى بما ولى وقد أنصف فى الدعاء وإنما يدعو إلى الإصلاح فانفروا وكونوا فى هذا الأمر بمرأى ومسمع وقال سيحان بن صوحان من زعماء الكوفة أيها الناس إنه لا بد لهذا الأمر وهؤلاء الناس من وال يدفع الظالم ويعز المظلوم ويجمع

الناس وهذا وليكم يدعوكم لتنظروا فيما بينه وبين صاحبيه وهو المأمون على الأمة الفقيه فى الدين فمن نهض إليه فانا سائرون معه وقال الحسن بن على أجيبوا دعوة أميركم وسيروا إلى إخوانكم فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه والله لأن يدعيه أولو النهى أمثل فى العاجل والآجل وخير فى العاقبة فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم وإن أمير المؤمنين يقول قد خرجت مخرجى هذا ظالما أو مظلوما وإنى أذكر الله رجلا رعى حق الله إلا نفر فمن وجدنى مظلوما أعاننى ومن وجدنى ظالما أخذ منى والله إن طلحة والزبير لأول من بايعنى وأول من غدر فهل استأثرت بمال أو بدلت حكما فانفروا فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فأثر فيهم هذا القول ورضوا بالخروج فنفر معه قريب من تسعة آلاف ثلثهم فى نهر الفرات والباقون ركبانا معه فلما التقوا بأمير المؤمنين رحب بهم (وقال لهم يا أهل الكوفة أنتم قاتلتم ملوك العجم وفضضتم جموعهم حتى صارت إليكم مواريثهم فمنعتم حوزتكم وأعنتم الناس على عدوهم وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة فإن يرجعوا فذاك الذى نريد وإن يلجوا داويناهم بالرفق حتى يبدأوا بظلم ولم ندع أمراً فيه إصلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله) ثم ندب القعقاع بن عمرو ليكون بينه وبين طلحة والزبير وقال له اذهب فادعهما إلى الألفة والجماعة وعظم عليهما الفرقة ثم قال له كيف تصنع فيما جاءك منهما وليس فيه وصاة قال نلقاهم بالذى أمرت به إن جاء منهم ما ليس عندنا فيه منك رأى اجتهدنا رأينا وكلمناهم كما نسمع ونرى أنه ينبغى قال أنت لها فقدم القعقاع البصرة وبدأ بأم المؤمنين فقال لها أى أمة ما أقدمك هذه البلدة قالت أى بنى : الإصلاح بين الناس قال فابعثى إلى طلحة والزبير حتى تسمعى كلامى وكلامهما فبعثت إليهما فحضرا فقال القعقاع إنى سألت أم المؤمنين ما أقدمها فقالت الإصلاح بين الناس فما تقولان أنتما ؟ متابعان أم مخالفان ؟ قالا بل متابعان قال فأخبرانى ما وجه

هذا الإصلاح فو الله لئن عرفناه لنصالحن ولئن أنكرناه لا يصلح قالا قتلة عثمان فإن هذا الأمر ان ترك كان تركا للقرآن قال قد قتلتم قتلة عثمان من أهل البصرة وأنتما قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم يوم قتلتم ستمائة رجل فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه منكم ستة آلاف فإن تركتموهم كنتم تاركين لما تقولون وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلوا عليكم فالذى حذرتم وقويتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون وإن أنتم منعتم مضر وربيعة من هذه البلاد اجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير . قالت أم المؤمنين فماذا تقول أنت ؟ قال أقول : إن هذا الأمر دواؤه التسكين فإن سكن اختلجوا فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ودرك بثار وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه كان علامة شر فآثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم ولا تعرضونا للبلاء فتعرضوا له فيصرعنا وإياكم وايم الله إنى لأقول هذا القول وأدعوكم إليه وإنى لخائف أن لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التى قل متاعها ونزل بها ما نزل فإن هذا الأمر الذى حدث ليس كقتل الرجل الرجل ولا النفر الرجل ولا القبيلة الرجل قالوا قد أصبت وأحسنت فإن رجع على وهو على مثل رأيك صلح الأمر فرجع إلى على وأخبره الخبر فأعجبه ذلك وأشرف القوم على الصلح وأقبلت وفود أهل البصرة على إخوانهم من أهل الكوفة لينظروا ما رأى إخوانهم فوجدوا الجميع متفقين على الصلح ولا يخطر لهم قتال إخوانهم ببال فرجعوا إلى البصرة وأخبروا من بها بهذا الخبر السار وقام على خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وذكر شقاوة الجاهلية وسعادة الإسلام وإنعام الله على الأمة بالجماعة على الخليفة من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذى يليه ثم الذى يليه حدث هذا الحدث الذى جره على الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا ،

حسدوا من أفاءها الله عليه وأرادوا رد الأسلام والأشياء على أدبارها والله بالغ أمره ، ألا وإنى راحل غدا فارتحلوا ولا يرتحلن أحد أعان على عثمان بشيء من أمور الناس وليعن السفهاء على أنفسهم فلما سمع السبئية ( أصحاب ابن سبأ ) مقالة على سقط فى أيديهم ورأوا أن ضرر هذا الصلح إنما يعود عليهم لأنه إن تم كان على قتلهم وتشاوروا فيما يفعلون لمنع هذا الصلح فقال لهم رئيسهم الضال والدخيل فى الإسلام يا قوم إن عزكم فى خلطة الناس فإذا التقى الناس غداً فانشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر فمن أنتم معه لا يجد بدأ من أن يمتنع ويشغل الله عليا والزبير وطلحة ومن رأى رأيهم عما تكرهون فأجمعوا على رأيه ولا يشعر الناس بذلك فلما أصبحوا سار على وسار إليه طلحة والزبير فالتقى الجيشان خارج البصرة فسأل عليا بعض أصحابه عما سيفعله فقال الإصلاح وإطفاء النائرة لعل الله يجمع شمل هذه الأمة ويضع حربهم قال فإن لم يجيبوا قال تركناهم ما تركونا قال فإن لم يتركونا قال دفعنا عن أنفسنا قال فهل لهم من هذا مثل الذى عليهم قال نعم ، وقام إليه آخر فقال أترى لهؤلاء القوم من حجة فى هذا الدم إن كانوا أرادوا الله بذلك قال نعم قال أفترى لك حجة بتأخير ذلك ؟ قال نعم قال فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غدا ؟ قال إنى لأرجو ألا يقتل منا ومنهم أحد نقى قلبه لله إلا أدخله الجنة ثم قال : ( أيها الناس املكوا عن هؤلاء القوم أيديكم وألسنتكم أن تسبقونا فإن المخصوم غداً من خصم اليوم ) ثم أرسل إلى طلحة والزبير إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع فكفوا حتى ننزل وننظر فى هذا الأمر فأجابا ( ثم ) خرج الزبير على فرسه بين الجيشين فقيل لعلى هذا الزبير فقال أما إنه أحرى الرجلين إن ذكر بالله أن يذكر وخرج طلحة أيضاً فخرج إليهما على حتى اختلفت أعناق دوابهما فقال لعمرى لقد أعددتما سلاحا ورجالا إن كنتما أعددتما عند الله عذرا فاتقيا الله ولا تكونا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ألم أكن أخاكما فى دينكما تحرمان

دمى وأحرم دمكما فهل من حدث أحل لكما دمى؟ فقال طلحة : ألبت على عثمان ، فلعن علىّ قتلة عثمان ثم قال أما بايعتنى ؟ قال بايعتك والسيف على عنقى ثم ذكر الزبير بأشياء كثيرة يلين بها قلبه وقال أتذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى غانم فنظر إلى فضحك وضحكت إليه فقلت له لا يدع ابن أبى طالب زهوه فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمزه لتقاتلنه وأنت ظالم له فرجع الزبير وهو حالف أنه لا يقاتل عليا وخصوصاً حينما علم أن عمار بن ياسر مع علىّ وقد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتلك الفئة الباغية فكأنه قد شعر بأنه أخطأ فى اجتهاده لأنه يعمل لله ومتى كان العمل لله كان الرجوع إلى الحق أقرب والهداية إلى الصواب أسهل ، فرجع كل منهم إلى قومه والجميع لا يشكون فى الصلح وباتو بأهنإ ليلة للعاقبة التى أشرفوا عليها وهنا رأى السبئية قاتلهم الله أن الوقت قد حان لتنفيذ مآربهم فخرجوا فى الغلس من غير أن يشعر بهم أحد وقصد مضرهم مضر البصرة وربيعتهم ربيعة البصرة ويمنهم يمن البصرة ووضعوا فيهم السلاح فثار كل قوم فى وجوه أصحابهم وسأل طلحة والزبير عن الخبر فقيل لهما طرقنا أهل الكوفة ليلا فقال قد علمنا أن عليا غير منته حتى يسفك الدماء وإنه لن يطاوعنا وسأل علىّ عن الخبر وكان السبئية قد وضعوا عنده رجلا يخبره إذا سأل فقال له ما شعرنا إلا وقوم منهم بيتونا فرددناهم فوجدنا القوم على رحل فركبوا وثار الناس فقال علىّ لقد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء وأنهما لن يطاوعانا ثم نادى فى الناس أن كفوا وكان من رأى الجميع فى تلك الفتنة أن لا يبدأوا بقتال يطلبون بذلك الحجة وألا يقتلوا مدبراً ولا يجهزوا على جريح ولا يستحلوا سلباً ولا يرزؤا بالبصرة سلاحا ولا ثيابا ولا متاعا فجاء كعب ابن سور قاضى البصرة إلى أم المؤمنين وقال لها أدركى الناس قد أبى القوم إلا القتال لعل الله أن يصلح بك فركبت بعد أن ألبسوا هـ دجها الأدراع

ثم سارت ووقفت بحيث تسمع ضوضاء القتال أما الزبير فإنه ترك القوم يقتتلون ورجع فتبعه رجل يعرف بابن جرموز وقتله غدراً وهو يصلى بوادى السباع ولم يقاتل جيش البصرة إلا قليلا ثم هزم فروا فى هزيمتهم على أم المؤمنين راكبة هودجها فأطافوا بجملها وقالت لكعب بن سور تقدم إلى هؤلاء القوم بالمصحف وادعهم إلى كتاب الله فرماه بعض السبئية بسهم قتله ورموا هودج أم المؤمنين بالنبل فجعلت تنادى البقية البقية يابنى. الله اذكروا الله والحساب ولا يأبون إلا إقداما فحرضت جيش البصرة على القتال حينما رأت أهل الكوفة يريدون هودجها وهنا كانت حميتهم العظمى لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن هنا محيص عن القتال لأنه كالسيل إذا أتى لا يردو أمسك بخطام الجمل كثير من أرباب الشجاعة من قريش وغيرهم فقتل دونه نحو السبعين من قريش وعدد عظيم من غيرهم وممن قتل دونه محمد بن طلحة وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد واشتد أهل الكوفة على الجمل لأنهم رأوا أن البصريين لاينهزمون مادام واقفاً فرماه كثير منهم وكل من رماه قتل فلما رأى علىّ شدة الأمر وكثرة القتلى من المسلمين قال اعقروا الجمل فإنه إن عقر تفرقوا عنه والذى دعاه إلى هذا الأمر الحذر على أم المؤمنين أن تصاب من كثرة النبل الذى سدد لهودجها فقطعوا ساق الجمل ثم اجتمع القعقاع بن عمرو وزفر بن الحارث على قطع بطان الجمل وحمل الهودج وإنه مثل القنفذ من كثرة السهام وعند ذلك انهزم أهل البصرة فنادى على ألا لا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا دوراً وأمر بحمل الهودج من بين القتلى وأمر محمد بن أبى بكر أن يضرب عليه قبة وقال أنظر هل وصل إليها شىء من جراحة فوجدها بحمد الله سليمة لم تصب بشىء ثم جاءها على فقال كيف أنت يا أمه قالت بخير يغفر الله لك قال ولك وظهرت آثار الكدر على أمير المؤمنين من هذا الحادث الجلل الذى لم يكن فيه مأرب وكذلك على السيدة أم المؤمنين فإنها كانت تود

الصلح ولم يجر ماجرى إلا رغما عن الجميع وكان على يتمثل بعد انتهاء الموقعة بقول الشاعر :

إليك أشكو عجرى وبجرى ومعشر نفسى على بصرى
قتلت منهم مضرى بمضرى شفيت نفسى وقتلت معشرى

ثم أمر أن تنزل أم المؤمنين فى دار خلف بن عبد الله الخزاعى على صفية بنت الحارث بن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وأذن فى دفن القتلى ثم أطاف عليهم فلما رأى كعب ابن سور قال زعمتم أنه خرج معهم السفهاء وهذا قد ترون ولما أتى على طلحة قال لهفى عليك أبا محمد إنا لله وإنا إليه راجعون والله لقد كنت أكره أن أرى قريشاً صرعى وأنت والله كما قال الشاعر :

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه إذ ما هو استغنى ويبعده الفقر

وصلى على القتلى من أهل البصرة وأهل الكوفة وبعث ما كان فى العسكر من الأسلاب إلى مسجد البصرة وقال من عرف شيئاً فليأخذه إلا سلاحا فى الخزائن عليه سمة السلطان ثم دخل على البصرة فبايعه أهلها وولى عليها عبد الله بن عباس وجعل على الخراج زياد ابن أبى سفيان ثم بلغه أن رجلا قال حزيت عنا أمنا عقوقنا وقال الآخر يا أمى توبى فأمر بكل منهما أن يجلد مائة جلدة ثم جهز على أم المؤمنين وسيرها إلى المدينة واختار معها أربعين امرأة من نساء البصرة المعروفات وسير معها أخاها محمد بن أبى بكر فلما كان اليوم الذى ارتحلت فيه اجتمع الناس إليها فقالت يا بنى لا يعتب بعضنا على بعض إنه والله ما كان بينى وبين على فى القديم إلا ما يكون بين المرأة وبين أحمائها وإنه على معتبتى لمن الأخيار فقال على صدقت والله ما بينى وبينها إلا ذلك وإنها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة وخرجت يوم السبت غرة رجب من السنة السادسة والثلاثين فتوجهت إلى مكة فحجت ثم رجعت إلى المدينة والحمد لله .

ورجع على إلى الكوفة التى جعلها مقر خلافته فارسل جرير بن عبدالله البجلى إلى معاوية بالشام يدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس ويعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته فامتنع معاوية حتى تقتل قتلة عثمان حيث كانوا ثم يختار المسلمون لأنفسهم إماما لأنه رأى أن بيعة على لم تنعقد لافتراق الصحابه أهل الحل والعقد فى الآفاق ولا تتم البيعة إلا باتفاقهم ولا تلزم بعقد من تولاها من غيرهم أو من القليل منهم فجعل رضى الله عنه القصاص من قتلة عثمان أول واجب على المسلمين والذى يطالب به وليه ثم اختيار الإمام أمر ثان ولم يكن معاوية يتهم عليا رضى الله عنهما بالممالأة على عثمان حاشا لله بل كان يظن فيه الهوادة عن نصرة عثمان من قاتليه ولقد كان إذا وجه ملامته إنما كان يوجهها عليه فى سكوته فقط كما ذكر ذلك العلامة ابن خلدون فى مقدمة تاريخه أما على رضى الله عنه فكان يرى أن بيعته قد تمت ولزمت من تأخر عنها باجتماع من اجتمع عليها بالمدينة دار النبي صلى الله عليه وسلم وموطن الصحابة وأرجأ الأمر فى القصاص من قتلة عثمان إلى اجتماع الناس واتفاق الكلمة فيتمكن حينئذ مما يجب أن يفعل وبذلك عد من لم يبايعه خارجا عليه يحل له قتاله فخرج فعسكر بالنخيلة وقدم عليه ابن عباس من البصرة واستخلف عليها زيادا ثم قدم طلائعه وعبىء جيوشه قاصداً محاربة أهل الشام لإجبارهم على الدخول فيما دخل فيه الناس ولما علم بذلك معاوية سار إليه فى جيوش الشام فالتقى الجيشان فى سهل صفين على نهر الفرات شرقى حلب فمكثا يومين ابتدأت بعدهما المراسلة فأرسل على بشير بن عمر والأنصارى وسعيد بن قيس الهمدانى وشبث بن ربعى التميمى فقال لهم ائتوا هذا الرجل فادعوه إلى الله والطاعة والجماعة فتوجهوا إليه فتكلم بشير بن عمرو فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا معاوية إن الدنيا عنك زائلة وإنك راجع إلى الآخرة وإن الله محاسبك بعملك ومجازيك عليه وإنى أنشدك الله ألا تفرق جماعة هذه الأمة وألا تسفك دماءها بينها

فقال معاوية هلا أوصيت بذلك صاحبك فقال بشير ليس مثلك إن صاحبي أحق البرية بهذا الأمر فى الفضل والدين والسابقة فى الإسلام والقرابة بالرسول صلى الله عليه وسلم قال فماذا يقول قال يأمر بتقوى الله وأن تجيب ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك فى دنياك وخير لك فى عاقبة أمرك قال معاوية ونترك دم ابن عفان ؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً فذهب سعيد بن قيس يتكلم فبادره شبث بن ربعى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا معاوية قد فهمت ما رددت على بشير إنه والله لا يخفى علينا ما تطلب إنك لم تجد شيئا تستغوى به الناس وتستميل به أهواءهم وتستخلص به طاعتهم إلا قولك قتل إمامكم مظلوما فنحن نطلب بدمه فاستجاب لك سفهاء طغام وقد علمنا أنك أبطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل لهذه المنزلة التى أصبحت تطلب ورب متمنى أمر وطالبه يحول الله دونه وربما أوتى المتمنى أمنيته وفوق أمنيته والله مالك فى واحدة منهما خير والله إن أخطأت ما ترجو إنك لشر العرب حالا ولئن أصبت ما تتمناه لا تصيبه حتى تستحق من ربك صلى النار فاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله ؛ فأثرت مقالته هذه فى معاوية أشد التأثير لأنه حمله فيها ما لم يرده فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن أول ما عرف به سفهك وخفة حلمك أن قطعت على هذا الحسيب الشريف سيد قومه منطقة ثم اعترضت بعد فيما لاعلم لك به فقد كذبت ولؤمت أيها الأعرابى الجلف الجافى فى كل ماذكرت ووصفت انصرفوا فليس بينى وبينكم إلا السيف . ومن هنا يفهم أن السفراء بين الأمراء عليهم المدار فى الإصلاح والإفساد ولقد صدق معاوية فإن شبث بن ربعى كان من أول الخارجين على أمير المؤمنين على فرجع الوفد إلى على وأخبره وكانت الحرب إذاً لا محيص عنها إذ معاوية يطلب قتلة ابن عمه عثمان ابن عفان وهو أولى الناس بالمطالبة بذلك لأنه وليه وحدود الله لا تؤخر لأى سبب وعلى يريد رده إلى الطاعة والجماعة ثم ينظر فى القصاص

من قتلة عثمان ومع ذلك كانوا يحذرون أن يلقى جمع أهل الشام جمع أهل العراق حذراً من الهلاك والاستئصال فيضيع الإسلام ويطمع فيه أعداؤه فصار على يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج ومعه جماعة من أصحابه فيخرج له معاوية مثله وداموا على ذلك إلى أن أهل محرم السنة السابعة والثلاثين فعقد على ومعاوية هدنة مدتها شهر طمعاً فى الصلح واختلفت بينهم الرسل فأرسل على عدى بن حاتم ويزيد بن قيس الأرحبي وشبث بن ربعى وزياد بن حفصة فتكلم عدى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإنا أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمتنا ونحقن به الدماء ونصلح ذات البين إن ابن عمك أحسن الأمة سابقة وأحسنها فى الإسلام أثراً وقد استجمع له الناس ولم يبق أحد غيرك وغير من معك فاحذر يا معاوية لا يصيبك وأصحابك مثل يوم الجمل فقال معاوية كأنك إنما جئت مهدداً ولم تأت مصلحاً هيهات يا عدى لمنى والله لابن حرب لا يقعقع لى بالشنان وإنك والله من المجلبين على عثمان وإنك من قتلته وإنى لأرجو أن تكون ممن يقتله الله به فقال من مع عدى أتيناك فيما يصلحنا وإياك فأقبلت تضرب لنا الأمثال دع ما لا ينفع وأجبنا فيما يعم نفعه فطلب معاوية أن يسلم على من معه من قتلة عثمان ومن ألب عليه فقال شبث بن ربعى أيسرك أن تقتل عمار بن ياسر فقال وما يمنعنى من ذلك لو تمكنت من ابن سمية لقتلته بمولى عثمان فقال شبث والله الذى لا إله غيره لا تصل إليه حتى تندر الهام عن الكواهل وتضيق الأرض والفضاء عليك فقال معاوية لو كان كذلك لكانت عليك أضيق ثم تفرق القوم بلا نتيجة وكذلك رجع من بعثهم معاوية إلى على لأنه كان يريد قبل كل شيء مبايعته ثم ينظر فى أمر قتلة عثمان ولما انقضى شهر الهدنة أمر على منادياً ينادى يا أهل الشام يقول لكم أمير المؤمنين قد استدمتكم لتراجعوا الحق وتنيبوا إليه فلم تنتهوا عن طغيانكم ولم تجيبوا إلى الحق وإنى قد نبذت إليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ثم أوصى أصحابه فقال ( لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فأنتم

بحمد الله على حجة وتركَكم إياهم حجة أخرى فاذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعاف القوى والأنفس ) ثم عبى جيشه وأمر أمراءه وكذلك فعل معاوية وابتدأ القتال يوم الثلاثاء أول يوم من صفر فخرجت فرقة من أهل العراق ومثلها من أهل الشام واقتتلتا طول النهار وهكذا في الأيام التالية له فلما كان مساء الثلاثاء الثامن من صفر خطب على أصحابه فحمد الله وأثنى عليه فقال ( الحمد الله الذى لا يبرم ما نقضه وما أبرم لم ينقضه الناقضون ولو شاء الله ما اختلف اثنان من خلقه ولا اختلفت الأمه فى شيء ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار فنحن بمرآى من ربنا ومسمع فلو شاء عجل الفتنة وكان منه التغيير حتى يكذب الظالم ويعلم الحق أين مصيره ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال والآخرة دار القرار ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ، ألا وإنكم لاقوا القوم غداً فأطيلوا الليلة القيام وأكثروا تلاوة القرآن واسألوا الله النصر والصبر والقوهم بالجد والحزم وكونوا صادقين .

وأجمع على أمره على ملاقاة جيش معاوية بجيشه كله فلما أصبحوا التقى الجيشان فتقاتلوا قتالا شديدا وانصرفوا عند المساء وكل غير غالب أما فى يوم الخميس عاشر صفر فان رحا الحرب دارت بشدة على الطائفتين وظهرت فصاحة الفصحاء وبلاغة البلغاء وكل يرى نفسه فى طاعة الله فكان أحدهم إذا رأى فرقة ملت القتال رمى عليها بصواعق من لسانه فتعود إليها حميتها وكان للأشتر بن الحارث اليد الطولى فأنه صار يتقدم بمن معه حتى قارب معاوية وكان معاوية بعدها يقول كدت أنهزم فذكرت قول ابن الاطنابة :

أبت لى عفتى وأبا بلائى　　وإقدامى على البطل المشيح
وإعطائى على المكروه مالى　　وأخذى الحمد بالثمن الربيح
وقولى كلما جشأت وجاشت　　مكانك تحمدى أو تستريحى

فمنعى ذلك من الفرار وأحاطت به جيوش الشام وحميت قلوبهم ولم يصدهم عن القتال إقبال الليل فاستمروا على ما هم عليه ليلة تعد من ليالى الإسلام المظلمة وأصبحوا وكان الملل والسآمة فى جيش الشام أبين ورأى ذلك معاوية وعمرو بن العاص فقال عمرو ندعوهم لكتاب الله أن يكون حكما بيننا وبينهم فأمر معاوية برفع المصاحف على الرماح ومنادياً يقول هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم من لثغور الشام بعد أهل الشام من لثغور العراق بعد أهل العراق فلما رآها أصحاب على وقد أشرفوا على الانتصار اختلفوا ففرقة تقول نجيب إلى كتاب الله عز وجل ورئيسهم الأشعث بن قيس الكندى وفرقة تأبى إلا القتال حتى يتم الأمر لأنهم ظنوا رفع المصاحف خديعة ورئيسهم الأشتر وكان هذا رأى أمير المؤمنين ولكنه اتبع رأى مخالفيه لكثرتهم فأرسل الأشعث إلى معاوية يسأله عما يريد فتوجه إليه وقال لأى شىء رفعتم المصاحف فقال لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله فى كتابه تبعثون رجلا ترضونه ونبعث رجلا نرضاه ونأخذ عليهما العهد أن يعملا بما فى كتاب الله لا يعدوانه ثم نتبع ما اتفقا عليه فعاد إلى على بالخبر فقال الناس رضينا وقبلنا واختار أهل الشام عمرو بن العاص واختار أهل العراق أبا موسى الأشعرى فحضر عمرو ليكتب الكتاب بين الفريقين بذلك فكتبوا .

( بسم الله الرحمن الرحيم ) هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين على فقال عمرو ليس لنا بأمير فمحاه على وقال ( هذا ما تقاضى عليه على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان قاضى علىّ على أهل الكوفة ومن معهم وقاضى معاوية

على أهل الشام ومن معهم أنا نزل على حكم الله وكتابه وألا يجمع بيننا غيره وإن كتاب الله بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحيي ما أحيا ونميت ما أمات فما وجد الحكمان فى كتاب الله وهما أبو موسى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عملا به وما لم يجداه فى كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة وأخذ الحكمان من على ومعاوية ومن الجندين من العهود والمواثيق أنهما آمنان على أنفسهما وأهليهما والأمة لهما أنصار على الذى يتقاضيان عليه وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة لا يردانها فى حرب ولا فرقة حتى يقضيا وأجلا القضاء إلى رمضان وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه وأن مكان قضيتهما مكان عدل من أهل الكوفة وأهل الشام ) وشهد على الكتاب جماعة من جيش على ومثلهم من جيش معاوية وتاريخ الكتاب يوم الأربعاء الثلاثة عشرة بقيت من شهر صفر سنة سبع وثلاثين واتفقوا على أن يجتمع الحكمان بدومة الجندل أو بأذرح فى رمضان ثم انفض الناس من هذا المحل المشئوم الذى اجتمع فيه فئتان عظيمتان من المؤمنين يقاتل بعضهم بعضا ولكن الذى يخفف البلية أن الفريقين كانا يريدان الله بعملهما لأن الجميع كانوا يريدون إنفاذ حكمه حسبما اجتهدوا ورأوا ورجع أمير المؤمنين من صفين إلى الكوفة وجيشه فى شقاق واختلاف فريق راض بالتحكيم ظان أنه حاسم للخلاف وجامع لكلمة المسلمين وفريق كاره له قائل كيف تحكم فى دين الله الرجال وهؤلاء اعتزلوا إخوانهم يقولون ادهنتم فى دين الله وأولئك يقولون فارقتم إمامنا فلما وصـــل علىّ الكوفة اعتزله جماعة ممن رأوا التحكيم ضلالا وأتوا حروراء فنزلوا بها فى إثنى عشر ألفاً وأمروا على القتال شبث بن ربعى وعلى الصلاة عبد الله بن الكوا اليشكرى والأمر شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فبعث إليهم على عبد الله بن عباس وقال له لا تراجعهم حتى آتيك فلم يصبر عن مكالمتهم وقال ما نقمتم

من أمر الحكمين وقد أمر الله بهما بين الزوجين ( وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما ) فكيف بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا هذا لا يكون بالرأى والقياس فان ذلك قد جعله الله حكما للعباد وهذا أمضاه كما أمضى حكم الزانى والسارق فليس للعباد أن ينظروا فيه فقال ابن عباس قال الله تعالى ( يحكم به ذو عدل منكم ) فقالوا والأخرى كذلك ليس أمر الزوجين والصيد كدماء المسلمين وقدحوا فى عدالة عمرو بن العاص وقالوا قد حكمتم فى أمر الله الرجال وقد أمضى الله حكمه فى معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يرجعوا وجعلتم بينكم الموادعة فى الكتب وقد قطعها الله بين المسلمين وأهل الحرب مذ نزلت براءة فخرج إليهم على ونزل فى فسطاط يزيد ابن قيس منهم بعد أن علم أنهم يرجعون إليه فى رأيهم فصلى عنده ركعتين وولاه أصبهان والرى ثم خرج إليهم وهم فى مجلس ابن عباس فقال من زعيمكم ؟ قالوا ابن الكوا قال فما هذا الخروج ؟ قالوا لحكومتكم يوم صفين قال قد اشترطت على الحكمين أن يحيا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن فليس لنا أن نخالف وإن أبيا فنحن من حكمهما براء قالوا فخبرنا أتراه عدلا تحكيم الرجال فى الدماء فقال إنا لسنا حكمنا الرجال وإنما حكمنا القرآن وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق إنما يتكلم به الرجال قالوا فلم جعلتم الأجل بينكم قال ليعلم الجاهل ويثبت العالم ولعل الله يصلح فى هذه الهدنة هذه الأمة فرجعوا إلى رأيه فقال ادخلوا مصركم رحمكم الله فدخلوا عن آخرهم .

## اجتماع الحكمين

ولما انقضى الأجل وحل رمضان فى السنة السابعة والثلاثين أرسل على أبا موسى الأشعرى فى أربعمائة رجل عليهم شريح بن هانىء الحارثى ومعهم عبد الله بن عباس يصلى بهم ويلى أمورهم وأرسل معاوية عمرو بن العاص

فى أربعمائة من أهل الشام عليهم شرحبيل بن الصمة فاجتمع الفريقان فى دومة الجندل وكان معهم عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبى بكر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام والمغيرة بن شعبة وسعد بن أبى وقاص ولما اجتمع الحكمان قام أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه وذكر الحدث الذى حل بالإسلام والخلاف الواقع بأهله ثم قال يا عمرو هلم إلى أمر يجمع الله فيه الألفة ويلم الشعث ويصلح ذات البين فجزاه عمرو خيرا وقال إن للكلام أولا وآخراً ومتى تنازعنا الكلام خطباً لم نبلغ آخره حتى ننسى أوله فاجعل ما كان من كلام نتصادر عليه فى كتاب يصير إليه أمرنا قال فاكتب فدعا عمرو بصحيفة وكاتب وقال له اكتب فإنك شاهد علينا ولا تكتب شيئاً يأمرك به أحدنا حتى تستأمر فيه الآخر فإذا أمرك فاكتب وإذا نهاك فانته حتى رأينا اكتب .

( بسم الله الرحمن الرحيم ) هذا ما تقاضى عليه أبو موسى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص تقاضيا على أنهما يشهدان أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ثم قال عمرو نشهد أن أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل بكتاب الله وسنة رسوله حتى قبضه الله إليه وقد أدى الحق الذى عليه قال أبو موسى اكتب ثم قال فى عمر مثل ذلك قال عمرو اكتب ( وأن عثمان ولى هذا الأمر بعد عمر على إجماع من المسلمين وشورى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضا منهم وأنه كان مؤمنا ) قال أبو موسى ليس هذا مما قعدنا له قال عمرو لابد والله من أن يكون مؤمناً أو كافراً قال أبو موسى اكتب قال عمرو فظالما قتل عثمان أو مظلوما قال أبو موسى بل قتل مظلوماً قال عمرو أفليس قد جعل الله لولى المظلوم سلطانا يطلب بدمه قال أبو موسى نعم قال عمرو فهل تعلم لعثمان وليا أولى من معاوية قال أبو موسى لا قال عمرو أفليس لمعاوية أن

يطلب قاتله حيثما كان أو يعجز قال أبو موسى بلى قال عمرو للكاتب اكتب وأمره أبو موسى فكتب ثم قال أبو موسى هذا أمر قد حدث فى الإسلام وإنما اجتمعنا لله فهلم إلى أمر يصلح الله به أمة محمـــد قال عمرو ما هو قال أبو موسى قد علمت أن أهل العراق لا يحبون معاوية أبداً وأن أهل الشام لا يحبون عليا أبداً فهل نخلعهما جميعاً ونستخلف عبد الله بن عمر قال عمرو أيفعل ذلك عبد الله بن عمر قال نعم إذا حمله الناس على ذلك فعل فقال له عمرو هل لك فى سعد قال لا فعدد له جماعة وكلهم يأباه أبوموسى ولا يرضى إلا عبد الله بن عمر فأخذ عمرو الصحيفة بعد أن ختما عليها جميعا ولم يتفق الحكمان على من يولياه أمر هذه الأمة لأن أباموسى رضى بخلع على ومعاوية ولم يختر للخلافة إلا عبد الله بن عمر وعمرو بن العاص لم يرضه فافترقا على ذلك ولم يحصل بينهما غير ما كتب فى الصحيفة كما حكاه المسعودى فى رواية له فأما أبوموسى فإنه استحيا أن يقابل عليا بعد أن أقر على خلعه من الخلافة فلحق بمكة وأما عمرو بن العاص فرأى أن الأمر صار شورى بين المسلمين حسبما سطر فى الصحيفة ورضى به كلاهما فتوجه هو وأهل الشام إلى معاوية فبايعوه بالخلافة لأنهم رأوه أهلا لأن يقوم بأعبائها أما أمير المؤمنين على فإنه رأى أن الحكمين لم يفيا بما تعهدا به من الحكم بالقرآن بل اتبع كل منهما هواه فصمم على حرب معاوية مرة أخرى وخطب أصحابه خطابة قال فيها ( الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدثان الجلل وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أما بعد فإن المعصية تورث الحسرة وتعقب الندم وقد كنت أمرتكم فى هذين الرجلين وفى هذه الحكومة أمرى ونحلتكم رأيى لوكان لقصير أمر ولكن أبيتم إلا ما أردتم فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن .

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

إلا أن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهرهما وأحييا ما أمات القرآن واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله فحكما بغير حجة بينة ولا سنة ماضية واختلفا فى حكمهما وكلاهما لم يرشد فبرىء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين استعدوا وتأهبوا للمسير إلى الشام وأصبحوا فى معسكركم إن شاء الله يوم الاثنين) ولكن حال بينه وبين ذلك أن خرج عليه جماعة زعموا أن التحكيم نقص فى الدين وهم الذين كانوا اعتزلوه أولا فأرسل إليهم عبد الله بن عباس فلما صار إليهم رحبوا به وأكرموه فرأى منهم جباهاً قرحة لطول السجود وأيديا كثفنات الإبل عليهم قمص مرحضة وهم مشمرون فقالوا ما جاء بك يا ابن عباس فقال جئتكم من عند صهر رسول الله وابن عمه وأعلمنا بربه وسنة نبيه قالوا إنا أتينا عظيما حين حكمنا الرجال فى دين الله فإن تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا فجادلوه وجادلهم ومما احتجوا به أن عليا محا نفسه من إمارة المسلمين وقت كتابة الصحيفة قال ابن عباس ليس ذلك بمزيلها عنه وقد محا رسول الله اسمه من النبوة وقد أخذ على الحكمين ألا يجورا وأن يجورا فعلى أولى من معاوية وغيره قالوا إن معاوية يدعى مثل دعوى على قال فأيهما رأيتموه أولى فولوه قالوا صدقت يا ابن عباس قال ابن عباس متى جار الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما فرجع معه ألفان منهم وبقى الباقون فصلى بهم صلاتهم ابن الكواء وقال متى كانت حرب فرئيسكم شبث بن ربعى الرباحى وبقوا على ذلك يومين ثم أجمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبى ومضوا إلى النهروان فأصابوا مسلماً ونصرانياً فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصرانى فقالوا احفظوا ذمة نبيكم ولقيهم عبد الله بن خباب بن الأرت وفى عنقه مصحف ومعه امرأته وهى حامل فقالوا إن هذا الذى فى عنقك ليأمرنا بقتلك قال ما أحيا القرآن فأحيوه وما أماته فأميتوه فوثب رجل منهم على رطبة فوضعها فى فيه فصاحوا به فلفظها تورعاً وعرض لرجل منهم خنزير

فضربه الرجل فقتله فقالوا هذا فساد فى الأرض فقال عبد الله بن خباب ما على منكم بأس إنى لمسلم قالوا حدثنا عن أبيك قال سمعت أبى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسى مؤمناً ويصبح كافراً فكن عبد الله المقتول ولا تكن القاتل قالوا فما تقول فى أبى بكر وعمر فأثنى خيرا فقالوا ماتقول فى على قبل التحكيم وفى عثمان ست سنين فأثنى خيراً فقالوا فما تقول فى الحكومة والتحكيم قال أقول إن علياً أعلم بكتاب الله منكم وأشد توقياً على دينه وأنفذ بصيرة قالوا إنك لست تتبع الهدى إنك تتبع الرجال على أسمائها ثم قربوه إلى شاطىء النهر فذبحوه وساوموا رجلا نصرانياً بنخلة له فقال هى لكم فقالوا ما كنا نأخذها إلا بثمن فقال ما أعجب هذا تقتلون مثل عبد الله ابن خباب ولا تقبلون منى جنى نخلة فلما بلغ أمير المؤمنين عنهم هذا الفساد صمم على البدء بهم فسار إليهم وقدم لهم قيس بن سعد فقال لهم عباد الله اخرجوا إلينا طلبتنا ( قتلة عبد الله بن خباب ) ادخلوا فى هذا الأمر الذى خرجتم منه وعودوا بنا إلى قتال عدونا وعدوكم فإنكم ركبتم عظيما من الأمر تشهدون علينـــا بالشرك وتسفكون دماء المسلمين وقال لهم أبو أيوب الأنصارى عباد الله إنا وإياكم على الحال الأولى التى كنا عليها ليست بيننا وبينكم فرقة فعلام تقاتلوننا فأبى الخوارج إلا ما عزموا عليه وامتنعوا عن تسليم من قتل عبد الله بن خباب فعبى لهم أمير المؤمنين جيشه ونصب أبو أيوب راية الأمان وناداهم من جاء تحت هذه الراية فهو آمن ومن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا منكم فى سفك دمائكم فانصرف فروة بن نوفل بخمسمائة حتى نزل البندنجين والدسكرة وانصرف جماعة إلى الكوفة وخرج إلى على نحو مائة مسالمين

فبقى مع الخوارج ألفان وثمانمائة لم يلبثوا إلا ضحوة نهار حتى قتلوا ولم
ينج منهم إلا ثمانية أشخاص وقتل من أصحاب أمير المؤمنين تسعة ثم أخذ
ما فى عسكرهم فأما السلاح والدواب وما شهر عليه فقسم وأما الإماء والعبيد
والمتاع فرده على أهله بالكوفة ثم إن الذين كانوا فارقوهم والذين لجئوا
إلى راية أبى أيوب ومن كان أقام بالكوفة من الخوارج على الحياد
تجمعوا وتأسفوا على خذلانهم أصحابهم فقام فيهم المستورد أحد كبرائهم
وخطبهم حاثاً على قتال على فخرجوا إلى النخيلة فأرسل إليهم عبـــد الله
ابن عباس ناصحاً فأبوا فسار إليهم أمير المؤمنين وطحنهم جميعاً بالنخيلة ولم
ينج منهم إلا خمسة منهم المستورد وابن جوين الطائى وابن شريك الأشجعى
(ولما) انتهى أمير المؤمنين من الخوارج أمر أصحابه بالتوجه إلى الشام
لقتال معاوية ومن معه فقالوا يا أمير المؤمنين نفدت نبالنا وكلت سيوفنا
ونسلت أسنة رماحنا وعاد أكثرها قصدا فارجع بنا إلى مصرنا فلنستعد
ولعل أمير المؤمنين يزيد فى عدتنا فإنه أقوى لنا على عدونا . ومن هذا
يفهم أن القوم قلت عزائمهم فسئموا القتال وإذا كانت هذه حال الجيش
فلا تستغرب ما آل إليه حال أمير المؤمنين على بن أبى طالب فان سلطته
سارت إلى الوراء كل يوم فى نقصان وهو كل ساعة يحرضهم بما أتاه الله
من فصاحة اللسان وبلاغة القول وهم لا يزدادون إلا فتوراً وقليل منهم
الذى أخلص له القول والعمل وكثرت عليه الخوارج بحجتهم التى اتخذوها
وهى أنه حكم الرجال فى دين الله ولا حكم إلا لله وكان فيمن خرج عليه
الخريت بن راشد الناجى فى ثلاثمائة من بنى ناجية جاء إليه فقال ياعلى والله
لا أطيع أمرك ولا أصلى خلفك وإنى غداً مفارق لك فقال له إذاً تعصى
ربك وتنكث عهدك ولا تضر إلا نفسك خبرنى لم تفعل ذلك ؟ فقال
لأنك حكمت وضعفت عن الحق وركنت إلى القوم الذين ظلموا فأنا عليك
زار وعليهم ناقم ولكم جميعاً مباين فقال له هلم أدارسك الكتاب

وتاظرك فى السنن وأفاتحك أموراً أنا أعلم بها منك فلعلك تعرف الآن ما أنت له منكر قال فإنى عائد إليك قال لا يستهوينك الشيطان ولا يستخفنك الجهال والله لئن استرشدتنى وقبلت منى لأهدينك سبيل الرشاد فلم يسمع له قولا بل سار بمن معه نحو نفر فأرسل وراءهم زياد بن خصفة البكرى وقال له سر حتى تأتى دير أبو موسى وانتظر أمرى فسار زياد حتى أتى دير أبى موسى وبعد مسيره أرسل إلى على قرظة بن كعب الأنصارى يخبره أن أصحاب الخريت قتلوا رجلا من الدهاقين كان قد أسلم فبعث إلى زياد أن يتبع آثارهم ويطلب منهم من قتل هذا الدهقان ثم يرده إليه فان أبوا ناجزهم فسار زياد حتى لحقهم بالمذار فقال زياد للخريت ما الذى نقمت على أمير المؤمنين وعلينا حتى فارقتنا فقال لم أرض صاحبكم إماماً ولا سيرتكم سيرة فرأيت أن أعتزل وأكون مع من يدعو إلى الشورى فقال له زياد وهل يجتمع الناس على رجل يشبه صاحبك الذى فارقته علماً بالله وسنته وكتابه مع قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسابقته بالإسلام فقال الخريت لا أقول فى ذلك لا . قال زياد ففيم قتلت المسلم الذى قتلته قال لم أقتله إنما قتله جماعة من أصحابى قال فادفعهم إلينا قال مالى إلى ذلك سبيل فقاتلهم زياد إلى الليل فهرب الخريت ليلا ولما رأى ذلك زياد رجع إلى البصرة لمداواة من معه من الجرحى وأرسل إلى على بالخبر فأرسل إلى الخوارج معقل بن قيس الرياحى فى ألفين وكتب إلى ابن عباس بالبصرة أن يمده بألفين من أهلها عليهم رجل ذو نجدة فسار معقل ولحقه مدد أهل البصرة فوافوا الخوارج قرب جبل من جبال رامهرمز فقاتلوهم حتى قتل من أصحاب معقل نحو السبعين وانهزم الخريت ببعض أصحابه فأمر على معقلا أن يتبعه فتبعه حتى أجهز على بقية من معه وقتل الخريت (ثم خرج) على أمير المؤمنين بعد ذلك كثير من الخوارج كلما أطفئت فتنة قامت أخرى (أما) معاوية رضى الله عنه فإنه منذ بويع بالخلافة

استقام له الأمر بالشام وكانوا أحسن جند فى طاعة الأمراء فأراد أن يجمع كلمة المسلمين على بيعته كما كان يريد أمير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه فأرسل إلى مصر عمرو بن العاص :

وكان من خبرها أن عليا لما بويع أرسل إليها قيس بن سعد بن عبادة كما قدمنا فبايعه أهلها إلا جماعة منهم اعتزلوا بخربتا عليهم يزيد بن الحارث الدلجى أعظموا قتل عثمان ودخل معهم مسلمة بن مخلد فكف عنهم قيس لعلمه أنهم ليسوا بمن يخاف شره فلما علم بذلك أمير المؤمنين كتب إليه يأمره بقتالهم لأن معظم النار من مستصغر الشرر فكتب إليه قيس ( أما بعد فقد عجبت لأمرك تأمرنى بقتال قوم كافين عنك مفرغيك لعدوك ومتى حاددناهم ساعدوا عليك عدوك فأطعنى يا أمير المؤمنين واكفف عنهم ، فإن الرأى تركهم والسلام ) فعزله أمير المؤمنين عنها وولاها محمد بن أبى بكر الصديق فلما جاءها قصد المسجد وخطب أهلها فقال ( الحمد لله الذى هدانا وإياكم لما اختلف فيه من الحق وبصرنا وإياكم كثيراً مما عمى عنه الجاهلون ألا إن أمير المؤمنين ولانى أمركم وعهد إلى ماسمعتم وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب فإن يكن ما ترون من إمارتى وأعمالى طاعة فاحمدوا الله على ما كان من ذلك فإنه هو الهادى وإن رأيتم عاملا لى عمل بغير الحق فارفعوه إلى وعاتبونى فيه فإنى بذلك أسعد وأنتم جديرون وفقنا الله وإياكم لصالح الأعمال برحمته ) ثم نزل وبعد شهر من مقدمه أرسل إلى المعتزلين بخربتا يخيرهم بين الطاعة أو الخروج من مصر فأجابوه إنا لا نفعل فدعنا حتى ننظر إلى مايصير إليه أمرنا فلا تعجل لحربنا فأبى عليهم فامتنعوا وأخذوا حذرهم وكانت حينذاك وقعة صفين فتمت وهم حذرون من محمد فلما حصل التحكيم طمعوا فيه ونابذوه فأرسل إليهم سرية لقتالهم فقتلوا رئيسها فأرسل أخرى فقتلوا رئيسها ثم خرج معاوية بن خديج السكونى مطالباً بدم عثمان فلما علم أمير

المؤمنين بذلك رأى أن محمداً لاتمكنه المقاومـــة فولى على مصر الأشتر ابن الحارث النخعى وكتب إليه عهداً جمع فيه سياسة الدنيا وصلاح الآخرة فتوفى فى الطريق وشق على محمد بن أبى بكر عزله فأرسل إليه على ( أما بعد فقد بلغنى موجدتك من تسريحى الأشتر إلى عملك وإنى لم أفعل ذلك إلا ازدياداً لك منى فى الجد ولو نزعت ما تحت يدك وليتك ما هو أيسر عليك مؤنة وأعجب إليك ولاية . إن الرجل الذى كنت وليته أمر مصر كان لنا نصيحاً وعلى عدونا شديداً وقد استكمل أيامه ولاقى حمامه ونحن عنه راضون فرضى الله عنه وضاعف له الثواب ، أصبر لعدوك وشمر للحرب وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وأكثر ذكر الله والاستعانة به والخوف منه يكفك ما أهمك ويعنك على ما ولاك ) فكتب إليه محمد ( أما بعد فقد انتهى إلى كتابك وفهمته وليس أحد من الناس أرضى برأى أمير المؤمنين ولا أجهد على عدوه ولا أرأف بوليه منى وقد خرجت فعسكرت وأمنت الناس إلا من نصب لنا حربا وأشهر لنا خلافاً وأنا متبع أمر أمير المؤمنين وحافظ له والسلام ) فلما كانت سنة ثمان وثلاثين أرسل معاوية عمرو بن العاص فى ستة آلاف فسار حتى نزل أدانى مصر فجاءه من خالف على محمد بن أبى بكر وطالب بدم عثمان فاجتمع بهم وكتب إلى محمد أما بعد فتنح عنى بدمك يا ابن أبى بكر فإنى لا أحب أن يصيبك منى ظفر إن الناس فى هذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك وهم مسلموك فاخرج منها إنى لك من الناصحين ) فكتب محمد إلى على بالخبر واستمده فأرسل إليه أن يضم شيعته إليه ويأمره بالصبر ويعده بإنفاذ الجيوش إليه فقام محمد فى الناس وندبهم إلى الخروج معه فانتدب له ألفان أمر عليهم كنانة بن بشر فسيرهم أمامه وتوجه هو بألفين لقتال عمرو فلما التحم كنانة بجيوش الشام ومعهم معاوية بن خديج من أهل مصر انهزم المصريون وقتل كنانة فلما سمع بذلك

من مع محمد تفرقوا عنه فاختفى أما عمرو فإنه سار حتى نزل الفسطاط وخرج معاوية بن خديج يطلب محمد بن أبى بكر حتى التقى به فقتله .

ولما بلغ قتله أم المؤمنين عائشة جزعت عليه جزعا شديداً وضمت إليها أولاده . وبقتل محمد صارت مصر فى طاعة معاوية بن أبى سفيان وبايع له أهلها أما المدد الذى أرسله أمير المؤمنين لمساعدة محمد بن أبى بكر فإنه بلغهم وهم فى الطريق قتله فرجعوا ( وبعد ) أن تم لمعاوية أمر مصر سير إلى البصرة عبد الله بن الحضرمى وكان عليها إذ ذاك زياد بن أبى سفيان خليفة لابن عباس فاجتمع إلى ابن الحضرمى جمع كثير من بنى تميم كانوا يطلبون بدم عثمان فطلب منهم المساعدة فقام إليه الضحاك بن قيس وكان على شرطة ابن عباس فقال قبح الله ما جئتنا به وما تدعون اليه نحن الآن مجتمعون على بيعة على وقد أقال العثرة وعفا عن المسىء أفتأمرنا أن ننتضى أسيافنا ويضرب بعضنا بعضاً ليكون معاوية أميراً فقام عبد الله بن خازم السلمى وقال للضحاك اسكت فلست بأهل لأن تتكلم وقال لعبد الله نحن أنصارك ويدك والقول قولك فلما رأى ذلك زياد استجار بالأزد فأجاروه هو وبيت ماله وأرسل إلى على بالخبر فبعث إليه أعين بن ضبيعة المجاشعى التميمى ليفرق تميم عن ابن الحضرمى فقتل غيلة فلما بلغ ذلك علياً أرسل جارية بن قدامة السعدى فسار إلى البصرة وخطب الأزد وجزاهم عن أمير المؤمنين خيراً وقرأ على أهل البصرة كتاب على يهددهم ويتوعدهم فيه بحرب أشد من وقعة الجمل فأجابه أكثر أهل البصرة فسار إلى ابن الحضرمى وقاتله هو ومن معه حتى هزمه فتبعوه حتى قتل .

ثم صار معاوية يوجه السرايا إلى بلاد أمير المؤمنين ليدخلها فى طاعته وسير يزيد ابن شجرة إلى مكة ليحج بالناس ويبايع أهلها على طاعته وكان واليها من قبل على قثم بن العباس وليس عنده قوة يقاتل بها فلم يقدم على

القتال فأما ابن شجرة فأمن الناس إلا من قاتل وأرسل إلى أبى سعيد الخدرى يخبره أن يأمر قثم ألا يصلى بالناس ولا يصلى أيضاً ابن شجرة ويختار الناس من يصلى فاختاروا شيبة بن عثمان فصلى بهم وتم الحج بسلام ولم يحصل إلحاد فى الحرم حذرا من وعيده تعالى فى قوله ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ وصارت السرايا بعد ذلك تتردد بين الجهتين وكل يريد جمع الكلمة فلم يتيسر لأحدهما ولكن الحجاز واليمن دخل أهلوها فى طاعة معاوية حينما سير إليهما بسر بن أرطاة العامرى فلم يعد مستمسكا ببيعة أمير المؤمنين إلا العراق وما والاها من بلاد فارس وكلها نار تضطرم بالخلاف والشقاق فريق شيعة على وآخرون خوارج لا يريدون عليا ولا معاوية وفريق منافق يظهر طاعة على ويخفى عداءه فملهم أمير المؤمنين وسئم إمارته عليهم حتى خاطبهم بذلك فى كثير من خطبه . وفى السنة الأربعين من الهجرة النبوية أراحه الله من هذا الشقاق المتتابع والخلاف المستعصى فضمه إلى إخوانه من الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً وسبب ذلك أنه اجتمع ثلاثة من الخوارج وتذاكروا ما حل بإخوانهم من الخوارج وكرهوا المقام بعدهم فاتفقوا على أن يذهب أحدهم وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادى إلى الكوفة فيقتل عليا ويذهب الثانى وهو البرك بن عبد الله التميمى إلى الشام فيقتل معاوية ويذهب ثالثهم وهو عمرو بن بكر التميمى إلى مصر فيقتل عمرو بن العاص واتعدوا بينهم ليلة ينفذون فيها ما اتفقوا عليه فأما البرك فذهب إلى معاوية وانتظره فى صلاة الصبح فضربه بالسيف فوقع فى أليته ولم يمته فأمر به معاوية فقتل وأما عمرو بن بكر فذهب إلى عمرو ولحسن حظه لم يخرج إلى الصلاة فى ذلك اليوم لمرضه فكان يصلى بالناس خارجة بن حبيب السهمى فضربه الخارجى فقتله ظناً منه أنه عمرو فخاب ظنه وقبض عليه فقتل وأما عبد الرحمن بن ملجم فقصد الكوفة وانتظر أمير المؤمنين فى صبح الليلة التى اتعد فيها الخوارج وهى ليلة الجمعة لسبع

خلون من رمضان فبينما أمير المؤمنين ينادى الناس الصلاة الصلاة إذ ضربه هذا الشقى بسيفه قائلا الحكم لله لا لك يا على ولا لأصحابك فقال على لا يفوتنكم الرجل فشد عليه الناس وأخذوه وقدم جعدة بن هبيرة يصلى بالناس الصبح ثم قال رضى الله عنه النفس بالنفس إن هلكت فاقتلوه كما قتلنى وإن بقيت رأيت فيه رأيى يا بنى عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلن إلا قاتلى انظر يا حسن إن أنا مت من ضربتى هذه فاضربه ضربة بضربة ولا تمثل بالرجل فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور » ودخل جندب بن عبد الله فقال يا أمير المؤمنين إن فقدناك ولا نفقدك فنبايع الحسن فقال ما آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما (أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تبكيا على شىء أزوى عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم وأعينا الضائع واصنعا للآخرى وكونا للظالم خصيما وللمظلوم ناصراً واعملا بما فى كتاب الله ولا تأخذكما فى الله لومة لائم) ثم نظر إلى محمد الأكبر بن الحنفية فقال له هل حفظت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال فانى أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظيم حقهما عليك وتزين أمرهما ولا تقطع أمراً دونهما ثم قال للحسن والحسين أوصيكما به فانه شقيقكما وابن أبيكما وقد علمتما أن أباكما كان يحبه وقال للحسن أوصيك أى بنى بتقوى الله وإقام الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة عند محلها وحسن الوضوء فانه لا صلاة إلا بطهور وأوصيك بغفر الذنب وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه فى الدين والتثبت فى الأمر والتعاهد للقرآن وحسن الجوار والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجتناب الفواحش ثم لم يزل يذكر الله حتى مات رضى الله عنه فغسله ولداه الحسن والحسين وابن أخيه عبد الله بن جعفر وكفن فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص وكبر عليه الحسن سبع تكبيرات . ومكث رضى الله عنه

فى الخلافة أربع سنين وسبعة أشهر وأياما أراد الله فيها أن يذيق الأمة فيها كأس الضر من الاختلاف عليه لتكون قد ذاقت الأمرين السراء والضراء والأخوة والشقاق فتختار لنفسها ما يوفقها الله له وقد كان الله سبحانه وتعالى يعلم الأمة المحمدية فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعقاب يعجله جزاء على أعمال لتحذير الأمة من العودة لها كما عاقب بالهزيمة فى غزوة أحد إذ فشل المسلمون وتنازعوا فى الأمر وعصوا الرسول فلم يعد المسلمون بعدذلك لشىء من هذه الثلاث لعلمهم بأنه يبعدهم عن الله جل ذكره وما داموا كذلك فنصره بعيد عنهم وكذلك فى هذه الواقعة أراد الله أن يعاقبهم على ما فعله بعضهم فى خليفتهم الذى بايعوه وتعهدوا بطاعته ثم نكثوا ببيعته وقتلوه ظلماً فعاقبهم الله بهذا العقاب الشديد وأوقع بأسهم بينهم حتى لا يعودوا لتفريق كلمتهم وشق عصا أئمتهم، نسأل الله التوفيق.

ولما استشهد على رضى الله عنه بايع أهل الكوفة ابنه الحسن. وأول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة قال له ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وقتال المحلين فقال الحسن على كتاب الله وسنة نبيه فانهما يأتيان على كل شرط فبايعه الناس على ذلك.

# الحسن

هو الحسن بن على بن أبى طالب وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد بالمدينة المنورة فى السنة الثالثة من الهجرة وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلام يحبه حباً شديداً هو وأخوه الحسين وقال فى حق الحسن « اللهم إنى أحبه فاحبه وأحبب من يحبه » وقال فيه كما رواه البخارى فى صحيحه « إن إبنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المؤمنين » ولم يحضر غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم لصغر سنه فقد توفى عليه السلام وقد جاوز سبع السنين ولما فرض عمر بن الخطاب رضى الله عنه العطاء أدخل الحسن فى أهل البدر لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ممن دافع عن عثمان وأبلى فى ذلك بلاء حسناً حتى نهاه عثمان رضى الله عنه ، ولما بويع أمير المؤمنين على كان الحسن معه فى جميع مشاهده ولما قتل على رضى الله عنه أجمعت شيعة أبيه على بيعته وله كثير من الأولاد من أمهات شتى لم يعقب منهم إلا إبناه الحسن المثنى وزيداً .

## أعماله فى الخلافة

لما بويع رضى الله عنه وكان أبوه قد جهز جيشاً لحرب أهل الشام أمر الحسن بخروج هذا الجيش لتتميم ما قد عزم عليه أبوه وسير قيس ابن سعد طليعة له . وليحقق الله سبحانه للحسن ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ألهمه الرشد فنظر إلى بيعته فرآها ليست كبيعة أبيه فإنها ليست عامة ولكنها قاصرة على شيعتهم من أهل العراق ورأى من جهة أخرى أن جند العراق لا تقوم به دولة لما هو بينهم دائماً من الشقاق

والنزاع والتطلع إلى ما ليس لهم حتى نازعوه بساطاً كان يجلس عليه فراسل معاوية بن أبى سفيان يبذل له الصلح ويشترط عليه شروطاً فأرسل له بصك مختوم ليس فيه كتابة وطلب منه أن يشترط لنفسه ما شاء فكتب فيها الحسن شروطاً أهمها تأمين جيشه وشيعة على كلهم فقبلها معاوية وقدم إلى العراق فقابله الحسن بجيشه وبايعه بالخلافة هو وجنده وبهذا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله « إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المؤمنين » وبتسليمه رضى الله عنه انقضى الدور الثانى من دولة الخلفاء الراشدين وهو دور الفتن والشقاق وكان مبدؤه من قيام الثوار على عثمان رضى الله عنه ونهايته تسليم الحسن الخلافة لمعاوية . فتن دامت عشر سنين لو كانت فى أمة أخرى لهدمت أركانها وقوضت بنيانها ولكن الله نظر إلى دينه القويم بعين عنايته فألف كلمة أهله وحفظه كما وعد وكنت أود أن أجعل خاتمة الكتاب خلافة أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان ولكن منعنى من ذلك ما منع العلامة عبد الرحمن بن خلدون حيث قال فى خاتمة الجزء الثانى من تاريخه ( وقد كان ينبغى أن نلحق دولة معاوية وأخباره بدولة الخلفاء وأخبارهم فهو تاليهم فى الفضل والعدالة والصحبة ولا ينظر فى ذلك إلى حديث « الخلافة بعدى ثلاثون سنة » فإنه لم يصح والحق أن معاوية فى عداد الخلفاء وإنما أخره المؤرخون عنهم لأمرين ( الأول ) أن الخلافة لعهده كانت مغالبة لأجل ما قدمناه من العصبية التى حدثت لعصره وأما قبل ذلك فكانت اختياراً واجتماع فميزوا بين الحالتين فكأن معاوية أول خلفاء المغالبة والعصبية الذين يعبر عنهم أهل الأهواء بالملوك ويشبهون بعضهم ببعض وحاشا لله أن يشبه معاوية بأحد من بعده فهو من الخلفاء الراشدين ومن كان تلوه فى الدين والفضل من الخلفاء المراونية ممن تلاه فى المرتبة كذلك وكذلك من بعدهم من خلفاء بنى العباس ولا يقال إن الملك أدون مرتبة من الخلافة فكيف يكون خليفة ملكا ؟ ( واعلم ) أن

الملك الذى يخالف بل ينافى الخلافة هو الجبروتية المعبر عنها بالكسروية التى أنكرها عمر على معاوية حينما رأى ظواهرها وأما الملك الذى هو الغلبة والقهر بالعصبية والشوكة فلا ينافى الخلافة ولا النبوة فقد كان سليمان بن داود وأبوه صلوات الله عليهما نبيين وملكين وكانا على غاية الاستقامة فى دنياهما وعلى طاعة ربهما عز وجل ومعاوية لم يطلب الملك وأبهته للاستكثار من الدنيا وإنما ساقه أمر العصبية بطبعها لما استولى المسلمون على الدول كلها وكان هو خليفتهم فدعاهم بما يدعو الملوك إليه قومهم عند ما تستفحل العصبية وتدعو لطبيعة الملك وكذلك شأن الخلفاء أهل الدين من بعده إذا دعتهم ضرورة الملك إلى استفحال أحكامه ودواعيه والقانون فى ذلك عرض أفعالهم على الصحيح من الأخبار لا الواهى فمن جرت أفعاله عليها فهو خليفة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المسلمين ومن خرجت أفعاله عن ذلك فهو من ملوك الدنيا وإنما سمى خليفة بالمجاز (الأمر الثانى) فى ذكر معاوية مع خلفاء بنى أمية دون الخلفاء الأربعة أنهم كانوا أهل نسب واحد وعظيمهم معاوية فجعل مع أهل نسبه والخلفاء الأولون مختلفو الأنساب فجعلوا فى نمط واحد وألحق بهم عثمان وإن كان من أهل هذا النسب للحوق بهم قريباً فى الفضل والله يحشرنا فى زمرتهم ويرحمنا بالاقتداء بهم . وقد أفردنا نحن لبنى أميـــة وخلفائهم وأخبار دولهم فى الشام والأندلس كتاباً نفيساً سميناه ( الفتوحات الإسلامية فى عهد الدولة الأموية فى الشرق والأندلس ) .

# الخاتمة

لما كنا قد التزمنا أن نتبع كل دور بنتيجة ما حصل فيه رأينا أن نوفى هنا ما وعدنا به من ذلك فنقول إن لهذا الشقاق الذى حصل والخلاف الذى ألم سببا واحدا به انصدع الحبل وتشتت الشمل وهو قتل عثمان بن عفان أمير المؤمنين رضى الله عنه . نقم عليه الناس إذ ذاك أمورا فعلها فقاموا عليه وحصروه فى داره ولم يقبلوا منه إلا أن يخلع نفسه ويدعوه مستندين على كتاب افتعل وادعى أنه من عثمان إلى عامله بمصر يأمره فيه بقتل بعضهم وجلد آخرين فلما امتنع من خلع نفسه قتلوه فى داره فى عاصمة الإسلام ومدينة النبي عليه الصلاة والسلام البلد الذى يأمن فيه الجانى ويلوذ به الآثم ولم يرعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة ولا لخليفته عهدا . انقسم الناس فيه على ثلاثة أقسام منهم الناكث لبيعته وهم الزعانف الذين لم تستنر بصائرهم بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم المقيم على ولائه الذاب عنه وهم أكثر الأمة وغالب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمصار المسلمين ومنهم المقيم على الحياد لا ينصره ولا يخذله فأما الأولون فقد خالفوا سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام وقد قدمنا لك فى صدر كتابنا هذا ماقاله عليه السلام فى الخروج عن طاعة الإمام ولم يجعل لها سببا إلى الكفر البواح وهو الظاهر الصريح الذى لا تأويل فيه ولم يقل بذلك أحد منهم إلا الغلاة الذين صرحوا بذلك فان كلامهم مردود عليهم من جميع الأمة حتى الشيعة والذى نقموه عليه هو أمور لا تخرج عن حد الشرع وقد قدمناه لك أما الذين أقاموا على ولائه فمنهم المقيم بالمدينة وهؤلاء غلبوا عليها فلم يتمكنوا من المقاومة والذين قاوموا أو ذوا فقتل بعضهم وجرح كثير منهم ومنهم المقيم بالأمصار وهؤلاء خرجوا لنصرته حينما بلغتهم الأخبار

فلم يصلوها إلا وقد قضى الأمر وأما الذين كانوا على الحياد فلم يكونوا يظنون أن الأمر يصل إلى القتل لأنهم رأوا أن عثمان قد صار أسيراً فى أيديهم وليس من العادة قتل الأسرى ولو كانوا كفاراً وحاشا لله أن نظن أن عليا والزبير وطلحة كانوا يظنون أن قصد الثائرين قتل عثمان ثم لا يدافعون بأنفسهم عنه حتى يهلكوا أو يخلصوه . أراد الله ما أراد ولا راد لقضائه . قتل عثمان فافترقت الأمة إذ ليس هذا بالأمر الهين حتى يقابل بالغض . فريق ناقم على قتلته ويود قبل كل شيء إقامة حداً لله والقصاص من قاتليه ثم يجتمع رجال الحل والعقد من الأمة فينتخبون بدله ومن هؤلاء عامة عشيرة عثمان ورأسهم وكبيرهم معاوية ابن أبى سفيان أمير الشام وكثير غيره من الصحابة كطلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة وعمرو بن العاص وغيرهم رضى الله عنهم وفريق رأوا أن الأولى بالمسلمين أن يبدأوا بإقامة خليفة لهم ثم ينفذ حكم الله فى القاتلين بعد أن تهدأ الأحوال ولا يتعسر أمر القصاص وتجتمع جنود المسلمين للقدرة على الثائرين ومن هؤلاء على بن أبى طالب، وكثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والفريق الثالث قتلة عثمان يرون بالطبع أنهم أصابوا فيما صنعوا ولا يستحقون قصاصاً . قام المسلمون بالمدينة وفيهم كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوا عليا ليكون خليفة لهم فامتنع كل من ليس على رأيه وقاموا يدعون المسلمين للأخذ بناصرهم حتى يقيموا حد الله فيمن قتل عثمان فتوجه الزبير وطلحة وأم المؤمنين عائشة إلى البصرة للاستعانة بأهلها على القصاص فوافقهم جماعة وخالفهم آخرون فعدوا من خالفهم عاصيا مانعاً من إقامة حد الله وأصابوا بعضاً من قتلة عثمان فقتلوهم . أما أمير المؤمنين فعدهم خارجين عن طاعته لأنه رأى أن بيعته تمت بمن حضرها فلزمت من لم يحضرها فتوجه إليهم وحاربهم حتى دخلوا فى طاعته بعد قتل رؤسائهم وأرجع أم المؤمنين إلى بيتها ثم عزم على حرب معاوية ومن رأى رأيه إن لم يدخلوا فى طاعته

كيف يطيعون وقد رزئوا بقتل شيخهم وأمير المؤمنين والقصاص من قتلته أهم الأشياء عندهم فكيف يتركونه أو يؤجلونه وعدوا ذلك عصياناً لله سبحانه وتعالى وتعطيلا لحدوده ويتهموا عليا بالهوادة فى نصر الخليفة وإيواء قتلته فى جيشه فلما حاربهم حاربوه وظل السيف يعمل فى رقاب المسلمين فلما رأى ذلك معاوية وأصحابه أشاروا على أمير المؤمنين بتحكيم كتاب الله بينهم فقبل ذلك حينما رأى أكثر جيشه راضين به فحكم كل فريق رجلا فهذان الحكمان لم يوفقا للإصلاح بين هاتين الطائفتين العظيمتين ولكنهما اختارا فى صحيفتهما خلع على ومعاوية ويختار المسلمون لأنفسهم من شاءوا فعرض كل منهما شخصا فلم يقبل أحدهما ما عرضه الآخر فافترقا على ذلك .
أنتج هذا التحكيم عند معاوية بن أبى سفيان أملا عظيما فى تولى خلافة المسلمين حيث بايعه بها كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعتقادهم فيه الكفاية وحسن السياسة وأنتج فى جيش على الافتراق والشطط ففريق عده كفراً وضلالة زاعمين أن لا حكم إلا لله وهذا تحكيم للرجال فى أمر الله وفريق استحسنه ؛ فعادى كل فريق الآخر واعتزل من قبحوا التحكيم عليا فشغل بهم وحاربهم مراراً فقتل كثيراً منهم ونجا آخرون .
تأصل فيهم مذهب الخروج على خلفائهم زاعمين ألا يصلح لها إلا رجل يدين بمعتقدهم فشغلوا الخلفاء حينا من الدهر وألهوهم فى كثير من الأوقات عن جهاد الأعداء أما شيعة على رضى الله عنه فإنهم رأوا فعل معاوية وطلبه للخلافة أمراً إمراً لأنهم وزنوه بعلى فرأوه مرجوحا فأرادوا إعادة الكرة على الشام ولكن الأجل المقدور قضى على حياة أمير المؤمنين فقضى نحبه ولحق بربه : وجاء السيد ابن السيد فأصلح بين المؤمنين ووحد الكلمة وأزال الفرقة ولكن الصدور لم تزل تكمن ما فيها فشيعة على لا تزال ترى هذا الأمر فى أولاده يطلبونه متى سنحت لهم الفرصة وصارت لهم مذاهب ونحل قد يعجز القلم عن استقصائها والخوارج لا تزال ترى التحكيم ضلالة ولا ترى

البيعة إلا شورى ولا ينتخب إلا رجل على مذهبهم ومعتقدهم وتفرقوا شيعاً كل له مذهب يتبعه ، وسنأتى عليها فى كتابنا فى أخبار الدولة الأموية إن شاء الله ، ولا يخفى أن كلا من على ومعاوية رضى الله عنهما كان يظن فى الآخر الخطأ ومخالفة السنة وإلا لما جاز له قتاله حتى كان أمير المؤمنين على يدعو على معاوية فى صلاته وكذلك كان يفعل معاوية (وأما أخبار اللعن فمن أكاذيب التاريخ لأنه لم يقل أحد المتخاصمين بكفر الآخر حتى يجوز له لعنه بل يعتقد أنه مؤمن ولكن عاص وناهيك بما قاله أمير المؤمنين على عن قتلى الفريقين فى وقعة صفين والجمل وقال العلامة ابن كثير فى تاريخه إن خبر اللعن لم يصح ) والعجب بعد ذلك ممن يأتى بعدهم وهو لا يعرف إلا القليل مما حصل لهم ثم هو يتشيع لأحد الفريقين ويبغض الآخر وهذا ليس من الدين فى شىء فأولئك قوم اختلفوا فى الرأى ولم يتبعوا الهوى بل أرادوا الله بأعمالهم وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين تلقوا عنه الدين مباشرة ونقلوه إلينا وقد أجمع المسلمون على توثيقهم وعدالتهم فالخوض بعد ذلك فى تضليل بعضهم مما لا يرضى به الله ولا رسول الله صلى الله عليه وسلم والأولى للمسلمين أن يعرفوا أن ما حصل فى زمنهم من الخلاف والفرقة أمران لا ينبغى عملهما فيتجنبوهما ويتخذون ذلك درساً فى أحوالهم وسياسة دنياهم بدل أن يشغلوا أنفسهم بما لا طائل تحته من تفضيل أحد الأخوين على الآخر وتضليل الثانى منهما . فالله الله فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو أنفق أحدكم ياقوم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصفيه بشهادة نبيكم صلى الله عليه وسلم وإياكم ودجالين وكذا بين من المؤرخين قضت عليهم ظروف زمنهم أن يقبلوا الحقائق ويكذبوا على الله وعلى الأمة الاسلامية فينسبون القبائح لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واشغلوا أنفسكم بتحسين حالكم وطاعة ربكم وها أنا قد نقلت لكم هذا التاريخ الصغير من أوثق المصادر التى يعتقدون بصحتها فليس بعد كتاب الله

سبحانه وتعالى كتاب أوثق من صحيح الإمام البخارى وصحيح الإمام مسلم اللذين نقلنا عنهما كثيراً من أمهات المسائل وبعضا من الأحاديث التى يدخل تحتها معظم الأمور التى منيت الأمة بها . وليس على الله بعزيز أن يؤلف كلمة الأمة ويلم شعثها ويوفقها لما فيه رضاه بمنه وكرمه أسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وجميع المسلمين إلى ذلك إنه على مايشاء قدير .

قال مؤلفه : كان الفراغ من تأليفه خامس رمضان من سنة ١٣١٦ هجرية بمدينة المنصورة ؟

( تم بعون الله تعالى )

# فهرس الكتاب